كَشْفُ الغُمَّةِ

أربعون حديثاً وواقعةً في

وُجُوبِ الدَّعْوَةِ عَلَى عُمُومِ الأُمَّةِ

www.saida-islam.weebly.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلاَّ من أراد طباعته وتوزيعه احتساباً لوجه الله

الكريم فله الإذن وجزاه الله خيراً .

الأردن - عمان - سحاب

ت/ ٠٠٩٦٢٧٨٨٤٤٣٩٢٣

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م

الطبعة الأولى

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٤/١١/٥٤٠٧)

www.saida-islam.weebly.com

مَنْ أَرَادَ طِبَاعَةَ هَذَا الْكِتَابِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى لا يُرِيدُ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ، وجَزَاهُ اللهُ خَيراً .

كَشْفُ الغُمَّةِ

أربعون حديثاً وواقعةً في

وُجُوبِ الدَّعْوَةِ عَلَى عُمُومِ الأُمَّةِ

جمع وتأليف

سليمان العايدي

www.saida-islam.weebly.com

www.saida-islam.weebly.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لله الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى مَنْ بَعَثَهُ اللهُ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً، وداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِرَاجاً مُنِيراً .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ عِمَادَ حَيَاةِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ وَالْقُطْبَ الأَعْظَمَ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ نَشَاطِهَا وَحَيَاتِهَا وَجِدِّهَا وَكِفَاحِهَا هُوَ الدَّعْوَةُ إِلى اللهِ وَتَبْلِيْغُ أَحْكَامِهِ وَرِسَالاتِهِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَكَانَ هَذَا الْعَمَلُ بَيْنَ أَعْمَالِ الأُمَّةِ وَأَخْلاقِهَا وَسِمَاتِهَا- وَهِيَ كَثِيْرَةٌ ومُهِمَّةٌ - هُوَ الْمَكَانَ الرَّئِيْسِيَّ وَالأَسَاسِيَّ، فَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خُلِقَتْ لأَجْلِهَا وَبُعِثَتْ لِمَصْلَحَتِهَا، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مُخَاطِباً أَصْحَابَهُ :" **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِيْنَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِيْنَ** "[(١)]، وَقَدْ قال ربعي بن عامر فِي مَجْلِسِ مَلِكِ الْفُرْسِ : **اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلى عَدْلِ الإِسْلامِ**[(٢)]؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ لأَنَّ اللهَ ﷻ قَلَّدَ هَذِهِ الأُمَّةَ نِيَابَةَ نَبِيِّهَا الْخَاتَمِ فِي تَبْلِيغِ آخِرِ الأَدْيَانِ وَخَاتِمَةِ الرِّسَالاتِ، وَهَكَذَا رَبَطَ مَصِيْرَ الإِنْسَانِيَّةِ بِهَا، فَبَقَاءُ الإِنْسَانِيَّةِ بِبَقَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَبَقَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِبَقَاءِ هَذِهِ الصِّفَةِ الدَّعَوِيَّةِ وَالْمَرْكَزِ الإِبْلاغِيِّ، وَبِمُحَافَظَتِهَا عَلَى فَرِيْضَتِهَا الأَسَاسِيَّةِ وَنَشَاطِهَا فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالاتِهِ الَّتِي حَمَلَتْهَا عَنْ نَبِيِّهَا ﷺ .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٢٢٠) و(٦١٢٨) .

(٢) «تاريخ الطبري» (٥١٨/٣) و«البداية والنهاية» لابن كثير (٣٩/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

وَقَدِ اسْتَقَامَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ وَسَارَتْ سَيْرَهَا الطَّبِيْعِيَّ، وَاسْتَقَامَتِ الأُمُورُ، وَسَلِمَتِ الْبَشَرِيَّةُ مَا دَامَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ مُحَافِظَةً عَلَى غَايَتِهَا وَرِسَالاتِهَا، قَوِيَّةً نَشِيْطَةً فِي أَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، تَبْذُلُ فِي سَبِيْلِ ذَلِكَ أَمْوَالَهَا وَتُضَحِّي بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيْسٍ لإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَكَانَ إِخْلالُهَا بِهَذَا الْوَاجِبِ وَتَفْوِيْضُهَا لِهَذَا الرُّكْنِ الرَّكِيْنِ ثَوْرَةً عَلَى طَبِيْعَتِهَا، وَانْحِرَافاً عَنْ جَادَّتِهَا، وَجِنَايَةً عَلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، تَبِعَتْهَا أَمْرَاضٌ وَعِلَلٌ وَاخْتِلالٌ وَاضْطِرَابَاتٌ يُشَاهِدُهَا الإِنْسَانُ، يَذُوقُ سُمُومَهَا فِي كُلِّ مَجَالٍ مِنْ مَجَالاتِ الْحَيَاةِ، وفِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلا سَبِيْلَ إِلى إِعَادَةِ الأُمُورِ إِلى نِصَابِهَا وَدُخُولِ الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا إِلاَّ بِعَوْدَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلى أَدَاءِ وَاجِبِهَا، وَإِلى سِيْرَتِهَا الأُوْلَى مِنْ أَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ، وَتَبْلِيْغِ رِسَالاتِ اللهِ، وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ وَالشَّهَادَةِ للهِ، والحِسْبَةِ عَلَى الأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ، وَقَدْ جَدَّدَ اللهُ أَمْرَ الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ برجال اختارهم لذلك، فَحُبِّبَتْ إِلى النُّفُوسِ، وَهَانَتْ عَلَيْهَا الرِّحَلاتُ فِي سَبِيْلِهَا، وَرُكُوبُ الْبِحَارِ وَالتَّحْلِيقُ فِي الأَجْوَاءِ وَتَجَشُّمُ الْمَصَاعِبِ وَكَثْرَتِهَا، وَالإِنْفَاقُ فِي مَصْلَحَتِهَا، وَكَانَ لِلدَّعْوَةِ نَفَاقٌ وَرَوَاجٌ، وذُيُوعٌ وشُيُوعٌ لَمْ يُشَاهَدْ مِنْ عَهدٍ بَعِيْدٍ [(١)] .

فَفَلَاحُ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي الدُّنْيَا والآخرَةِ مَرْبُوطٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الدَّعَوِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ **[آل عمران:١٠٤]**، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ أَنْ تَكُونَ فِرْقَةٌ مِنَ الأمَّةِ مُتَصَدِّيَةٌ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الأُمَّةِ بِحَسْبِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَده، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** ". وَفِي رِوَايَةٍ :" **وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ** "[(٢)].

(١) مقدمة العلاَّمة أبي الحسن الندوي لكتاب «فضائل الدعوة إلى الله» للعلاَّمة محمد زكريا الكاندهلوي.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٩١) وسيأتي تخريج الحديث .

www.saida-islam.weebly.com

ولا شَكَّ أَنَّ الدَّعوَةَ إِلى الله مَشْرُوطٌ لَهَا العِلمُ، ولَكِنَّ العِلْمَ لَيسَ شَيئاً وَاحِداً لا يَتَجَزَّأُ ولا يَتَبَعَّضُ، وإِنَّمَا هُوَ بِطَبِيعَتِهِ يَتَجَزَّأُ ويَتَبَعَّضُ، فَمَنْ عَلِمَ مَسأَلَةً وَجَهِلَ أُخْرَى فَهُوَ عَالِمٌ بِالأُولَى جَاهِلٌ بِالثَّانِيَةِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُعَدُّ مِنْ جُمْلَةِ العُلَمَاءِ بِالْمَسأَلَةِ الأُولَى، وَبِالتَّالِي يَتَوَفَّرُ فِيهِ شَرْطُ وُجُوبِ الدَّعوَةِ إِلى مَا عَلِمَ دُونَ مَا جَهِلَ؛ قَالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : **وَإِنَّمَا يَجِبُ التَّبلِيغُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ، فَكُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً فَهُوَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِهَا**[١]. فَكُلُّ مُسلِمٍ يَدعُو إِلى اللهِ ﷻ بِالقَدْرِ الَّذِي يَعْلَمُهُ، فَمَنْ عَرَفَ شَيئاً مِنْ مَعَانِي الإِسْلامِ فَهُوَ عَالِمٌ بِه، وَعَلَيهِ تَبلِيغُهُ إِلى مَنْ يَجْهَلُهُ، وكُلُّ مُسلِمٍ يَعلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ يَومَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، وأَنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ حَقٌّ، وأَنَّ الصَّلاةَ والصِّيَامَ والحَجَّ والزَّكَاةَ مِنْ فَرَائِضِ الإِسْلامِ فَعَلَيهِ أَنْ يُبَلِّغَ مَا عَلِمَهُ، ويَكُونُ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمَقْصُودَ مِنْ قَولِهِم إِنَّ الدَّعوَةَ تَجِبُ عَلَى العُلَمَاءِ لا عَلَى غَيرِهِم، أَيْ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الْمَسأَلَةَ الَّتِي يَدعُو إِلَيهَا وحُكْمَهَا، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ عَامَّةِ الْمُسلِمِينَ أَوْ مِمَّنْ نَالَ حَظّاً كَبِيراً مِنَ الْعِلْمِ؛ فَكُلُّ مُسلِمٍ هُوَ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ وَالإِسْلامِ، فَهُوَ يَدعُو إِلى اللهِ ﷻ بِاعْتِبَارِهِ مُسْلِماً مُؤْمِناً بِاللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ** ﴾ [يوسف: ١٠٨][٢]؛ قَالَ عَبدُ الرَّحمَنِ بْنُ زَيدِ بْنِ أَسلَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهَا : **وَحَقٌّ واللهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيهِ، وَيُذَكِّرَ بِالْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَيَنْهَى عَنْ مَعَاصِي اللهِ**[٣]. وقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : **فَلا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْ أَتْبَاعِهِ حَقّاً حَتَّى يَدْعُوَ إِلى مَا دَعَا إِلَيهِ**[٤].

فالْمُكَلَّفُ بِالدَّعْوَةِ إِلى اللهِ ﷻ هُوَ كُلُّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ، لأَنَّ الأُمَّةَ الإِسلامِيَّةَ تَتَكَوَّنُ مِنْهُم، ولا يَخْتَصُّ بِالْعُلَمَاءِ بِأَصْلِ هَذَا الْوَاجِبِ، وإِنَّمَا يَخْتَصُّونَ بِتَبْلِيغِ تَفَاصِيلِهِ وأَحْكَامِهِ ومَعَانِيهِ نَظَراً لِسَعَةِ عِلْمِهِمْ بِهِ، ومَعْرِفَتِهِم بِجُزْئِيَّاتِهِ، ويَزِيدُ الأَمْرَ وُضُوحاً قَوْلُ رَبِّنَا ﷻ : ﴿ **قُلْ**

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤٨٠).
(٢) «أصول الدعوة» للدكتور عبد الكريم زيدان ص (٣١٢-٣١٩).
(٣) تفسير الطبري (١٩٩٨٢) وتفسير ابن أبي حاتم (١٢٠٥٠).
(٤) مفتاح دار السعادة» (١/ ١٩٣) .

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فأَتْبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ، يَدْعُونَ إلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ويَقِينٍ، ومَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مِنَ اللَّوَازِمِ الضَّرُورِيَّةِ لإِيْمَانِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعُوَ إلى اللهِ، فَإِذَا تَخَلَّفَ عَنِ الدَّعوةِ دَلَّ تَخَلُّفُهُ عَلَى وُجُودِ نَقْصٍ أَوْ خَلَلٍ فِي إِيْمَانِهِ، يَجِبُ تَدَارُكُهُ بِالْقِيَامِ بِهَذَا الْوَاجِبِ، وقَدْ قَالَ ﷺ : "**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**". ويَدْخُلُ فِي مَعْنَى الشَّاهِدِ كُلُّ مُسْلِمٍ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ الإِسْلامِ شَيْئاً[(١)].

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ لَيسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى العُلَمَاءِ : أَنَّ القِلَّةَ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ كَانُوا مِنْ أَرْبَابِ الْفَتْوَى والحَدِيثِ[(٢)]، وَلَكِنَّهُم جَمِيعاً كَانُوا مُبَلِّغِينَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ حَامِلِينَ لِوَاءَ الدَّعْوَةِ إِلى الله لِوَاءَ الرَّحمَةِ عَلَى خَلْقِ الله ﷻ، فَلَيسَ مِنْ شُرُوطِ الْمُبَلِّغِ وَالدَّاعِي أَنْ يَكُونَ فَقِيهاً أَوْ مُحَدِّثاً أَوْ مُفْتِياً، كَمَا قَالَ ﷺ : "**بَلِّغُوا عَنِّيْ وَلَوْ آيَةً** "، ولَمْ يَشْتَرِطْ أَنْ

---

(١) «أصول الدعوة» ص (٣٠٩) بتصرف يسير .

(٢) قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : وَالَّذِينَ حُفِظَتْ عَنْهُمُ الْفَتْوَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ مِائَةٌ ونَيِّفٌ وَثَلاثُونَ نَفْساً مَا بَيَنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، وَكَانَ الْمُكْثِرُونَ مِنهُم سَبْعَةً : عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وعَبدُ الله بْنُ مَسعُودٍ، وعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وزَيدُ بْنُ ثَابِتٍ، وعَبدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ، وعَبدُ الله ابْنُ عُمَرَ ﷺ؛ قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ ابْنُ حَزْمٍ : وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ مِنْ فَتْوَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِفْرٌ ضَخْمٌ . ثُمَّ عَدَّ عِشْرِينَ صَحَابِيّاً، وَهُمُ الْمُتَوَسِّطُونَ فِي الْفُتْيَا، ويُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ مِنْ فُتْيَا كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم جُزْءٌ صَغِيرٌ جِدّاً، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُقِلِّينَ مِنهُم فِي الْفُتْيَا، وَالَّذِينَ لا يُروَى عَنِ الْوَاحِدِ مِنهُمْ إِلاَّ الْمَسْأَلَةُ أَوِ الْمَسْأَلَتَانِ وَالزِّيَادَةُ الْيَسِيرَةُ عَلَى ذَلِكَ، وَيُمكِنُ أَنْ يُجمَعَ مِنْ فُتيَا جَمِيعِهِم جُزْءٌ صَغِيرٌ فَقَطْ بَعدَ التَّقَصِّي وَالْبَحْثِ؛ ثُمَّ قَالَ : هَؤُلاءِ الَّذِينَ نُقِلَتْ عَنْهُمُ الْفَتْوَى مِنْ أَصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ «إعلام الموقعين» (١ / ١٨- ١٩). وَقَالَ مَسْرُوقٌ رَحِمَهُ اللهُ : **جَالَسْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَانُوا كَالإِخَاذِ، الإِخَاذَةُ تُروِي الرَّاكِبَ، وَالإِخَاذَةُ تُروِي الرَّاكِبَيْنِ، وَالإِخَاذَةُ تُروِي الْعَشَرَةَ، وَالإِخَاذَةُ لَوْ نَزَلَ بِهَا أَهْلُ الأَرْضِ لأَصْدَرَتْهُم، وَإِنَّ عَبدَ الله مِنْ تِلْكَ الإِخَاذَةِ** . والإِخَاذة : ما يُشبِهُ الغَدِيرَ من الماء. وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ رَحِمَهُ اللهُ : قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفاً مِنَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ . فَقِيلَ لَهُ : هَؤُلاءِ أَيْنَ كَانُوا وَأَيْنَ سَمِعُوا؟ قَالَ: أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ بَيْنَهُمَا مِنَ الأَعْرَابِ، وَمَنْ شَهِدَ مَعَهُ حَجَّةَ الوَدَاعِ، كُلٌّ رَوَى وَسَمِعَ مِنْهُ بِعَرَفَةَ . «تدريب الراوي» (٢/ ١٢٧).

يَكُونَ عَالِماً بِغَيرِهَا، وقَالَ ﷺ :" **نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيْثاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ** "، ولَمْ يَشْتَرِطْ لِتَبلِيغِهِ حِفْظَ غَيرِهِ .

وَقد قَسَّمَ العلماءُ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ إِلى قِسمَينِ : **دَعْوَةِ الْعَوَامِّ** : وَهِيَ الدَّعوَةُ إِلى الْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالاِمْتِنَاعِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ الْمَشْهُورَةِ بِالتَّرغِيبِ وَالتَّرهِيبِ، فَهَذِهِ يَشتَرِكُ فِي القِيَامِ بِهَا جَمِيعُ الْمُسلِمِينَ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : **فَكُلُّ الْمُسلِمِينَ عُلَمَاءُ بِهَا**[1]. أَيْ مُكَلَّفُونَ بِالدَّعوَةِ إِلَيهَا، كَمَا كَانَ حَالُ أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم . **وَدَعْوَةِ الْخَوَاصِّ** : وَهِيَ الدَّعوَةُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِدَقَائِقِ الأَقوَالِ وَالأَفْعَالِ كَالتَّفْسِيرِ وَالفِقْهِ وَالحَدِيثِ وَالرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ الَّتِي يُثِيرُهَا أَعْدَاءُ الإِسْلامِ، فَهَذِهِ لا مَدْخَلَ لِلعَوَامِّ فِيهَا، بَلْ يُرْجَعُ فِي كُلِّ فَنٍّ فِيهَا إِلى أَهْلِهِ .

وَإِلى هَذَا أَشَارَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ [سورة النحل: ١٢٥] ، حَيثُ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ : **جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَرَاتِبَ الدَّعوَةِ بِحَسَبِ مَرَاتِبِ الْخَلْقِ : فَالْمُستَجِيبُ الْقَابِلُ الذَّكِيُّ الَّذِي لا يُعَانِدُ الْحَقَّ وَلا يَأْبَاهُ يُدْعَى بِطَرِيقِ الْحِكْمَةِ**[2] ؛ فَهَذَا بَاحِثٌ عَنِ الْحَقِّ طَالِبٌ لَهُ، فَلا يَحتَاجُ لأَكْثَرَ مِنْ حِكْمَةٍ يُدَلُّ بِهَا عَلَى الْحَقِّ، كَمَا فِي قِصَّةِ إِسْلامِ أَبِي بَكْرٍ، وإِسْلامِ أَبِي ذَرٍّ، وَإِسْلامِ سَلمَانَ وغَيرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رضوان الله عليهم أجمعين الَّذِينَ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنِ الْحَقِّ، فَلا يَحْتَاجُونَ لِمَوعِظَةٍ لِوُجُودِ الرَّغبَةِ عِندَهُم، وَلا لِلْمُجَادَلَةِ لِعَدَمِ الْمُعَانَدَةِ. **وَالْقَابِلُ الَّذِي عِنْدَهُ نَوعُ غَفْلَةٍ وَتَأَخُّرٍ يُدْعَى بِالْمَوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَهِيَ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَقرُونُ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ**؛ فَهَذَا مَشغُولٌ بِشَهَوَاتِهِ، مَغْرُورٌ بِدُنْيَاهُ، ولَكِنَّهُ لَو دُعِيَ إِلى الْحَقِّ لأَجَابَ، وَذَلِكَ لِسَلامَةِ قَلبِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ الْمُضِلَّةِ، فَهَذَا يَحتَاجُ إِلى تَرغِيبٍ فِيمَا عِندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الثَّوَابِ، وَتَرهِيبٍ مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعِقَابِ، وَبَعدَ مَجِيءِ الرَّغبَةِ والرَّهبَةِ عِنْدَهُ يَصِيرُ مِنَ الْقِسْمِ الأَوَّلِ، فَيُؤْمَرُ وَيُنْهَى بِالحِكْمَةِ . وهَذَانِ القِسْمَانِ يُمَثِّلانِ عَامَّةَ الْمُسلِمِينَ، فَلا يَحْتَاجُونَ فِي دَعْوَتِهِم وتَذْكِيرِهِم إِلى مُجَادَلَةٍ لِعَدَمِ الْمُعَانَدَةِ مِنْ

---

(١) سيأتي كلام النووي بطوله في شرح الحديث الخامس ص (٢٤) .

(٢) (الْمُظَلَّلُ هو كلام ابن القيم، وما بعده توضيح لكلامه، وكذا في القسمين التاليين) .

www.saida-islam.weebly.com

قِبَلِهِمْ، وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَستَطِيعُونَ الْقِيَامَ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الدَّعوَةِ؛ وَالْمَصَالِحُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى قِيَامِ العَوَامِّ بِهَذِهِ الدَّعوَةِ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ مَفَاسِدِهَا سيأتي فِي دَعوَةِ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لأَقْوَامِهِم، وَكَانُوا حَدِيثِي الْعَهْدِ بِالإِسْلامِ، كَأَبِي بَكْرٍ وَأَبِي ذَرٍّ، وَالطُّفَيلِ بْنِ عَمروٍ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَدَعوَةِ الْجِنِّ لِقَومِهِم لَمَّا سَمِعُوا القُرآنَ، ثُمَّ وَلَّوا إِلى قَومِهِم مُنْذِرِينَ، وغَيرِهِم كَمَا سَيَأْتِي، فَلا تُتْرَكُ هَذِهِ الدَّعوَةُ لِمَفَاسِدَ مُتَوَهَّمَةٍ أَوْ قَلِيلَةٍ لا تَكَادُ تُذْكَرُ أَمَامَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ، لأَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ بِالأَمْرِ بِكُلِّ مَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ خَالِصَةٌ أَوْ رَاجِحَةٌ، وَالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ مَفْسَدَةٌ خَالِصَةٌ أَوْ رَاجِحَةٌ (١). **وَالْمُعَانِدُ الْجَاحِدُ يُجَادَلُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**(٢)؛ فَهَذَا لَيسَ عِندَهُ طَلَبٌ لِلْحَقِّ وَلا هُوَ قَبولٌ لَهُ، بَلْ يَجْحَدُهُ ويُنْكِرُهُ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحتَاجُ إِلى مُجَادَلَةٍ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ يُدعَى بِالْمَوعِظَةِ الْحَسَنَةِ لِيَقْبَلَهُ، وَذَلِكَ بِبَيَانِ فَضَائِلِ اتِّبَاعِهِ لِلْحَقِّ وقَبُولِهِ لَهُ، فَإِذَا قَبِلَهُ وَانْقَادَ لَهُ فَبِالْحِكْمَةِ يُؤْخَذُ إِلَيهِ

---

(١) قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : **تَرْكُ الْخَيرِ الْكَثِيرِ الْغَالِبِ لأَجْلِ الشَّرِّ الْقَلِيلِ الْمَغْلُوبِ شَرٌّ كَثِيرٌ**. «مفتاح دار السعادة» (٣٦٧/١). وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَلْ فِي الْحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ تَعْطِيلُ الْخَيرِ الْكَثِيرِ لأَجْلِ شَرٍّ جُزْئِيٍّ يَكُونُ مِنْ لَوَازِمِهِ ؟ فَهَذَا الْغَيثُ الَّذِي يُحْيِي اللهُ بِهِ الْبِلادَ والْعِبَادَ وَالشَّجَرَ والدَّوَابَّ، كَمْ يَحْبِسُ مِنْ مُسَافِرٍ، وَيَمْنَعُ مِنْ قَصَّارٍ، وَيَهْدِمُ مِنْ بِنَاءٍ وَيَعُوقُ مِنْ مَصْلَحةٍ ؟ وَلَكِنْ أَيْنَ هَذَا مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْمَصَالِحِ ؟ وَهَلْ هَذِهِ الْمَفَاسِدُ فِي جَنْبِ مَصَالِحِهِ إِلاَّ كَتَفْلَةٍ فِي بَحْرٍ؟ وَهَلْ تَعْطِيلُهُ لِئَلاَّ تَحْصُلَ بِهِ هَذِهِ الْمَفَاسِدُ إِلاَّ مُوجِباً لأَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ وَالْهَلاكِ ؟ وَهَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي سَخَّرَهَا اللهُ لِمَنَافِعِ عِبَادِهِ وَإِنْضَاجِ ثِمَارِهِم وَأَقْوَاتِهِم وَتَربِيَةِ أَبْدَانِهِم وَأَبْدَانِ الْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيرِ، وَفِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ مَا فِيهَا، كَمْ تُؤْذِي مُسَافِراً وغَيرَهُ بِحَرِّهَا؟ وَكَمْ تُجَفِّفُ رُطُوبَةً ؟ وَكَمْ تُعَطِّشُ حَيَوَاناً ؟ وَكَمْ تَحْبِسُ عَنْ مَصْلَحَةٍ ؟ وَكَمْ تُنَشِّفُ مِنْ مَورِدٍ وتُحْرِقُ مِنْ زَرعٍ ؟ وَلَكِنْ أَيْنَ يَقَعُ هَذَا فِي جَنْبِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ الضَّرُورِيَّةِ وَالْمُكَمِّلَةِ ؟ فَتَعْطِيلُ الْخَيرِ الْكَثِيرِ لأَجْلِ الشَّرِّ اليَسِيرِ شَرٌّ كَبِيرٌ، وَهُوَ خِلافُ مُوجَبِ الحِكْمَةِ الَّتِي تَنَزَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنهُ. «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢١٣/١، ٢١٤). وقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : **قَدْ تَكُونُ الْمَفْسَدَةُ مِمَّا يُلْغَى مِثْلُهَا فِي جَانِبِ عِظَمِ الْمَصْلَحَةِ، وَهُوَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُتَّفَقَ عَلَى تَرجِيحِ الْمَصْلَحَةِ عَلَيهِ** . «الموافقات» (٩٦/٣).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١ / ١٩٣) . وَكَذَا قسَّم الإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْسَامَ النَّاسِ فِي الدَّعوَةِ إِلى هذه الأقسام الثلاثة . وانظر «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٥) .

وَيُدَلُّ عَلَيهِ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الدَّعوَةِ هُوَ الَّذِي يَقْصِدُهُ العُلَمَاءُ حِينَمَا يَشْتَرِطُونَ لِلدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ عَالِماً بِالأَحْكَامِ الشَّرعِيَّةِ وأُصُولِ الْفِقْهِ وقَوَاعِدِهِ وغَيرِهَا مِنَ الْعُلُومِ، لأَنَّهُ يَحتَاجُ لإِقْنَاعِ الْخَصْمِ مِنْ خِلالِ عَرضِ الْحُجَجِ وبَيَانِ الدَّلائِلِ لإِثْبَاتِ الْحَقِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيهِ، كَمَا يَحتَاجُ لإِبْطَالِ دَعوَى الْمُجَادِلِ بِدَحْضِ حُجَجِهِ وتَزْيِيْفِ أَقْوَالِهِ، وهَذَا لا يَسْتَطِيعُهُ إِلاَّ الْعَالِمُ الْمُخْتَصُّ، وَلا مَدْخَلَ لِلعَوَامِّ فِي هَذَا لِعِظَمِ الْمَفَاسِدِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى قِيَامِهِم بِهِ [١] .

وَلِغَرَضِ زِيَادَةِ الإِيضَاحِ لِهَذِهِ الحَقِيقَةِ، ولِئَلَّا يَقَعَ الخَلْطُ بَينَ عَمَلِ الدَّعْوَةِ الَّذِي هُوَ عَمَلُ كُلِّ مُسْلِمٍ ووَظِيفَتُهُ وبَينَ عَمَلِ الفَتْوَى الَّذِي يَخْتَصُّ بِفِئَةٍ خَاصَّةٍ اجْتَمَعَتْ فِيهَا مُوَاصَفَاتٌ خَاصَّةٌ، فَقَدْ قُمْتُ بِعَونِ اللهِ وتَوفِيقِهِ بِجَمْعِ أَرْبَعِينَ أَثَراً : مَا بَينَ حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ ووَاقِعَةٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ ﷺ، يَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِهَا أَنَّ التَّكْلِيفَ بِالدَّعْوَةِ والتَّبْلِيغِ والتَّشْرِيفَ بِهِمَا عَامٌّ لِجَمِيعِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الفَضَائِلَ الْمُرَتَّبَةَ عَلَى القِيَامِ بِهَا عَامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ قَامَ بِهَا مِنَ الأُمَّةِ، ولَا يَخْتَصُّ هَذَا بِالعُلَمَاءِ إِلَّا مَا سَبَقَ بَيَانُهُ .

---

(١) قلت : لَيسَ الجَدَلُ مَقْصُوداً لِذَاتِهِ فِي بَابِ الدَّعوَةِ، بَلْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ التَّرغِيبُ فِي تَرْكِهِ وَالتَّرهِيبُ مِنهُ، حَيثُ قَالَ ﷺ :" **أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً** ". رواه أبو دوواد عن أبي أمامة برقم (٤٨٠٢) وقال النووي في «رياض الصالحين»: حديث صحيح. وَالْمِرَاءُ: هُوَ الجِدَالُ، وَقَالَ ﷺ :" **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَىً كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ** ". رواه أحمد في مسنده برقم (٢٢٢١٨) والترمذي برقم (٣٢٥٣) وقال: حديث حسن صحيح . وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنَ الْجِدَالِ إِزَالَةُ الشُّبُهَاتِ الْعَالِقَةِ فِي أَذْهَانِ الْمُعَانِدِينَ، كَمَا قَالَ الإِمَامُ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : أَمَّا الجَدَلُ فَلَيسَ مِنْ بَابِ الدَّعوَةِ، بَلِ الْمَقْصُودُ مِنْهُ غَرَضٌ آخَرُ مُغَايِرٌ لِلدَّعوَةِ، وَهُوَ الإِلْزَامُ وَالإِفْحَامُ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لَمْ يَقُلْ أُدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالجَدَلِ الأَحْسَنِ، بَلْ قَطَعَ الجَدَلَ عَنْ بَابِ الدَّعوَةِ تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّهُ لا يُحَصِّلُ الدَّعوَةَ، وإِنَّمَا الغَرَضُ مِنهُ شَيْءٌ آخَرُ؛ واللهُ أَعلَمُ. «التفسير الكبير للرازي» (١٩ / ١١٤). فَالْمَقْصُودُ مِنَ الْجِدَالِ فِي بَابِ الدَّعْوَةِ هُوَ نَفْسُ الْمَقْصُودِ مِنَ الْقِتَالِ، حَيثُ إِنَّ الْقِتَالَ لا يُرَادُ لِذَاتِهِ، بَلْ يُرَادُ لإِزَالَةِ الْعَوَائِقِ الْمَادِّيَّةِ مِنْ أَمَامِ طَرِيقِ الدَّعْوَةِ، ولَوْ أَمْكَنَ إِيْصَالُ الْحَقِّ إِلَى النَّاسِ بِدُونِ الْقِتَالِ لَمَا احْتِيجَ إِلَيهِ؛ وكَذَلِكَ الْجِدَالُ لا يُرَادُ لِذَاتِهِ، وإِنَّمَا يُرَادُ مِنهُ إِزَالَةُ الْعَوَائِقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تَمْنَعُ وُصُولَ الْحَقِّ إِلَى النَّاسِ، وهِيَ الشُّبُهَاتُ الْعَالِقَةُ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ مِمَّا يُخَالِفُ الْحَقَّ ويَمْنَعُ مِنْ قَبُولِهِ ، ولَوْ أَمْكَنَ إِيْصَالُ الْحَقِّ إِلَى النَّاسِ بِدُونِهِ لَمَا احْتِيجَ إِلَيهِ.

www.saida-islam.weebly.com

كَمَا يَتَبَيَّنُ هَذَا أَيْضاً مِنْ قِيَامِ الصَّحَابَةِ ﷺ بِالرُّجُوعِ إِلَى أَقْوَامِهِمْ لِدَعْوَتِهِم إِلَى الإِسْلَامِ عَلَى الفَورِ مِنْ إِسْلَامِهِمْ، بِاسْتِئْذَانِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، أَوْ بِبَعْثِهِ ﷺ إِيَّاهُم لِذَلِكَ؛ ولَا شَكَّ أَنَّهُمْ فِي تِلْكَ الحَالِ لَمْ يَكُونُوا مِنَ العُلَمَاءِ، فَالقِيَامُ بِالدَّعْوَةِ لَا يَنْفَعُ ولَا يُؤْتِي أُكُلَهُ إِلَّا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، والتَّشَبُّهِ بِطَرَائِقِهِمْ فِي ذَلِكَ؛ كَيفَ لَا ؟! وهُمْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرُّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا، فَقَدِ اخْتَارَهُمُ اللهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقْلِ دِينِهِ .

واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوْزِعَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لأَدَاءِ حَقِّهِ، وَأَنْ يُعِيْنَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَإِلى دِيْنِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا قَصَدْنَاهُ فِيْ هَذَا الْكِتَابِ وَفِيْ غَيْرِهِ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ، وَنَصِيحَةً لِعِبَادِهِ، وَأَنْ يُعِيْذَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ قَرِيْبٌ مُجِيْبٌ؛ وَعَلَى اللهِ اعْتِمَادِيْ، وَإِلَيْهِ تَفْوِيْضِيْ وَاسْتِنَادِيْ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ، وَبِهِ التَّوْفِيْقُ وَالْعِصْمَةُ .

*****

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الأَوَّلُ

أَمْرُهُ ﷺ عُمُومَ أُمَّتِهِ بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ ﷺ وَلَوْ كَانَ المُبَلَّغُ آيَةً

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ :" **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**(١)، **وَحَدِّثُوا عَنْ**

---

(١) قَالَ الْمُعَافَى النَّهْرَوَانِيُّ فِي كِتَابِ الْجَلِيسِ لَهُ : وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ :" **وَلَوْ آيَةً** ". أَيْ وَاحِدَةً لِيُسَارِعَ كُلُّ سَامِعٍ إِلَى تَبْلِيغِ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْآيِ وَلَوْ قَلَّ، لِيَتَّصِلَ بِذَلِكَ نَقْلُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ . «فتح الباري» (٦/٤٩٨). وقوله :" **ولو** ". هنا للتقليل، يعني لا يقول الإنسان أنا لا أبلِّغ إلَّا إذا كنت عالماً كبيراً، لا بل يبلغُ الإنسانُ ولو آيةً، بشرط أن يكون قد عَلِمَهَا. «شرح رياض الصالحين لابن عثيمين». وهذا لأن الدعوة إلى الله ﷻ وظيفة كل مسلم وسبيله للوصول إلى رضوان الله ﷻ؛ قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ ﷻ : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾[يوسف: ١٠٨]، وسَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي يَدْعُو إِلى الله عَلَى بَصِيْرَةٍ، أَوْ كَانَ الْوَقْفُ عِنْدَ قَولِهِ : ﴿ **أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ** ﴾ ثُمَّ يَبْتَدِئُ : ﴿ **عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾، فَالْقَولانِ مُتَلازِمَانِ، فَإِنَّهُ أَمَرَهُ ﷻ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّ سَبِيْلَهُ الدَّعْوَةُ إِلى اللهِ، فَمَنْ دَعَا إِلى الله ﷻ فَهُوَ عَلَى سَبِيْلِ رَسُولِهِ ﷺ وهُوَ عَلَى بَصِيْرَةٍ، وَهُوَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، ومَنْ دَعَا إِلى غَيْرِ ذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَى سَبِيْلِهِ، ولا هُوَ عَلَى بَصِيْرَةٍ، ولا هُوَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَالدَّعْوَةُ إِلَى الله ﷻ هِيَ وَظِيْفَةُ الْمُرْسَلِيْنَ وَأَتْبَاعِهِمْ، وهُمْ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ فِي أُمَمِهِمْ، وَالنَّاسُ تَبَعٌ لَهُمْ، والله ﷻ قَدْ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يُبَلِّغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وضَمِنَ حِفْظَهُ وعِصْمَتَهُ مِنَ النَّاسِ، وهَكَذَا الْمُبَلِّغُونَ عَنْهُ مِنْ أُمَّتِهِ، لَهُمْ مِنْ حِفْظِ اللهِ وعِصْمَتِهِ إِيَّاهُمْ بِحَسَبِ قِيَامِهِمْ بِدِيْنِهِ وتَبْلِيْغِهِمْ لَهُ، وقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّبْلِيْغِ عَنْهُ وَلَوْ آيَةً، ودَعَا لِمَنْ بَلَّغَ عَنْهُ ولَوْ حَدِيثاً، وتَبْلِيغُ سُنَّتِهِ إِلى الأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ تَبْلِيْغِ السِّهَامِ إِلى نُحُورِ الْعَدُوِّ، لأَنَّ ذَلِكَ التَّبْلِيغَ يَفْعَلُهُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، وأَمَّا تَبْلِيغُ السُّنَنِ فَلا تَقُومُ بِهِ إِلاَّ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وخُلَفَاؤُهُمْ فِي أُمَمِهِم، جَعَلَنَا اللهُ ﷻ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ. «جلاء الإفهام في فضل الصلاة على خير الأنام» ص (٢١٥-٢١٦). وقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي نفس الآية : قَالَ الْفَرَّاءُ وجَمَاعَةٌ : ﴿ **وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى الضَّمِيْرِ فِي : ﴿ **أَدْعُوٓاْ** ﴾، يَعْنِي وَمَنِ اتَّبَعَنِي يَدْعُو إِلَى اللهِ كَمَا أَدْعُو، وهَذَا قَولُ الكَلْبِيِّ، قَالَ : **حَقٌّ عَلَى كُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَيُذَكِّرَ بِالْقُرْآنِ وَالْمَوْعِظَةِ** . ويَقْوَى هَذَا القَولُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ؛ قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: يَجُوزُ أَنْ يَتِمَّ الكَلامُ عِنْدَ قَولِهِ : ﴿ **إِلَى ٱللَّهِ ۚ** ﴾ ثُمَّ يَبْتَدِئُ بِقَولِهِ : ﴿ **عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾، فَيَكُونُ الكَلامُ عَلَى قَولِهِ جُمْلَتَيْنِ، أَخْبَرَ فِي أَوَّلِهَا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى اللهِ، وفِي الثَّانِيَةِ بِأَنَّهُ وَأَتْبَاعَهُ عَلَى بَصِيْرَةٍ، وَالقَوْلانِ مُتَلازِمَانِ، فَلا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْ أَتْبَاعِهِ حَقّاً حَتَّى يَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَقَوْلُ الْفَرَّاءِ أَحْسَنُ وأَقْرَبُ إِلَى الْفَصَاحَةِ =

www.saida-islam.weebly.com

=والبَلاغَةِ. «مفتاح دار السعادة» (١٩٣/١) . وتقدم قول ابْنُ أَسْلَمَ في الآية : **وَحَقٌّ وَاللهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَيُذَكِّرَ بِالْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمَعَاصِي**. وقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ في قَولِهِ تَعَالَى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]: **فَحَقٌّ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ كَالَّذِي دَعَا رَسُولُ الله ﷺ وأَنْ يُنْذِرَ كَالَّذِي أَنْذَرَ بِهِ**. «تفسير ابن كثير» (١٣١/٢) . وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في مَوْضِعٍ آخَرَ: قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، قَالَ الْحَسَنُ الْبِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : **هَذَا حَبِيْبُ الله، هَذَا وَلِيُّ الله، هَذَا صَفْوَةُ الله، هَذَا خِيرَةُ الله، هَذَا أَحَبُّ الْخَلْقِ إلى الله، أَجَابَ الله في دَعْوَتِهِ، ودَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ الله فِيْهِ مِنْ دَعْوَتِهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ، فَهَذَا خَلِيْفَةُ الله** . أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره برقم (٣٠٥٤٢) . وروى أحمد في «الزهد» برقم (١٦٧١) عن الحسن أَنَّهُ قال : **أَحَبُّ العِبَادِ إِلَى الله الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ الله إِلَى عِبَادِهِ وَيَعْمَلُونَ في الأَرْضِ نُصَّحاً** . وأخرج الطبري في «تهذيب الآثار» (١٠٠٢) عن بكر بن عبد الله المزني قال : **لَوْ أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ وهُوَ مَمْلُوءٌ مُفْعَمٌ بالرِّجَالِ، فَقِيلَ : مَنْ خَيْرُهُم؟ لَقُلْتُ: أَنْصَحُهُمْ لَهُمْ؛ ولَوْ أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ وهُوَ مَمْلُوءٌ مُفْعَمٌ بالرِّجَالِ، فَقِيلَ: مَنْ شَرُّهُم؟ لَقُلْتُ: أَغَشُّهُمْ لَهُمْ**، فَهَذَا النَّوْعُ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الإِنْسَانِ وَأَعْلاهُمْ دَرَجَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ، وهُمْ ثَنِيَّةُ الله تَعَالَى مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ١-٣]، فَأَقْسَمَ تَعَالَى عَلَى خُسْرَانِ نَوْعِ الإِنْسَانِ إِلاَّ مَنْ كَمَّلَ نَفْسَهُ بِالإِيْمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَمَّلَ غَيْرَهُ بِوَصِيَّتِهِ لَهُ بِهِمَا، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : **لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي سُوْرَةِ الْعَصْرِ لَكَفَتْهُمْ**. ولا يَكُونُ مِنْ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى الْحَقِيْقَةِ إِلاَّ مَنْ دَعَا إِلَى الله عَلَى بَصِيْرَةٍ، قال تَعَالَى :﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، فَقَولُهُ : ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تَفْسِيْرٌ لِسَبِيْلِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، فَسَبِيْلُهُ وسَبِيْلُ أَتْبَاعِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى الله، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى الله فَلَيْسَ عَلَى سَبِيْلِهِ . وقَوْلُهُ : ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ قَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ : البَصِيْرَةُ الثَّبَاتُ فِي الدِّيْنِ، وقِيْلَ البَصِيْرَةُ الْعِبْرَةُ، كَمَا يُقَالُ : أَلَيْسَ لَكَ فِي ذَلِكَ بَصِيْرَةٌ أَيْ عِبْرَةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ: **فِي الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ القُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ** . وَالتَّحْقِيْقُ : الْعِبْرَةُ ثَمَرَةُ البَصِيْرَةِ، فَإِذَا تَبَصَّرَ اعْتَبَرَ، فَمَنْ عَدِمَ العِبْرَةَ فَكَأَنَّهُ لا بَصِيْرَةَ لَهُ، وَأَصْلُ اللَّفْظِ مِنَ الظُّهُورِ وَالبَيَانِ، فَالقُرْآنُ بَصَائِرُ أَيْ أَدِلَّةٌ وَهُدَىً وبَيَانٌ يِقُودُ إِلَى الْحَقِّ، وَيَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ، .. فَسَبِيْلُهُ وسَبِيْلُ أَتْبَاعِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ . «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» ص (٢١).

بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ[١]، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "[٢] .

---

(١) أَيْ لَا ضِيقَ عَلَيْكُمْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ مِنْهُ ﷺ الزَّجْرُ عَنِ الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ، ثُمَّ حَصَلَ التَّوَسُّعُ فِي ذَلِكَ، وَكَأَنَّ النَّهْيَ وَقَعَ قَبْلَ اسْتِقْرَارِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَاعِدِ الدِّينِيَّةِ، خَشْيَةَ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ لَمَّا زَالَ الْمَحْذُورُ وَقَعَ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ لِمَا فِي سَمَاعِ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الِاعْتِبَارِ، وَقَالَ مَالِكٌ : الْمُرَادُ جَوَازُ التَّحَدُّثِ عَنْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ حَسَنٍ أَمَّا مَا عُلِمَ كَذِبُهُ فَلَا . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُجِيزُ التَّحَدُّثَ بِالْكَذِبِ، فَالْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ كَذِبَهُ، وَأَمَّا مَا تُجَوِّزُونَهُ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّحَدُّثِ بِهِ عَنْهُمْ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ ﷺ :" **إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ** ".

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٦١) . ومعنى قوله :" **فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** ". قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ فَلْيَنْزِلْ، وَقِيلَ فَلْيَتَّخِذْ مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهُ دُعَاءٌ بِلَفْظِ الْأَمْرِ : أَيْ بَوَّأَهُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَكَذَا فَلْيَلِجِ النَّارَ، ثُمَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ هَذَا جَزَاؤُهُ وَقَدْ يُجَازَى بِهِ وَقَدْ يَعْفُو اللَّهُ الْكَرِيمُ عَنْهُ وَلَا يُقْطَعُ عَلَيْهِ بِدُخُولِ النَّارِ. وقَيَّدَ ﷺ الكَذِبَ بِالْعَمْدِ لِكَوْنِهِ قَدْ يَكُونُ عَمْدًا وَقَدْ يَكُونُ سَهْوًا، مَعَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ وَالنُّصُوصَ الْمَشْهُورَةَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُتَوَافِقَةٌ مُتَظَاهِرَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَى الناسي والغالط، فَلَوْ أَطْلَقَ ﷺ الْكَذِبَ لَتُوُهِّمَ أَنَّهُ يَأْثَمُ النَّاسِي أَيْضًا فَقَيَّدَهُ . وفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَعْظِيمُ تَحْرِيمِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ ﷺ وَأَنَّهُ فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ وَمُوبِقَةٌ كَبِيرَةٌ، ثُمَّ إِنَّ مَنْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمْدًا فِي حديث واحد فسق وردت رواياته كُلُّهَا وَبَطَلَ الِاحْتِجَاجُ بِجَمِيعِهَا . وفيه أيضاً أنه يَحْرُمُ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ الْمَوْضُوعِ عَلَى مَنْ عَرَفَ كَوْنَهُ مَوْضُوعًا أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ وَضْعُهُ، فَمَنْ رَوَى حَدِيثًا عَلِمَ أَوْ ظَنَّ وَضْعَهُ وَلَمْ يُبَيِّنْ حَالَ رِوَايَتِهِ وَضْعَهُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْوَعِيدِ مُنْدَرِجٌ فِي جُمْلَةِ الْكَاذِبِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا :" **مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ** ". وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ رِوَايَةَ حَدِيثٍ أَوْ ذَكَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا أَوْ حَسَنًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَا أَوْ فَعَلَهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنْ صِيَغِ الْجَزْمِ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا فَلَا يَقُلْ قَالَ أَوْ فَعَلَ أَوْ أَمَرَ أَوْ نَهَى وَشِبْهَ ذَلِكَ مِنْ صِيَغِ الْجَزْمِ، بَلْ يَقُولُ رُوِيَ عَنْهُ كَذَا، أَوْ جَاءَ عَنْهُ كَذَا، أَوْ يُرْوَى، أَوْ يُذْكَرُ، أَوْ يُحْكَى، أَوْ يقال، أوبلغنا وَمَا أَشْبَهَهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ. قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ رَوَى الحديث بِالْمَعْنَى أَنْ يَقُولَ بَعْدَهُ : أوكما قَالَ، أَوْ نَحْوَ هَذَا، كَمَا فَعَلَتْهُ الصَّحَابَةُ فمن بعدهم والله أعلم . «شرح مسلم للنووي» (١/٧٠-٧١) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّانِي

دُعَاؤُهُ ﷺ لِمَنْ بَلَّغَ عَنْهُ حَدِيثاً بِنضَارَةِ الوَجْهِ ولَوْ كَانَ عَامِّيّاً

عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **نَضَّرَ**(١) **اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا**(٢)**، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ**

---

(١) النَّضْرَةُ : هِيَ الْبَهْجَةُ والْحُسْنُ الَّذِي يُكْسَاهُ الْوَجْهُ مِنْ آثَارِ الإِيْمَانِ وابْتِهَاجِ الْبَاطِنِ بِهِ، وفَرَحِ الْقَلْبِ وسُرُورِهِ وَالْتِذَاذِهِ بِهِ، فَتَظهَرُ هَذِهِ البَهْجَةُ وَالسُّرُورُ والفَرحَةُ نَضَارَةً عَلَى الوَجْهِ، ولِهَذَا يَجْمَعُ لَهُ تَعَالَى بَينَ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ وَالنَّضْرَةِ، كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان: ١١] ، فَالنَّضرَةُ فِي وُجُوهِهِم وَالسُّرُورُ فِي قُلُوبِهِم، والنَّعِيمُ وطِيبُ الْقَلْبِ يَظهَرُ نَضَارَةً فِي الْوَجهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤] ، والمَقصُودُ أَنَّ هَذِهِ النَّضْرَةَ فِي وَجْهِ مَنْ سَمِعَ سُنَّةَ رَسُولِ الله ﷺ وَوَعَاهَا وحَفِظَهَا وبَلَّغَهَا، فَهِيَ أَثَرُ تِلْكَ الحَلاوَةِ والسُّرُورِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ وبَاطِنِهِ . «مفتاح دار السعادة» (١/ ٩٤).

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله : فِي هَذَا دُعَاءٌ مِنْهُ لِمَنْ بَلَّغَ حَدِيثَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيهًا، وَدُعَاءٌ لِمَنْ بَلَّغَهُ وَإِنْ كَانَ الْمُستَمِعُ أَفْقَهَ مِنْ الْمُبَلِّغ؛ لِمَا أُعْطِيَ الْمُبَلِّغُونَ مِنَ النَّضْرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ فِي مَقَامِ الصَّحَابَةِ مِنْ تَبْلِيغِ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ اه. وفِيهِ فَضْلُ اسْتِمَاعِ الحَدِيثِ بِتَوَجُّهٍ وإمْعَانٍ وتَدَبُّرٍ، لِيَحْفَظَهُ ويَعِيَهُ ويُبَلِّغَهُ مَنْ لَمْ يَسمَعْهُ، وهَذِهِ أَربَعُ مَرَاتِب، **أَوَّلُهَا وَثَانِيهَا** : سَمَاعُهُ وعَقْلُهُ، فَإِذَا سَمِعَهُ وَعَاهُ بِقَلبِهِ أَيْ عَقَلَهُ وَاسْتَقَرَّ فِي قَلبِهِ كَمَا يَستَقِرُّ الشَّيءُ الَّذِي يُوعَى فِي وِعَائِهِ وَلا يَخْرُجُ مِنهُ، وَكَذَلِكَ عَقْلُهُ بِمَنْزِلَةِ عِقَالِ الْبَعيرِ وَالدَّابَّةِ ونَحْوِهَا حَتَّى لا تَشْرُدَ وتَذْهَبَ، **الْمَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ** : تَعَاهُدُهُ وحِفْظُهُ حَتَّى لا يَنْسَاهُ فَيَذهَبَ، **الْمَرتَبَةُ الرَّابِعَةُ** : تَبلِيغُهُ وبَثُّهُ فِي الأُمَّةِ لِيَحصُلَ بِهِ ثَمَرَتُهُ ومَقْصُودُهُ وهُوبَثُّهُ فِي الأُمَّةِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْكَنْزِ الْمَدفُونِ فِي الأَرضِ الَّذِي لا يُنفَقُ مِنهُ، وهُوَ مُعَرَّضٌ لِذَهَابِهِ، فَإِنَّ الْعِلمَ مَا لَمْ يُنفَقْ مِنْهُ ويُعَلَّمْ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَذهَبَ، فَإِذَا أُنفِقَ مِنهُ نَمَا وزَكَا عَلَى الإنفَاقِ، فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الأَربَعِ دَخَلَ تَحتَ هَذِهِ الدَّعوَةِ النَّبوِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ كَمَالَ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ . «مفتاح دار السعادة» (١/ ٩٥).

قَلْبُ مُسْلِمٍ[١]، إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ[٢] "[٣].

---

(١) أَيْ أَنَّ قَلبَ الْمُسلمِ لا يَدْخُلُ فِيهِ خِيَانَةٌ أَوْ حِقْدٌ يَمْنَعُهُ مِنْ تَبْلِيغِ الْعِلْمِ، فَيَنْبَغِي لَهُ الثَّبَاتُ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ حَتَّى لا يَمْنَعَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّبْلِيغِ، وَبِهَذَا ظَهَرَ مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِمَا قَبْلَهَا.

(٢) هَذَا مِنْ أَحسَنِ الْكَلامِ وأَوجَزِهِ وأَفخَمِهِ مَعْنىً، شَبَّهَ دَعوَةَ الْمُسلِمِينَ بالسُّورِ والسِّيَاجِ الْمُحِيطِ بِهِمُ الْمَانِعِ مِنْ دُخُولِ عَدُوِّهِم عَلَيهِم، فَتِلكَ الدَّعوَةُ الَّتِي هِيَ دَعوَةُ الإِسْلامِ وهُمْ دَاخِلُوهَا، وَلَمَّا كَانَتْ سُوراً وسِيَاجاً عَلَيهِمْ، أَخبَرَ أَنَّ مَنْ لَزِمَ جَمَاعَةَ الْمُسلِمِينَ أَحَاطَتْ بِهِ تِلْكَ الدَّعوَةُ الَّتِي هِيَ دَعْوَةُ الإِسْلامِ، كَمَا أَحَاطَتْ بِهِم، فَالدَّعوَةُ تَجْمَعُ شَمْلَ الأُمَّةِ، وتَلُمُّ شَعْثَهَا، وتُحِيطُ بِهَا، فَمَنْ دَخَلَ فِي جَمَاعَتِهَا أَحَاطَتْ بِهِ وشَمِلَتْهُ . «مفتاح دار السعادة» (١ / ٩٥).

(٣) رواه الترمذي برقم (٢٦٥٨) وقال: حديث حسن صحيح، وفي لفظ :" **نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ**". ورقمه (٢٦٥٧)، ورواه ابن ماجه عنه برقم (٢٣٢) ولفظه :" **نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَبَلَّغَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَحْفَظُ مِنْ سَامِعٍ**"، ورواه البيهقي عنه في «شعب الإيمان» برقم (١٧٣٨) ولفظه :" **نَضَّرَ اللهُ رَجُلاً سَمِعَ مِنَّا كَلِمَةً فَبَلَّغَهَا كَمَا سَمِعَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوعَى مِنْ سَامِعٍ**"، ورواه أحمد برقم (٤١٥٧) ورواه الترمذي أيضاً عن زيد بن ثابت برقم (٢٦٥٦) بلفظ: "**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيرَهُ** ...". وقال: حديث حسن، ورواه عنه أيضاً أبو داوود برقم (٣٦٦٢) وابن ماجه برقم (٢٣٠)، ورواه أيضا عن أنس بن مالك برقم (٢٣٦) وقال السندي: قد تكلم في الزوائد على بعض الأحاديث من رقم (٢٣٠ إلى ٢٣٦) إلاَّ أَنَّ متونها ثابتة عن الأئمة، ورواه عنه أحمد في المسند برقم (١٣٣٧٤) ورواه أيضاً عن جبير بن مطعم برقم (١٦٧٨٤) و(١٦٨٠٠) كما رواه عنه الحاكم برقم (٢٩٤) ولفظه :" **نَضَّرَ اللهُ عَبداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا إِلى مَنْ لَمْ يَسمَعْهَا** ". وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال جبير في بدايته : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالخَيفِ مِنْ مِنىً.. وكذا في رواية أنس عند الطبراني في الأوسط. وذلك في حِجَّةِ الوَدَاع. ورواه الحاكم أيضاً عن النعمان بن بشير برقم (٢٩٧) بلفظ :" **نَضَّرَ اللهُ وَجهَ امْرِئٍ سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَمَلَهَا**..." وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الحاكم: وفي الباب عن جماعة من الصحابة، ومنهم عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وأنس وغيرهم، قال في الزوائد: وفي الباب أيضاً مما لم يذكره الحاكم عن أبي بن كعب وبشير بن سعد الأنصاري وجابر بن عبد الله وزيد بن ثابت وسعد ابن وقاص وعمرو بن قرة الفزاري وأبي أمامة الباهلي وأبي الدرداء وأبي سعيد الخدري وأبي قرطافة وغيرهم، وقال الحافظ ابن حجر: الحديث صحيح المتن وإن كان بعض أسانيده معلولاً . «فيض القدير» (٣٧٦/٦).

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ :" **نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا ثُمَّ ذَهَبَ إِلى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا**[١]، **فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**[٢].. "[٣] .

*****

(١) فِيهِ أَنَّ الْمُبَلِّغَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ لا يَنتَظِرُ قُدُومَ النَّاسِ إِلَيهِ لِيُبَلِّغَهُمْ، بَل هُوَ الَّذِي يَذهَبُ بِمَقَالَتِهِ ﷺ إلى النَّاسِ كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَذهَبُ إلى النَّاسِ فِي أَسْوَاقِهِم ومَنَازِلِهِم ومَجَامِعِهِم وأَنْدِيَتِهِم، ويَتَحَمَّلُ أَذَاهُم فِي ذَلِكَ. وهَكَذَا كَانَ الأَنبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَمَا تَرَكُوا النَّاسَ عَلَى جَهلِهِم وَانْتَظَرُوا مَجِيئَهُم، بَل كَانُوا يُنَادُونَ النَّاسَ فِي مَجَامِعِهِم ويَدُورُونَ عَلَى أَبوَابِهِم فِي الابْتِدَاءِ، ويَطْلُبُونَ وَاحِداً وَاحِداً فَيُرشِدُونَهُم .

(٢) هَذَا أَمْرٌ بِالتَّبلِيغِ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيَعُمَّ الْبَلاغُ الْكُلَّ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى عُمُومِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ، وَلأَنَّهُ قَدْ يَفْهَمُ الْمُبَلَّغُ مَا لا يَفْهَمُهُ الْحَامِلُ مِنَ الأَسْرَارِ وَالْعُلُومِ؛ وفِيهِ أَنَّ الفَهْمَ لَيسَ شَرطاً فِي تَبلِيغِ مَا سَمِعَهُ الْمُسلِمُ، بَل عَلَيهِ أَنْ يُبَلِّغَ غَيرَهُ، كَمَا فِيهِ تَنبِيهٌ عَلَى فَائِدَةِ التَّبلِيغِ، وأَنَّ الْمُبَلَّغَ قَدْ يَكُونُ أَفهَمَ مِنَ الْمُبَلِّغِ، فَيَحْصُلُ لَهُ فِي تِلكَ الْمَقَالَةِ مَا لَمْ يَحصُلْ لِلْمُبَلِّغِ. «مفتاح دار السعادة» (١ / ٩٤) و«فتح الباري» (١/١٥٩). كما فِيهِ أَنَّ اسْتِمَاعَ الحَدِيثِ يَكُونُ بِنِيَّةِ الْعَمَلِ والتَّبلِيغِ، كَمَا فِي رِوَايَة :" **نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيْثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ** ". وقال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّفَقُّهِ وَالتَّعَلُّمِ دَعْوَةَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَإِرْشَادَهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لِأَنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، لِأَجْلِ أَنَّهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْذَرُوهُمْ بِالدِّينِ الْحَقِّ، وَأُولَئِكَ يَحْذَرُونَ الْجَهْلَ وَالْمَعْصِيَةَ وَيَرْغَبُونَ فِي قَبُولِ الدِّينِ. فَكُلُّ مَنْ تَفَقَّهَ وَتَعَلَّمَ لِهَذَا الْغَرَضِ كَانَ عَلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهُ وَطَلَبَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ كَانَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وهُم يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط برقم (٩٤٤٤) .

الحَدِيثُ الثَّالِثُ

بَيَانُهُ ﷺ أَنَّ عِمَادَ الدِّينِ وَقِوَامَهُ النَّصِيحَةُ، وَبَيَانُ وُجُوبِهَا عَلَى عَامَّةِ المُكَلَّفِينَ

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **الدِّينُ النَّصِيحَةُ**(١) ". قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : "**لِلَّهِ**(٢)، **وَلِكِتَابِهِ**(٣)، **وَلِرَسُولِهِ**(٤)،

---

(١) قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحَظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، قَالَ : وَيُقَالُ هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ وَمُخْتَصَرِ الْكَلَامِ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا العبارة عن المعنى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ: لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعَ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ، قَالَ : وَقِيلَ النَّصِيحَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ، فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثَّوْبِ، قَالَ : وَقِيلَ إِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحْتُ الْعَسَلَ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ، شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ، قَالَ: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ عماد الدين وقوامه النصيحة، كَقَوْلِهِ :" **الْحَجُّ عَرَفَةٌ**"، أَيْ عِمَادُهُ وَمُعْظَمُهُ عَرَفَةُ.

(٢) النَّصِيحَةُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعْنَاهَا مُنْصَرِفٌ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَنَفْيِ الشَّرِيكِ عَنْهُ وَتَرْكِ الْإِلْحَادِ فِي صِفَاتِهِ، وَوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ كُلِّهَا، وَتَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ وَالْحُبِّ فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة مَنْ عَصَاهُ وَجِهَادِ مَنْ كَفَرَ بِهِ وَالِاعْتِرَافِ بِنِعْمَتِهِ وَشُكْرِهِ عَلَيْهَا وَالْإِخْلَاصِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالدُّعَاءِ إِلَى جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ وَالْحَثِّ عَلَيْهَا وَالتَّلَطُّفِ فِي جَمِيعِ النَّاسِ أَوْ مَنْ أَمْكَنَ مِنْهُمْ عَلَيْهَا، قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ نُصْحِ النَّاصِحِ .

(٣) النصيحة لكتابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالإيمان بأنه كَلَامُ اللَّهِ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيلُهُ، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَتَحْسِينُهَا وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ وَالذَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ وَالتَّصْدِيقُ بِمَا فِيهِ، وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ وَتَفَهُّمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ وَالِاعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ وَالْبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَنَشْرُ عُلُومِهِ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ وإلى ما ذكرناه مِنْ نَصِيحَتِهِ.

(٤) النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هي تَصْدِيقُهُ عَلَى الرِّسَالَةِ وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ ونهيه ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عَادَاهُ وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَاهُ وَإِعْظَامُ حَقِّهِ وَتَوْقِيرُهُ وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَبَثُّ دَعْوَتِهِ وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ وَنَفْيُ التُّهْمَةِ عَنْهَا وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا وَالتَّلَطُّفُ فِي تَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا وَإِعْظَامُهَا وَإِجْلَالُهَا وَالتَّأَدُّبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الكلام فيها بغير علم واجلال أهلها لانتسابها إِلَيْهَا وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمُجَانَبَةُ مَنِ ابْتَدَعَ فِي سُنَّتِهِ أوتعرض لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

www.saida-islam.weebly.com

وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ[(١)]**، وَعَامَّتِهِمْ**[(٢)] " [(٣)] .

(١) النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ وأمرهم به وتنبيهم وَتَذْكِيرُهُمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَتَأَلُّفُ قُلُوبِ النَّاسِ لِطَاعَتِهِمْ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمِنَ النَّصِيحَةِ لَهُمُ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ وَأَدَاءُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءُ عِشْرَةٍ، وَأَنْ لَا يُغَرُّوا بِالثَّنَاءِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُهُمْ ممن يقوم بأمور المسلمين مِنْ أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَحَكَاهُ أَيْضًا الْخَطَّابِيُّ ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ يُتَأَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاءُ الدِّينِ، وَأَنَّ مِنْ نَصِيحَتِهِمْ قَبُولُ مَا رَوَوْهُ وَتَقْلِيدُهُمْ فِي الْأَحْكَامِ وَإِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِمْ .

(٢) نَصِيحَةُ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مَنْ عَدَا وُلَاةِ الْأَمْرِ : هي إِرْشَادُهُمْ لِمَصَالِحِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ فَيُعَلِّمُهُمْ مَا يَجْهَلُونَهُ مِنْ دِينِهِمْ وَيُعِينُهُمْ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَسَتْرُ عَوْرَاتِهِمْ وَسَدُّ خَلَّاتِهِمْ وَدَفْعُ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ وَجَلْبُ الْمَنَافِعِ لَهُمْ وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ بِرِفْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ وَرَحْمَةُ صَغِيرِهِمْ وَتَخَوُّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَتَرْكُ غِشِّهِمْ وَحَسَدِهِمْ وَأَنْ يُحِبَّ لهم ما يحب لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَالذَّبُّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَحَثُّهُمْ عَلَى التَّخَلُّقِ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنْوَاعِ النصيحة وتنشيط هممهم إِلَى الطَّاعَاتِ وَقَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ ﷺ مَنْ تَبْلُغُ بِهِ النَّصِيحَةُ إِلَى الْإِضْرَارِ بِدُنْيَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) رواه مسلم برقم (٥٥) وترجم عليه البخاري في صحيحه، وجاء في رواية أخرى عن تَمِيمٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ** ". قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ :" **لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِنَبِيِّهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** ". قال النووي : هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ وَعَلَيْهِ مَدَارُ الْإِسْلَامِ وَأَمَّا مَا قَالَهُ جماعات من العلماء أَنَّهُ أَحَدُ أَرْبَاعِ الْإِسْلَامِ أَيْ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَجْمَعُ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَلَيْسَ كَمَا قَالُوهُ، بَلِ الْمَدَارُ عَلَى هَذَا وَحْدَهُ.اه وقال ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّصِيحَةَ تُسَمَّى دِينًا وَإِسْلَامًا وَأَنَّ الدِّينَ يَقَعُ عَلَى الْعَمَلِ كَمَا يَقَعُ عَلَى الْقَوْلِ، قَالَ : وَالنَّصِيحَةُ فَرْضٌ يُجْزِي فِيهِ مَنْ قَامَ بِهِ وَيَسْقُطُ عَنِ الْبَاقِينَ، قَالَ : وَالنَّصِيحَةُ لَازِمَةٌ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ إِذَا عَلِمَ النَّاصِحُ أَنَّهُ يُقْبَلُ نُصْحُهُ وَيُطَاعُ أَمْرُهُ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ الْمَكْرُوهَ، فَإِنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ أَذًى فَهُوَ فِي سَعَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الحَدِيثُ الرَّابِعُ

مُبَايَعَةُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى دَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى الإِسْلامِ، وَنُصْحِهِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَوْرَ إِسْلامِهِ

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (١) .

وفي رِوَايَةٍ عَنْهُ رضي الله عنه، قَالَ : إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ : أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ . فَشَرَطَ عَلَيَّ :" **وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** ". فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا (٢) .

---

(١) رواه البخاري (٢١٥٧) واللفظ له، ومسلم (٥٦) .

(٢) رواه البخاري (٥٨) . وفي رواية عند الطبراني في الصغير (٥٢٢) قال رضي الله عنه : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَدَعَانِي فَقَالَ :" **لَا أَقْبَلُ مِنْكَ حَتَّى تُبَايِعَ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** ". فَبَايَعْتُهُ. قال الهيثمي: وإسناده حسن. وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِحَدِيثِ جَرِيرٍ مَنْقَبَةٌ وَمَكْرُمَةٌ لِجَرِيرٍ رضي الله عنه رَوَاهَا الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ، اخْتِصَارُهَا أَنَّ جَرِيرًا أَمَرَ مَوْلَاهُ أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ فَرَسًا فَاشْتَرَى بِثَلَثِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَجَاءَ بِهِ وَبِصَاحِبِهِ لِيَنْقُدَهُ الثَّمَنَ، فَقَالَ جَرِيرٌ لِصَاحِبِ الْفَرَسِ : فَرَسُكَ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ دِرْهَمٍ، أَتَبِيعُهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ : فَرَسُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أَتَبِيعُهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ؟ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُ مِائَةً فَمِائَةً وَصَاحِبُهُ يَرْضَى وَجَرِيرٌ يَقُولُ : فَرَسُكَ خَيْرٌ إِلَى أَنْ بَلَغَ ثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَاشْتَرَاهُ بِهَا . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ : إِنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ على النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . «شرح مسلم للنووي» (٢/٤٠) . قلت : اشتراطه ﷺ على جرير النصحَ لكل مسلم في بيعته على الإسلام، دليل على عظم شأن النصيحة في الدين، بل سبق أنها الدين كله، ثم إنَّ اشتراطه ﷺ عليه النصح لكل مسلم وهو لا يزال حديث العهد بالإسلام أكبر دليل على أنَّ النصيحة لا يشترط لها أنْ يكون المرء عالماً راسخاً في العلم، وإنما يكفيه أن يعلم شيئاً من الدين ولو يسيراً – آيةً أو حديثاً – ثمَّ يقوم بنصح الناس وتعليمهم ذلك؛ وهناك نوع من النصيحة خاصٌّ بالعلماء، كما قال ابن رجب الحنبلي : وَمِنْ أَنْوَاعِ النُّصْحِ لِلَّهِ تَعَالَى وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ – **وَهُوَ مِمَّا يَخْتَصُّ بِهِ الْعُلَمَاءُ** – رَدُّ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبَيَانُ دَلَالَتِهِمَا عَلَى مَا يُخَالِفُ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا وَكَذَلِكَ رَدُّ الْأَقْوَالِ=

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ عَنهُ ﷺ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلَامِ . فَقَالَ : "تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ، وتَسْمَعُ وتُطِيعُ الوَالِي وَإِنْ كَانَ حَبَشِيًّا "، قَالَ جَرِيرٌ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ . فَبَايَعَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" يَا جَرِيرُ مَا فَعَلَ قَوْمُكَ؟" قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ يَنْتَظِرُونَ أَحَدًا غَيرِي . قَالَ :" فَانْطَلِقْ فَادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ". فَخَرَجَ جَرِيرٌ حَتَّى أَتَى بِلَادَ قَوْمِهِ، فَسَارَ فِيهِم حَيًّا حَيًّا، ودَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وأَمَرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ قَيسُ بْنُ غَزِيَّةَ الأَحْمَسِيُّ (١) .

*****

=الضَّعِيفَةِ مِنْ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ، وَبَيَانُ دَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى رَدِّهَا، وَمِنْ ذَلِكَ بَيَانُ مَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا لَمْ يَصِحَّ مِنْهُ بِتَبْيِينِ حَالِ رُوَاتِهِ وَمَنْ تُقْبَلُ رِوَايَاتُهُ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا تُقْبَلُ، وَبَيَانُ غَلَطِ مَنْ غَلَطَ مِنْ ثِقَاتِهِمُ الَّذِينَ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُمْ. «جامع العلوم والحكم» ص (٢٢٤). فقوله – وَهُوَ مِمَّا يَخْتَصُّ بِهِ الْعُلَمَاءُ – دليل على أن من النصيحة ما لا يختص بالعلماء، وهو النصيحة بالتذكير بالأمور الأساسية في الدين مما لا يخفى على عامة الأمة كما سبق بيانه . كما أنَّ بعثه ﷺ جريراً إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام مع ما تقدم من حدثان عهده بالإسلام أكبر دليل على عدم اشتراط الكثير من العلم في الداعي إلى الإسلام، فيكفي الداعي إلى الإسلام أن يشهد شهادة الحقّ، ويعرف مضمونها مجملاً، ثم ينطلق لدعوة الناس إليها، كما سيأتي تفصيله في واقعات الصحابة ﷺ وقيامهم بدعوة أقوامهم إلى الإسلام فور إسلامهم، وإذا سُئِل الداعي عمَّا لا يعلمه فإنَّهُ يحيل ذلك إلى أهل الاختصاص فيه، ولا يُكلَّفُ الإجابة عليه؛ كما قال الإمام مالكٌ : يرجع في كل فنٍّ إلى أهله؛ وسيأتي تفصيل ذلك بما لا مزيد عليه إن شاء الله .

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٨/٧٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الخَامِسُ

أَمْرُهُ ﷺ عُمُومَ أُمَّتِهِ بِتَغْيِيرِ المُنْكَرِ دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَ عَالِمٍ وعَامِّيٍّ

عن أَبي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ**(١) **بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**(٢)"(٣).

---

(١) قَوْلُهُ ﷺ :" **فَلْيُغَيِّرْهُ** ". هُوَ أَمْرُ إِيجَابٍ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ تَطَابَقَ عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ النَّصِيحَةِ الَّتِي هِيَ الدِّينُ . وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فَلَيْسَ مُخَالِفًا لِمَا ذَكَرْنَاهُ لِأَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ فَلَا يَضُرُّكُمْ تَقْصِيرُ غَيْرِكُمْ، مِثْلُ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمِمَّا كُلِّفَ بِهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا فَعَلَهُ وَلَمْ يَمْتَثِلِ الْمُخَاطَبُ فَلَا عَتْبَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْفَاعِلِ لِكَوْنِهِ أَدَّى مَا عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا الْقَبُولُ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . «شرح مسلم للنووي» (٢/٢٥) .

(٢) هذا بيان منه ﷺ لصِفَةِ النَّهْيِ وَمَرَاتِبِهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ** ". فَقَوْلُهُ ﷺ : فَبِقَلْبِهِ مَعْنَاهُ فَلْيَكْرَهْهُ بِقَلْبِهِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِزَالَةٍ وَتَغْيِيرٍ مِنْهُ لِلْمُنْكَرِ، وَلَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي فِي وُسْعِهِ وَقَوْلُهُ ﷺ :" **وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** ". مَعْنَاهُ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – أَقَلُّهُ ثَمَرَةً . المرجع السابق .

(٣) رواه مسلم برقم (٤٩) . وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْضُ كِفَايَةٍ إِذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ وَإِذَا تَرَكَهُ الْجَمِيعُ أَثِمَ كُلُّ مَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ بِلَا عُذْرٍ وَلَا خَوْفٍ، ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَعَيَّنُ كَمَا إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا هو أولا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِزَالَتِهِ إِلَّا هُوَ، كَمَنْ يَرَى زَوْجَتَهُ أَوْ وَلَدَهُ أَوْ غُلَامَهُ عَلَى مُنْكَرٍ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي الْمَعْرُوفِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ : وَلَا يَسْقُطُ عَنِ الْمُكَلَّفِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لِكَوْنِهِ لَا يُفِيدُ فِي ظَنِّهِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا الْقَبُولُ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾. قال الْعُلَمَاءُ : وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْآمِرِ وَالنَّاهِي أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْحَالِ مُمْتَثِلًا مَا يَأْمُرُ بِهِ مُجْتَنِبًا مَا يَنْهَى عَنْهُ، بَلْ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَإِنْ كَانَ مُخِلًّا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَالنَّهْيُ وَإِنْ كَانَ مُتَلَبِّسًا بِمَا يَنْهَى عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْئَانِ : أَنْ يَأْمُرَ نَفْسَهُ وَيَنْهَاهَا، وَيَأْمُرَ غَيْرَهُ وَيَنْهَاهُ، فَإِذَا =

www.saida-islam.weebly.com

=أَخَلَّ بِأَحَدِهِمَا كَيْفَ يُبَاحُ لَهُ الْإِخْلَالُ بِالْآخَرِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَا يَخْتَصُّ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِأَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ بَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ لِآحَادِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ : وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ غَيْرَ الْوُلَاةِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَالْعَصْرِ الَّذِي يَلِيهِ كَانُوا يَأْمُرُونَ الْوُلَاةَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ تَقْرِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ وَتَرْكِ تَوْبِيخِهِمْ عَلَى التَّشَاغُلِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ غَيْرِ وِلَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . **ثُمَّ إِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى مَنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الشَّيْءِ : فَإِنْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْمُحَرَّمَاتِ الْمَشْهُورَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزِّنَا وَالْخَمْرِ وَنَحْوِهَا فَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ عُلَمَاءُ بِهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ دَقَائِقِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالِاجْتِهَادِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَوَامِّ مَدْخَلٌ فِيهِ وَلَا لَهُمْ إِنْكَارُهُ بَلْ ذَلِكَ لِلْعُلَمَاءِ** . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ أَعْنِي بَابَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ قَدْ ضُيِّعَ أَكْثَرُهُ مِنْ أَزْمَانٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ إلاَّ رُسُومٌ قَلِيلَةٌ جِدّاً، وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ، بِهِ قِوَامُ الأَمْرِ وَمِلاكُهُ، وَإِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ عَمَّ الْعِقَابُ الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ، وَإِذَا لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعِقَابِهِ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الآخِرَةِ وَالسَّاعِي فِي تَحْصِيلِ رِضَا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَذَا الْبَابِ، فَإِنَّ نَفْعَهُ عَظِيمٌ لا سِيَّمَا وَقَدْ ذَهَبَ مُعْظَمُهُ، وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ، وَلا يُهَادِنَ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ لارْتِفَاعِ مَرْتَبَتِه؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩]. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢-٣] . وَاعْلَمْ أَنَّ الأَجْرَ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ، وَلا يُتَارِكُهُ أَيْضاً لِصَدَاقَتِهِ وَمَوَدَّته وَمُدَاهَنَتِهِ وَطَلَبِ الْوَجَاهَةِ عِنْدَهُ وَدَوَامِ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ، فَإِنَّ صَدَاقَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ تُوجِبُ لَهُ حُرْمَةً وَحَقّاً، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَنْصَحَهُ وَيَهْدِيَهُ إِلى مَصَالِحِ آخِرَتِهِ، وَيُنْقِذَهُ مِنْ مَضَارِّهَا، وَصَدِيقُ الإِنْسَانِ وَمُحِبُّهُ هُوَ مَنْ سَعَى فِي عِمَارَةِ آخِرَتِهِ وَإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلى نَقْصٍ فِي دُنْيَاهُ، وَعَدُوُّهُ مَنْ يَسْعَى فِي ذَهَابِ أَوْ نَقْصِ آخِرَتِهِ، وَإِنْ حَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ صُورَةُ نَفْعٍ فِي دُنْيَاهُ، وَإِنَّمَا كَانَ إِبْلِيسُ عَدُوّاً لَنَا لِهَذَا، وَكَانَتِ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَوْلِيَاءَ لِلْمُؤْمِنِينَ لِسَعْيِهِمْ فِي مَصَالِحِ آخِرَتِهِمْ وَهِدَايَتِهِمْ إِلَيْهَا، وَنَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ تَوْفِيقَنَا وَأَحْبَابِنَا وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ لِمَرْضَاتِهِ، وَأَنْ يَعُمَّنَا بِجُودِهِ وَرَحْمَتِهِ. واللهُ أَعْلَمُ. «شرح مسلم للنووي» (٢١٤/١). وَيَنْبَغِي لِلآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يَرْفُقَ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ، فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : **مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ** . وقَالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ قَاعِدٍ فِيْ بَيْتِهِ – =

*****

=أَيْنَمَا كَانَ – فَلَيسَ خَالِياً فِي هَذَا الزَّمَانِ عَنْ مُنْكَرٍ، مِنْ حَيثُ التَّقَاعُدُ عَنْ إِرْشَادِ النَّاسِ وتَعْلِيمِهِم وحَمْلِهِم عَلَى الْمَعْرُوفِ، فَأَكْثَرُ النَّاسِ جَاهِلُونَ بِالشَّرعِ فِي شُرُوطِ الصَّلاةِ وفِي الْبِلادِ، فكَيفَ فِي القُرَى والبَوَادِي ؟ وَمِنْهُمُ الأَعْرَابُ والأَكْرَادُ وَالتُّرْكَمَانِيَّةُ وسَائِرُ أَصْنَافِ الخَلْقِ . ووَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ فِي مَسْجِدٍ ومَحَلَّةٍ مِنَ الْبَلَدِ فَقِيهٌ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُم، وكَذَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ، ووَاجِبٌ عَلَى كُلِّ فَقِيهٍ فَرَغَ مِنْ فَرْضِ عَيْنِهِ وتَفَرَّغَ لِفَرْضِ كِفَايَتِهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلى مَنْ يُجَاوِرُ بَلَدَهُ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ، ومِنَ الْعَرَبِ والأَكْرَادِ وغَيرِهِم، ويُعَلِّمَهُمْ دِينَهُم وفَرَائِضَ شَرْعِهِم، ويَسْتَصْحِبَ مَعَ نَفْسِهِ زَاداً يَأْكُلُهُ، ولا يَأْكُلَ مِنْ أَطْعِمَتِهِم فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَغْصُوبٌ، فَإِنْ قَامَ بِهَذَا الأَمْرِ وَاحِدٌ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الآخَرِينَ، وإِلاَّ عَمَّ الْحَرَجُ الْكَافَّةَ أَجْمَعِينَ، أَمَّا الْعَالِمُ فَلِتَقْصِيرِهِ فِي الْخُرُوجِ، وأَمَّا الجَاهِلُ فَلِتَقْصِيرِهِ فِي تَرْكِ التَّعَلُّمِ . **وكُلُّ عَامِّيٍّ عَرَفَ شُرُوطَ الصَّلاةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُعَرِّفَ غَيرِهُ، وإِلاَّ فَهُوَ شَرِيكٌ فِي الإِثْمِ، ومَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لا يُوْلَدُ عَالِماً بِالشَّرْعِ ؛ وإِنَّمَا يَجِبُ التَّبْلِيْغُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ، فَكُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً فَهُوَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِهَا**، وَلَعَمْرِي الإِثْمُ عَلَى الْفُقَهَاءِ أَشَدُّ، لأَنَّ قُدْرَتَهُم فِيهِ أَظْهَرُ، وهُمْ بِصِناعَتِهِم أَلْيَقُ، لأَنَّ الْمُحْتَرِفِينَ لَوْ تَرَكُوا حِرْفَتَهُم لَبَطَلَتِ الْمَعَايِشُ، فَهُم قَدْ تَقَلَّدُوا أَمْراً لا بُدَّ مِنْهُ فِي إِصْلاحِ الخَلْقِ، وشَأْنُ الْفَقِيهِ وحِرْفَتُهُ تَبْلِيغُ مَا بَلَغَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ . وكُلُّ مَنْ تَيَقَّنَ أَنَّ فِي السُّوقِ مُنْكَراً يَجْرِي عَلَى الدَّوَامِ أَوْ فِي وَقْتٍ بِعَيْنِهِ وهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِهِ، فَلا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُسْقِطَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْقُعُودِ فِي الْبَيْتِ، بَلْ يَلْزَمُهُ الْخُرُوجُ، فَإِنْ كَانَ لا يَقْدِرُ عَلَى تَغْيِيرِ الْجَمِيعِ وهُوَ مُحْتَرِزٌ عَنْ مُشَاهَدَتِهِ ويَقْدِرُ عَلَى الْبَعْضِ لَزِمَهُ الْخُرُوجُ، لأَنَّ خُرُوجَهُ إِذَا كَانَ لأَجْلِ تَغْيِيرِ مَا يَقْدِرُ عَلَيهِ فَلا يَضُرُّهُ مُشَاهَدَةُ مَا لا يَقْدِرُ عَلَيهِ، وإِنَّمَا يُمْنَعُ الْحُضُورُ لِمُشَاهَدَةِ الْمُنْكَرِ مِنْ غَيْرِ غَرَضٍ صَحِيحٍ . فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ فَيُصْلِحَهَا بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ وتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ يُعَلِّمَ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَتَعَدَّى بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُم إِلى جِيرَانِهِ، ثُمَّ إِلى أَهْلِ مَحَلَّتِهِ، ثُمَّ إِلى أَهْلِ بَلَدِهِ، ثُمَّ إِلى أَهْلِ السَّوَادِي الْمُكْتَنِفِ بِبَلَدِهِ، ثُمَّ إِلى أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الأَكْرَادِ وَالْعَرَبِ وغَيرِهِم، وهَكَذَا إِلى أَقْصَى الْعَالَمِ، فَإِنْ قَامَ بِهِ الأَدْنَى سَقَطَ عَنِ الأَبْعَدِ، وإِلاَّ حُرِّجَ بِهِ عَلَى كُلِّ قَادِرٍ عَلَيهِ قَرِيْباً كَانَ أَوْ بَعِيْداً، ولا يَسْقُطُ الْحَرَجُ مَا دَامَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ جَاهِلٌ بِفَرْضٍ مِنْ فُرُوضِ دِيْنِهِ، وهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ فَيُعَلِّمَهُ فَرْضَهُ، وهَذَا شُغْلٌ شَاغِلٌ لِمَنْ يُهِمُّهُ أَمْرُ دِيْنِهِ، يَشْغَلُهُ عَنْ تَجْزِئَةِ الأَوْقَاتِ فِي التَّفْرِيْعَاتِ النَّادِرَةِ فِي دَقَائِقِ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، ولا يَتَقَدَّمُ عَلَى هَذَا إِلاَّ فَرْضُ عَيْنٍ أَوْ فَرْضُ كِفَايَةٍ هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ «إحياء علوم الدين» (٢/٤٨١– ٤٨٢).

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّادِسُ

أَمْرُهُ ﷺ كُلَّ مَنْ شَهِدَ عَنْهُ بَلاغاً أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ وإِنْ قَلَّ عِلْمُهُ

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ :" **الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا[١]، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ[٢]؛ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا**". قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ[٣]، قَالَ :" **أَلَيْسَ**

---

(١) قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَمَسَّكُونَ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي تَحْرِيمِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَكَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ تَأْخِيرُ الْقِتَالِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَكَانُوا إِذَا احْتَاجُوا إِلَى قِتَالٍ أَخَّرُوا تَحْرِيمَ الْمُحَرَّمِ إِلَى الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ صَفَرٌ، ثُمَّ يُؤَخِّرُونَهُ فِي السَّنَةِ الْأُخْرَى إِلَى شَهْرٍ آخَرَ، وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ فِي سَنَةٍ بَعْدَ سَنَةٍ حَتَّى اخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، وَصَادَفَتْ حَجَّةُ النَّبِيِّ ﷺ تَحْرِيمَهُمْ، وَقَدْ تَطَابَقَ الشَّرْعُ، وَكَانُوا فِي تِلْكَ السَّنَةِ قَدْ حَرَّمُوا ذَا الْحِجَّةِ لِمُوَافَقَةِ الْحِسَابِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الِاسْتِدَارَةَ صَادَفَتْ مَا حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : كَانُوا يَنْسَئُونَ أَيْ يُؤَخِّرُونَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾. فَرُبَّمَا احْتَاجُوا إِلَى الْحَرْبِ فِي الْمُحَرَّمِ فَيُؤَخِّرُونَ تَحْرِيمَهُ إِلَى صَفَرٍ، ثُمَّ يُؤَخِّرُونَ صَفَرٍ فِي سَنَةٍ أُخْرَى، فَصَادَفَ تِلْكَ السَّنَةَ رُجُوعَ الْمُحَرَّمِ إِلَى مَوْضِعِهِ . «شرح مسلم للنووي» (١١/١٦٨) .

(٢) إِنَّمَا قَيَّدَهُ هَذَا التَّقْيِيدَ مُبَالَغَةً فِي إِيضَاحِهِ وَإِزَالَةً لِلَّبْسِ عَنْهُ، قَالُوا : وَقَدْ كَانَ بَيْنَ بَنِي مُضَرَ وَبَيْنَ رَبِيعَةَ اخْتِلَافٌ فِي رَجَبٍ، فَكَانَتْ مُضَرُ تَجْعَلُ رَجَبًا هَذَا الشَّهْرَ الْمَعْرُوفَ الْآنَ وَهُوَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، وَكَانَتْ رَبِيعَةُ تَجْعَلُهُ رَمَضَانَ فَلِهَذَا أَضَافَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مُضَرَ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ . «المصدر السابق» .

(٤) هَذَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِمْ وَأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ ﷺ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنَ الْجَوَابِ فَعَرَفُوا أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مُطْلَقَ الْإِخْبَارِ بِمَا يَعْرِفُونَ . «المصدر السابق» .

ذُو الْحِجَّةِ ". قُلْنَا : بَلَى، قَالَ :" فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ". قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ :" أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ ". قُلْنَا : بَلَى، قَالَ :" فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ". قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ :" أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ". قُلْنَا : بَلَى، قَالَ :" فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَحْسِبُهُ قَالَ :– وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا[1]، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ[2]، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ

---

(١) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : سُؤَالُهُ ﷺ عَنِ الثَّلَاثَةِ وَسُكُوتُهُ بَعْدَ كُلِّ سُؤَالٍ مِنْهَا كَانَ لِاسْتِحْضَارِ فُهُومِهِمْ وَلِيُقْبِلُوا عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِمْ وَلِيَسْتَشْعِرُوا عَظَمَةَ مَا يُخْبِرُهُمْ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَ هَذَا :" فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ إِلَخْ . مُبَالَغَةً فِي بَيَانِ تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ اه. وَمَنَاطُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :" كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ ". وَمَا بَعْدَهُ، ظُهُورُهُ عِنْدَ السَّامِعِينَ، لِأَنَّ تَحْرِيمَ الْبَلَدِ وَالشَّهْرِ وَالْيَوْمِ كَانَ ثَابِتًا فِي نُفُوسِهِمْ مُقَرَّرًا عِنْدَهُمْ بِخِلَافِ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، فَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَبِيحُونَهَا، فَطَرَأَ الشَّرْعُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ تَحْرِيمَ دَمِ الْمُسْلِمِ وَمَا لَهُ وَعِرْضِهِ أَعْظَمُ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَلَدِ وَالشَّهْرِ وَالْيَوْمِ . «فتح الباري» (١/١٥٩) .

(٢) أَيِ ليبلغ الْحَاضِرُ فِي الْمَجْلِسِ الْغَائِبَ، أَيِ الْغَائِبَ عَنْهُ، وَالْمُرَادُ إِمَّا تَبْلِيغُ الْقَوْلِ الْمَذْكُورِ أَوْ تَبْلِيغُ جَمِيعِ الْأَحْكَامِ، والخطاب للصحابة، ثم لمن بعدهم، وهلم جرًّا، فيجب التبليغ وجوب كفاية على أهل العلم، **وكُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ مَسْأَلَةً فَهُوَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِهَا، فَيَجِبُ عَلَيهِ تَعْلِيمُهَا لِغَيرِهِ**. وإلَّا وقع في الإثم، إن لم يقم بها غيره . «شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد» ص (٢٠). وهذا لا خلاف فيه، ولولا قيام الصحابة بتبليغ ما علموه من أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا فُعِلَ بِحَضْرَتِهِ ﷺ، لولا ذلك لما وصلنا كثير من ذلك؛ فإن كثيراً ممن نقلوا السنن لم يروا إلَّا القليل، ولو أنهم انتظروا في التبليغ حتى يصيروا علماء ثم بلَّغوا ما عندهم لضاع الكثير من السنن، ولو أنه لا يُبَلِّغُ الدين إلَّا من أحاط به من جميع جوانبه – إن وجد مَنْ بهذا الوصف – لأغلق باب التبليغ، ولمات كثير من السنن التي عرفها الْمُقِلُّونَ، لكنهم تبعوا في هذا سنة نبيهم ﷺ في التبليغ عن الله ﷻ، حيث إنه كان يبلِّغ ما أنزل إليه من ربه ﷻ أولاً بأول، ويقيم أمته على التبليغ كذلك أولاً بأول، فبهذا انتشر العلم، وأحييت السنن، وعلى هذا درج السلف في تبليغهم السنن. قال قتادة في تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ بَلِّغُوا وَلَوْ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ بَلَغَهُ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللَّهِ، أَخَذَهُ، أَوْ تَرَكَهُ** ". أخرجه الطبري في تفسيره (١٣١١٨) . وقال محمد بن كعب القرظي في تفسير الآية : **مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَكَأَنَّمَا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ**. ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ ﴾ ، وقال أيضاً : **مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ أَبْلَغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ** . «تفسير الطبري» (١٣١٢٠) و(١٣١٢٤).

بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ (١) " . فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ(٢)، ثُمَّ قَالَ :" **أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ** ". مَرَّتَيْنِ (٣) .

---

(١) قال الحافظ بدر الدين العيني : فِيهِ أَن حَامِل الحَدِيث يجوز أَن يُؤْخَذ عَنهُ، وَإِن كَانَ جَاهِلا بِمَعْنَاهُ، وَهُوَ مَأْجُوذ من تبليغه، مَحْسُوب فِي زمرة أهل الْعلم. «عمدة القاري» (٢/٣٨) .

(٢) أي أنه وقع الأمر كما أخبر المصطفى ﷺ من أن بعض المبلَّغين اللَّاحقين كان أوعى لما بلغهم من السامعين السابقين. وكان راوي الحديث أَبُو بَكْرَةَ يقول : **فَقَدْ كَانَ هَذَا، قَدْ بَلَّغَهُ أَقْوَامٌ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُمْ** . وقال الحافظ ابن حجر : فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ الْحَثُّ عَلَى تَبْلِيغِ الْعِلْمِ، وَجَوَازُ التَّحَمُّلِ قَبْلَ كَمَالِ الْأَهْلِيَّةِ، وَأَنَّ الْفَهْمَ لَيْسَ شَرْطًا فِي الْأَدَاءِ، وَأَنَّهُ قَدْ يَأْتِي فِي الْآخِرِ مَنْ يَكُونُ أَفْهَمَ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ لَكِنْ بِقِلَّةٍ . «فتح الباري» (١/١٥٩) .

(٣) رواه البخاري برقم (٤٤٠٦) ومسلم (١٦٧٩) . قلت : والنَّبِيُّ ﷺ قال كلامه هَذَا حِينَمَا كَمُلَ الدِّينُ وتَمَّتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى العِبَادِ، وذَلِكَ فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ – وسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ النَّاسَ فِيهَا وَعَلَّمَهُمْ فِي خُطْبَتِهِ فِيهَا أَمْرَ دِينَهُمْ، وَأَوْصَاهُمْ بِتَبْلِيغِ الشَّرْعِ فِيهَا إِلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا–، وذَلِكَ حَتَّى تَتَحَرَّكَ الأُمَّةُ لِتَبلِيغِ رِسَالَةِ اللهِ ﷻ إلى خَلْقِهِ بِالشَّوقِ والرَّغبَةِ، ولَمْ يُبقِ أَمَامَهُم أَيَّ مَانِعٍ مِنَ التَّبلِيغِ، بَلْ رَغَّبَهُم فِي التَّبلِيغِ وَدَعَا لِمَنْ بَلَّغَ عَنهُ ولَوْ حَدِيثاً وَاحِداً، ولَمْ يَشتَرِطِ الْفَهْمَ لِلحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ الْمُبَلِّغِ، كَمَا طَمَّعَهُم فِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغَائِبِينَ مَنْ هُوَ أَفقَهُ لِمَا فِي صُدُورِهِم مِنْهُم إِذَا بَلَغَهُم ذَلِكَ، ولَمْ يَشْتَرِطْ لِلتَّبلِيغِ كَثْرَةَ بِضَاعَةِ الْمُبَلِّغِ مِنَ العِلمِ، بَلْ قَالَ ﷺ :" **نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي**". وفِي رِوَايَةٍ :" **سَمِعَ مِنَّا حَدِيْثاً** ". وقَالَ ﷺ :" **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَةً** "، والأَمْرُ لِلوُجُوبِ، وَالْمَأْمُورُ بِقَولِهِ : "**فَلْيُبَلِّغْ** ". هُوَ الأُمَّةُ جَمْعَاءُ، فَكُلُّ مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يُبَلِّغَهُ لِهَذَا الأَمْرِ، ولِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حِفْظِ الدِّينِ مِنَ الضَّيَاعِ وَالاِنْدِرَاسِ، كَمَا أَنَّهُ بِالتَّبلِيغِ يَنتَشِرُ الدِّينُ فِي أَرجَاءِ الْمَعْمُورَةِ؛ " فَأَمَرَ ﷺ بِالتَّبليغِ عَنهُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حُصُولِ الْهُدَى بِالتَّبليغِ، وَلَهُ ﷺ أَجْرُ مَنْ بَلَّغَ عَنهُ وأَجْرُ مَنْ قَبِلَ ذَلِكَ البَلاغَ، فَكُلُّ مَنْ هَدَى وَاهْتَدَى بِتَبلِيغِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ، لأَنَّهُ هُوَ الدَّاعِي إِلَيهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي تَبلِيغِ العِلْمِ عَنهُ إِلاَّ حُصُولُ مَا يُحِبُّهُ ﷺ لَكَفَى بِهِ فَضْلاً، وَعَلامَةُ الْمُحِبِّ الصَّادِقِ أَنْ يَسعَى فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ مَحْبُوبِهِ، ويَبْذُلَ جُهْدَهُ وطَاقَتَهُ فِيهَا، ومَعلُومٌ أَنَّهُ لا شَيْءَ أَحَبُّ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِيْصَالِ الْهُدَى إِلى جَمِيعِ الأُمَّةِ، فَالْمُبَلِّغُ سَاعٍ فِي حُصُولِ مَحَابِّهِ، فَهُوَ أَقرَبُ النَّاسِ مِنهُ، وأَحَبُّهُم إِلَيهِ، وهُوَ نَائِبٌ وخَلِيفَةٌ فِي أُمَّتِهِ ". «مفتاح دار السعادة» (١ / ٩٥– ٩٦) فَمَنْ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُوَ خَلِيفَتُهُ فِي التَّبلِيغِ، وَكُلُ مَنْ سَمِعَ شَيْئاً فِي أَمْرِ الدِّينِ فَهُوَ خَلِيفَتُهُ فِي التَّبلِيغِ مَأْمُورٌ مِنْ جِهَتِهِ بِالبَيَانِ كَالْمَبْعُوثِ، لِقَولِهِ ﷺ :" **أَلا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ** ". «أصول السرخسي» (١/٣٢٥).

الحَدِيثُ السَّابِعُ

أَمْرُهُ ﷺ مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ عَنْهُ وَلَوْ قَلَّ أَنْ يُبَلِّغَهُ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ القُشَيرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ : وَاللهِ مَا جِئْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ بِعَدَدِ أَصَابِعِي هَذِهِ أَنْ لَا أَتَّبِعَكَ وَلَا أَتَّبِعَ دِينَكَ، وَإِنِّي أَتَيْتُ امْرَءًا لَا أَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمْنِي اللهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ بِمَ بَعَثَكَ رَبُّكَ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : "**اجْلِسْ**"، ثُمَّ قَالَ :" **بِالْإِسْلَامِ** "، فَقُلْتُ : وَمَا آيَةُ الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ :" **تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتُفَارِقُ الشِّرْكَ، وَإِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِهِ عَمَلًا، وَإِنَّ رَبِّي دَاعِيَّ وَسَائِلِي هَلْ بَلَغْتُ عِبَادَهُ(١)؟ فَلْيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ(٢)، وَإِنَّكُمْ**

---

(١) هذا مصداق قوله ﷻ : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[البقرة:١٤٣] .

(٢) قلت : هنا يأمر النبي ﷺ معاوية بن حيدة ومن شهد من أمته بالتبليغ عنه لمن غاب، ومعاوية لا زال يسأل عن الإسلام، وقد بين له ﷺ أساسيات الدين، من التوحيد لله ﷻ والإيمان به، ومفارقة الشرك، وما يلزم لذلك من علمٍ بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتعظيمه بكثرة ذكره، وحسن اتباعه ﷺ، وما يلزم لذلك من تعلُّمٍ لطريقه ﷺ والعمل بها في جميع شعب الحياة، وإقامة الصلاة ذات الخشوع والخضوع وما لا تتحقق إلَّا به : من علمٍ بشرائطها وأركانها واستحضارٍ لعظمة الله ﷻ وذكره فيها، وإيتاءٍ للزكاة، ومؤاخاة المسلمين ومحبتهم وموالاتهم، مع تصحيح النية وإخلاصها لله ﷻ في جميع الأقوال والأعمال والأحوال الظاهرة والخفية، والقيام بالدعوة إلى هذا الدين الحنيف وتبليغه إلى من لم يبلغه من الناس؛ ثم سأله معاوية : هذا ديننا ؟ أي أهذا هو الدين الذي يطلبه الله ﷻ من كلِّ واحد منَّا ؟ فأجابه المصطفى ﷺ :" **نعم** ". ففيه بالإضافة إلى ما تقدَّم أنَّ أمر التبليغ للدين مكلَّفٌ به كلُّ مسلم، كُلٌّ بحسب علمه، حتى عدَّهُ النبي ﷺ من الصفات الأساسية في هذا الدين، والتي تُطلب من كلِّ مسلم حتى الداخل في الإسلام حديثاً . فقد كان ﷺ يطلب النصرة على تبليغ الدين من المشركين وهو يتجول عليهم يدعوهم إلى الله ﷻ، فكان يقول :" **مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**".

تُدْعَوْنَ مُفْدَمٌ عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ(١)**، فَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ**(٢)". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَهَذَا دِينُنَا ؟ قَالَ :" **نَعَمْ، فَإِنَّمَا تُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ وَعَلَى أَقْدَامِكُمْ وَرُكْبَانًا** .." (٣). وذكر تمام الحديث .

*****

---

(١) الفِدَامُ : هو مَا يُشَدّ عَلَى فَمِ الإبْرِيق والكُوز مِن خِرْقةٍ لتَصْفِيَة الشَّراب الَّذِي فِيهِ : أَيْ أَنَّهُمْ يُمْنَعُونَ الكلام بأفواههم حَتَّى تَتَكَّلم جوارِحُهم، فشَبَّه ذَلِكَ بالفِدَام. «النهاية لابن الأثير» (٣/٤٢١) .

(٢) أخرج مسلم (٢٩٦٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ : "**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**" قَالَ قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ :" **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ : انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ** ". وفي رواية عنده (٢٩٦٨) قال :" **فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ : انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ** ".

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٠٠٤٣) والطبراني في الكبير (٩٦٩) وقال ابن عبد البَرّ في الاستيعاب : فهذا هو الحديث الصحيح بالإسناد الثابت المعروف؛ وقال الهيثمي : ورجاله ثقات .

الحَدِيثُ الثَّامِنُ

أَمْرُهُ ﷺ وَفْدَ عَبْدِ القَيسِ بِحِفْظِ أَسَاسِيَّاتٍ مِنَ الدِّينِ وَتَبْلِيغِهَا مَنْ وَرَاءَهُمْ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ [(١)] لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **مَنِ الْقَوْمُ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ** ". قَالُوا : رَبِيعَةُ قَالَ :" **مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى** ". فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ

---

(١) قَالَ صَاحِب التَّحْرِير : الْوَفْد الْجَمَاعَة الْمُخْتَارَة مِنَ الْقَوْم لِيَتَقَدَّمُوهُمْ فِي لُقِيّ الْعُظَمَاء وَالْمَصِير إِلَيْهِمْ فِي الْمُهِمَّات وَاحِدهمْ وَافِدٌ . قَالَ : وَوَفْد عَبْد الْقَيْس هَؤُلَاءِ تَقَدَّمُوا قَبَائِل عَبْد الْقَيْس لِلْمُهَاجَرَةِ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ، وَكَانُوا أَرْبَعَة عَشَرَ رَاكِبًا. قَالَ : وَكَانَ سَبَب وُفُودهمْ أَنَّ مُنْقِذ بْن حَيَّان أَحَد بَنِي غَنَم ابْن وَدِيعَة كَانَ مَتْجَره إِلَى يَثْرِب فِي الْجَاهِلِيَّة، فَشَخَصَ إِلَى يَثْرِب بِمَلَاحِفَ وَتَمْرٍ مِنْ هَجَرَ بَعْد هِجْرَة النَّبِيّ ﷺ. فَبَيْنَا مُنْقِذ بْن حَيَّان قَاعِد إِذْ مَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَنَهَضَ مُنْقِذ إِلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ :" **أَمُنْقِذ ابْن حَيَّان كَيْف جَمِيعُ هَيْئَتِك وَقَوْمِك** ؟" ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ أَشْرَافِهِمْ رَجُلٍ رَجُلٍ يُسَمِّيهِمْ لِأَسْمَائِهِمْ . فَأَسْلَمَ مُنْقِذٌ وَتَعَلَّمَ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّك . ثُمَّ رَحَلَ قِبَلَ هَجَرَ . فَكَتَبَ النَّبِيّ ﷺ مَعَهُ إِلَى جَمَاعَةِ عَبْدِ الْقَيْس كِتَابًا فَذَهَبَ بِهِ وَكَتَمَهُ أَيَّامًا، ثُمَّ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ – وَهِيَ بِنْت الْمُنْذِر بْن عَائِذ، وَالْمُنْذِر هُوَ الْأَشَجّ سَمَّاهُ رَسُول اللَّه ﷺ بِهِ لِأَثَرٍ كَانَ فِي وَجْهه –، وَكَانَ مُنْقِذ رضي الله عنه يُصَلِّي وَيَقْرَأ، فَنَكِرَتْ امْرَأَته ذَلِكَ فَذَكَرَتْهُ لِأَبِيهَا الْمُنْذِر فَقَالَتْ : أَنْكَرْت بَعْلِي مُنْذُ قَدِمَ مِنْ يَثْرِب : إِنَّهُ يَغْسِل أَطْرَافه، وَيَسْتَقْبِل الْجِهَة تَعْنِي الْقِبْلَة، فَيَحْنِي ظَهْره مَرَّة وَيَضَع جَبِينه مَرَّة، ذَلِكَ دَيْدَنُهُ مُنْذُ قَدِمَ، فَتَلَاقَيَا فَتَجَارَيَا ذَلِكَ فَوَقَعَ الْإِسْلَام فِي قَلْبه . ثُمَّ ثَارَ الْأَشَجّ إِلَى قَوْمه عَصَر وَمُحَارِب بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَوَقَعَ الْإِسْلَام فِي قُلُوبهمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى السَّيْر إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ، فَسَارَ الْوَفْد، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَة قَالَ النَّبِيّ ﷺ لِجُلَسَائِهِ :" **أَتَاكُمْ وَفْد عَبْد الْقَيْس خَيْر أَهْل الْمَشْرِق وَفِيهِمُ الْأَشَجُّ الْعَصْرِيُّ غَيْر نَاكِثِينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا مُرْتَابِينَ إِذْ لَمْ يُسْلِمْ قَوْمٌ حَتَّى وُتِرُوا** ". وَهذا الأشج هو الذي قَالَ فيه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ** ". وَسَبَبُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ لَهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْوَفْدِ، أَنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا الْمَدِينَةَ بَادَرُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَقَامَ الْأَشَجُّ عِنْدَ رِحَالِهِمْ فَجَمَعَهَا، وَعَقَلَ نَاقَتَهُ، وَلَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النبيِّ ﷺ فقرَّبه النَّبِيُّ ﷺ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ :" **تُبَايِعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَقَوْمِكُمْ** ". فَقَالَ الْقَوْمُ : نَعَمْ، فَقَالَ الْأَشَجُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَمْ تُزَاوِلِ الرِّجَالَ عَنْ شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ، نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَنُرْسِلُ مَنْ يَدْعُوهُمْ، فَمَنِ اتَّبَعَنَا كَانَ مِنَّا، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ . قَالَ :" **صَدَقْتَ إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ** .. الحديث . «شرح مسلم للنووي» (١/١٨١-١٨٨).

www.saida-islam.weebly.com

كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ(١)، وَسَأَلُوهُ عَنْ الْأَشْرِبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ :" **أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**". قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ :" **شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ**(٢)". وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ الْحَنْتَمِ(٣) وَالدُّبَّاءِ(٤) وَالنَّقِيرِ(٥) وَالْمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ، وَقَالَ :" **احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ** "(٦).

---

(١) قلت هذا ما ينبغي أن يقصده كل من تعلم شيئاً من الدين، وهو أن يقصد العمل بهذا العلم، وتعليم من ورائه من الناس ليكون نجاة له ولهم من عذاب الله، وسبباً لدخولهم الجنة .

(٢) أَمَرَهُمْ ﷺ بِالْأَرْبَعِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا ثُمَّ زَادَهُمْ خَامِسَةً يَعْنِي أَدَاءَ الْخُمْسِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجَاوِرِينَ لِكُفَّارِ مُضَرَ فَكَانُوا أَهْلَ جِهَادٍ وَغَنَائِمَ . وفيه أَنَّ مَا يُسَمَّى إِسْلَامًا يُسَمَّى إِيمَانًا، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ يَجْتَمِعَانِ وَيَفْتَرِقَانِ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّمَا لَمْ يُذْكَرِ الْحَجُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لِكَوْنِهِ لَمْ يَكُنْ نَزَلَ فَرْضُهُ . «شرح مسلم للنووي» (١/١٨٤).

(٣) الْحَنْتَمُ : أَنَّهَا جِرَارٌ خُضْرٌ يُجْلَبُ فِيهَا الْخَمْرُ .

(٤) الدباء : هُوَ الْقَرْعُ الْيَابِسُ، أَيِ الْوِعَاءُ مِنْهُ .

(٥) النَّقِيرُ : هو جِذْعٌ يُنْقَرُ وَسَطُهُ . وَأَمَّا الْمُقَيَّرُ : فَهُوَ الْمُزَفَّتُ، وَهُوَ الْمَطْلِيُّ بِالْقَارِ، وَهُوَ الزِّفْتُ. والمعْنَى فِي النَّهْيِ عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ هُوَ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الِانْتِبَاذِ فِيهَا، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْمَاءِ حَبَّاتٌ مِنْ تَمْرٍ أَوْ زَبِيبٍ أَوْ نَحْوِهِمَا لِيَحْلُوَ وَيُشْرَبَ، وَإِنَّمَا خُصَّتْ هَذِهِ بِالنَّهْيِ لِأَنَّهُ يُسْرِعُ إِلَيْهِ الاسكار فيها فيصير حراماً نجساً وتبطل مَالِيَّتُهُ، فَنَهَى عَنْهُ لِمَا فِيهِ مِنْ إِتْلَافِ الْمَالِ، وَلِأَنَّهُ رُبَّمَا شَرِبَهُ بَعْدَ إِسْكَارِهِ مَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الِانْتِبَاذِ فِي أَسْقِيَةِ الْأَدَمِ، بَلْ أَذِنَ فِيهَا لِأَنَّهَا لِرِقَّتِهَا لَا يَخْفَى فِيهَا الْمُسْكِرُ، بَلْ إِذَا صَارَ مُسْكِرًا شَقَّهَا غَالِبًا، ثُمَّ إِنَّ هَذَا النَّهْيَ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ نُسِخَ بِحَدِيثِ بُرَيْدَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الِانْتِبَاذِ إِلَّا فِي الْأَسْقِيَةِ، فَانْتَبِذُوا فِي كُلِّ وِعَاءٍ، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا**". رواه مسلم (٩٧٧).

(٦) رواه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧) . وفي قوله ﷺ :" **احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ** ". تكليف لهم وللأمة من بعدهم بتبليغ جميع ما بلغهم عن رسول الله ﷺ من العلم ولو قلَّ، دون تفريق بين العالم وغيره، فمن بلغه شيءٌ من العلم عن رسول الله ﷺ فهو وارث له في هذا العلم، ونائب عنه وخليفة له في تبليغ هذا العلم، ولا ينتظر حتى يصير عالماً فيبلغه، لأنه يكون قد خالف هديه ﷺ في التبليغ، وفي إقامة الأمة معه على تبليغ الدين، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ :" **إِنِّي مُحَدِّثُكُمُ الْحَدِيثَ، فَلْيُحَدِّثِ الْحَاضِرُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ** ". قال الهيثمي : =

www.saida-islam.weebly.com

=رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . وعَنْ وَابِصَةَ ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ** ". فكان وابصة يقول : فَادْنُوا نُبَلِّغْكُمْ كَمَا قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله موثقون . وهذا مقتضى الرحمة التي بعث بها النبي ﷺ للعالمين؛ **قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ** رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةُ الرِّسَالَةِ والنُّبُوَّةِ، فَاللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ، وَكَيْفَ لا يَكُونُ أَفْضَلَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْ جَعَلَهُم وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فِيْ تَبْلِيْغِ رِسَالاتِهِ، وتَعْرِيفِ أَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ وأَحْكَامِهِ ومَرَاضِيْهِ ومَسَاخِطِهِ وثَوَابِهِ وعِقَابِهِ، وخَصَّهُمْ بِوَحْيِهِ، وَاخْتَصَّهُمْ بِتَفْضِيلِهِ، وَارْتَضَاهُمْ لِرِسَالَتِهِ إلى عِبَادِهِ، وجَعَلَهُمْ أَزْكَى الْعَالَمِينَ نُفُوساً وأَشْرَفَهُم أَخْلاقاً، وأَكْمَلَهُم عُلُوماً وأَعْمَالاً، وأَحْسَنَهُم خِلْقَةً، وأَعْظَمَهُم مَحَبَّةً وقَبُولاً فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وبَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ وَصْمٍ وعَيْبٍ وكُلِّ خُلُقٍ دَنِيْءٍ. وجَعَلَ أَشْرَفَ مَرَاتِبِ النَّاسِ بَعْدَهُم مَرْتَبَةَ خِلافَتِهِمْ ونِيَابَتِهِمْ فِي أُمَمِهِمْ، فَإِنَّهُم يَخْلُفُونَهُمْ عَلَى مَنَاهِجِهِمْ وطَرِيقِهِمِ مِنْ نَصِيحَتِهِمْ لِلأُمَّةِ، وإِرْشَادِهِمُ الضَّالَّ، وتَعْلِيْمِهِمُ الجَاهِلَ، ونَصْرِهِمُ الْمَظْلُومَ، وأَخْذِهِمْ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وفِعْلِهِ، ونَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وتَرْكِهِ، وَالدَّعوةِ إلى اللهِ بالحِكْمَةِ للمُسْتَجِيبِينَ، والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ لِلْمُعْرِضِينَ الغَافِلِينَ، والجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلْمُعَانِدِينَ الْمُعَارِضِينَ، فَهَذِهِ حَالُ أَتْبَاعِ الْمُرْسَلِينَ وَوَرَثَةِ النَّبِيِّيْنَ، قَالَ ﷻ: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وسَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي عَلَى بَصِيرَةٍ، وأَنَا أَدْعُو إلى اللهِ، أَوِ الْمَعْنَى أَدْعُوْ إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، فَالْقَولانِ مُتَلازِمَانِ، فَلا يَكُونُ مِنْ أَتْبَاعِهِ حَقّاً إِلاَّ مَنْ دَعَا إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، كَمَا كَانَ مَتْبُوْعُهُ يَفْعَلُ ﷺ . فَهَؤُلاءِ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ حَقّاً، ووَرَثَتُهُمْ دُوْنَ النَّاسِ، وهُمْ أُوْلُو الْعِلْمِ الَّذِينَ قَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ عِلْماً وعَمَلاً وهِدَايَةً وإِرْشَاداً وصَبْراً وجِهَاداً، وهَؤُلاءِ هُمُ الصِّدِّيقُونَ، وهُمْ أَفْضَلُ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، ورَأْسُهُمْ وإِمَامُهُمُ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ. وهَؤُلاءِ هُمُ الرَّبَّانِيُّونَ، وهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وهُمُ الْوَسَائِطُ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وأُمَّتِهِ، فَهُمْ خُلَفَاؤُهُ وأَوْلِيَاؤُهُ وحِزْبُهُ وخَاصَّتُهُ وحَمَلَةُ دِيْنِهِ، وهُمُ الْمَضْمُونُ لَهُمْ أَنَّهُم لا يَزَالُونَ عَلَى الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وهَؤُلاءِ هُمْ خُوَاصُّ خَلْقِ اللهِ، وأَفْضَلُهُمْ عِندَ اللهِ مَنْزِلَةً، وأَعْلاهُمْ قَدْراً، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَولُهُ ﷻ : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت: ٣٣]، قَالَ الحَسَنُ البِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **هُوَ الْمُؤْمِنُ أَجَابَ اللهَ فِيْ دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللهَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وعَمِلَ صَالِحاً فِي إِجَابَتِهِ، فَهَذَا حَبِيْبُ اللهِ، هَذَا وَلِيُّ اللهِ** . فَمَقَامُ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ أَفْضَلُ مَقَامَاتِ العَبْدِ، قَالَ ﷻ: ﴿ **وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ [الجن: ١٩]. وهَؤُلاءِ هُمُ الْمُبَارَكُونَ أَيْنَمَا كَانُوا، فَإِنَّ بَرَكَةَ الرَّجُلِ تَعْلِيْمُهُ لِلْخَيْرِ حَيْثُ حَلَّ ونُصْحُهُ لِكُلِّ مَنِ اجْتَمَعَ بِهِ، قَالَ اللهُ ﷻ إِخْبَاراً عَنِ الْمَسِيحِ عليه السلام : ﴿ **وَجَعَلَنِى**

*****

﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[مريم: ٣١]، أَيْ مُعَلِّماً وداعِياً إِلَى اللهِ، مُذَكِّراً بِهِ، مُرَغِّباً فِي طَاعَتِهِ، فَهَذَا مِنْ بَرَكَةِ الرَّجُلِ، ومَنْ خَلا مِنْ هَذَا فَقَدْ خَلا مِنَ الْبَرَكَةِ، ومُحِقَتْ بَرَكَةُ لِقَائِهِ وَالاِجْتِمَاعِ بِهِ، بَلْ مُحِقَتْ بَرَكَةُ مَنْ لَقِيَهُ وَاجْتَمَعَ بِهِ . وقَالَ مَسْرُوقٌ رَحِمَهُ اللهُ : **قَرَأْتُ عَلَى عَبدِ اللهِ بْنِ مَسعُودٍ هَذِهِ الآيَةَ :** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾[النحل: ١٢٠]، **فقال : كَانَ مُعَاذٌ أُمَّةً، قَالَ: هَلْ تَدْرِيْ مَا الأُمَّةُ ؟ الأُمَّةُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ الَّذِيْ يُطِيْعُ اللهَ وَرَسُولَهُ** . والْمَقْصُودُ أَنَّ دَرَجَةَ الصِّدِّيْقِيَّةِ وَالرَّبَّانِيَّةِ وَوِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ وخِلافَةِ الرِّسَالَةِ هِيَ أَفْضَلُ دَرَجَاتِ الأُمَّةِ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِهَا وشَرَفِهَا إِلاَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلِمَ بِتَعْلِيمِهِمْ وإِرْشَادِهِمْ وعَلَّمَ غَيْرَهُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، كَانَ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِهِ مَا دَامَ ذَلِكَ جَارِياً فِي الأُمَّةِ عَلَى آبَادِ الدُّهُورِ، وقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه:" **فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**"، وصَحَّ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ** "، فلَمَّا كَانَ العَالِمُ – والداعي إلى الله – سَبَباً فِي حُصُولِ العِلْمِ الَّذِي بِهِ نَجَاةُ النُّفُوسِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُهلِكَاتِ، وَكَانَ سَعْيُهُ مَقصُوراً عَلَى هَذَا، وَكَانَتْ نَجَاةُ الْعِبَادِ عَلَى يَدَيهِ، جُوْزِيَ مِنْ جِنسِ عَمَلِهِ، وجُعِلَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرضِ سَاعِياً فِي نَجَاتِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْمُهْلِكَاتِ بِاسْتِغْفَارِهِم؛ وَإِذَا كَانَتِ المَلائِكَةُ تَستَغْفِرُ لِلمُؤْمِنِينَ فَكَيفَ لا تَستَغْفِرُ لِنَجَاتِهِم وخَلاصِهِم، وقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ :" **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِيْ النَّاسِ الْخَيْرَ** ". فَيَا لَهَا مِنْ مَرْتَبَةٍ مَا أَعْلاهَا! ومَنْقَبَةٍ مَا أَجَلَّهَا وأَسْنَاهَا ! أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ مَشْغُولاً بِبَعْضِ أَشْغَالِهِ، أَوْ فِي قَبْرِهِ قَدْ صَارَ أَشْلاءً مُمَزَّقَةً وأَوْصَالاً مُتَفَرِّقَةً، وصُحُفُ حَسَنَاتِهِ مُتَزَايِدَةٌ تُمْلَى فِيهَا الْحَسَنَاتُ بِكُلِّ وَقْتٍ، وأَعْمَالُ الخَيْرِ مُهْدَاةٌ إِلَيهِ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، تِلْكَ واللهِ الْمَكَارِمُ والْمَغَانِمُ ! وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ! وعَلَيْهِ يَحْسُدُ الْحَاسِدُونَ ! وذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ، واللهِ ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَحَقِيقٌ بِمَرْتَبَةٍ هَذَا شَأْنُهَا أَنْ تُنْفَقَ نَفَائِسُ الأَنْفَاسِ عَلَيْهَا، ويَسْتَبِقَ السَّابِقُونَ إِلَيْهَا، وتُوَفَّرَ عَلَيهَا الأَوْقَاتُ، وتَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا الطَّلَبَاتُ، فَنَسْأَلُ اللهَ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ خَيْرٍ أَنْ يَفْتَحَ عَلَينَا خَزَائِنَ رَحْمَتِهِ، ويَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ .

«مفتاح دار السعادة» (١/١٠٣) و(١/١٥٣) و«رسالة ابن القيم لأحد الإخوان» ص (٥) و«طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢/٧٦٤-٧٧١).

الحَدِيثُ التَّاسِعُ

أَمْرُهُ ﷺ مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئاً مِنَ الدِّينِ وَلَوْ يَسِيراً أَنْ يُعَلِّمَهُ أَهْلَهُ وَقَوْمَهُ

عَنْ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه، قَالَ : أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا – أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا – سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ :" **ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ**[1]، – وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا، – **وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي،**

---

(١) هذا موافقٌ لقَوْله تَعَالَى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا** ﴾، أي أَدِّبُوهُمْ وعَلِّمُوهُم ومُرُوهُمْ بِطَاعَة اللهِ، وَانْهَوهُم عَن مَعْصِيَةِ اللهِ، كَمَا يجب ذَلِك عَلَيْكُم فِي حق أَنفسكُم؛ وَلقَوْل النَّبِي ﷺ :" **كلكُمْ رَاع وكلكم مسؤول عَن رَعيته الرجل رَاع فِي أَهله ومسؤول عَنْهُم يَوْم الْقِيَامَة** ". فالخطاب في الآية الكريمة والحديث الشريف عامٌّ للذين آمنوا، فكلُّهم مطلوب منه أن يقي نفسه وأهله نار جهنم، وكلهم سيسأل يوم القيامة عمَّا استرعاه الله ﷻ، ولم يفرق بين العالم والعاميِّ، فأمر ﷺ مالك بن الحويرث ومن معه بالرجوع إلى أهليهم والإقامة معهم لتعليمهم، وهم إنما أقاموا معه عشرين يوماً، ولا شكَّ أنهم لم يستوعبوا جميع ما أنزل عليه ﷺ، فقد كان وفودهم على المدينة في السنة التاسعة للهجرة، وكان أكثر الدين قد نزل، وإنما أخذوا فيها أصول الدين وبعض فروعه، على نحو ما سبق مع وفد عبد القيس، ففي هذا دليل على أن كل من تعلم شيئاً من الدين فعليه أن يُبَلِّغَهُ من لا يعلمه، قلَّ أو كثر؛ نعم على كلِّ مسلم أن يتعلم من الدين ما يحتاج إليه في اليوم والليلة، وإذا جهل أمراً فعليه أن يسأل أهل الذكر، كما قال تعالى : ﴿ **فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾. وهذا هو المراد من قوله ﷺ :" **طلب العلم فريضة على كل مسلم** ". قال إسحاق ابن راهويه : **مَعْنَاهُ أَنْ يَلْزَمَهُ طَلَبُ عِلْمِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ وُضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ وَزَكَاتِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَكَذَلِكَ الْحَجُّ وَغَيْرُهُ** . «جامع بيان العلم وفضله» (٣١) . وسئل ابن المبارك عن معنى هذا الحديث فقال : **لَيْسَ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ وَلَكِنْ فَرِيضَةٌ عَلَى مَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى يَعْلَمَهُ** . «المصدر السابق» (٣٣) . وسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِ الحَدِيثِ فَقَالَ : **عِلْمُ الحَالِ وَعِلْمُ الوَقْتِ وَعِلْمُ السِّرِّ، فَمَنْ جَهِلَ وَقْتَهُ وَمَا عَلَيهِ فَقَدْ جَهِلَ العِلْمَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ.** «تاريخ بغداد» (٢٧/٥)، وَسُئِلَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، فَقَالَ : **إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ لَحَسَنٌ، وَلَكِنِ انْظُرِ الَّذِي يَلْزَمُكَ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تُمْسِيَ، وَمِنْ حِينِ تُمْسِي حَتَّى تُصْبِحَ فَالْزَمْهُ، وَلا تُؤْثِرَنَّ عَلَيْهِ شَيئاً.** «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي ص (٣٢٨). وسُئِلَ ابنُ =

www.saida-islam.weebly.com

فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ " [١] .

=الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ : مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَى النَّاسِ مِنْ تَعْلِيمِ العِلْمِ ؟ فَقَالَ : **أَنْ لا يُقْدِمَ الرَّجُلُ عَلَى الشَّيْءِ إِلاَّ بِعِلْمٍ، يَسْأَلُ وَيَتَعَلَّمُ**.« الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٤٥). وأخرج ابن عبد البر في الجامع (٣٨) بإسناده عن عَلِيِّ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ : مَا الَّذِي لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنَ مِنْ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَطْلُبَهُ؟ وَمَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَالَ : **لَا يَسَعُهُ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِعِلْمٍ وَلَا يَسَعُهُ حَتَّى يَسْأَلَ**. قَالَ أَبُو عُمَرَ : قَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا هُوَ فَرْضٌ مُتَعَيَّنٌ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إِذَا قَامَ بِهِ قَائِمٌ سَقَطَ فَرْضُهُ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَلْخِيصِ ذَلِكَ، وَالَّذِي يَلْزَمُ الْجَمِيعَ فَرْضُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ جَهْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْفَرَائِضِ الْمُفْتَرَضَةِ عَلَيْهِ : نَحْوَ الشَّهَادَةِ بِاللِّسَانِ وَالْإِقْرَارِ بِالْقَلْبِ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ كُلُّ شَيْءٍ، الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُمَا عِنْدَهُ سَوَاءٌ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لَيْسَ لِأَوَلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَالشَّهَادَةِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ حَقٌّ وَأَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْمُجَازَاةِ بِالْأَعْمَالِ، وَالْخُلُودَ فِي الْآخِرَةِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَلِأَهْلِ الشَّقَاوَةِ بِالْكُفْرِ وَالْجُحُودِ فِي السَّعِيرِ حَقٌّ وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ وَمَا فِيهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَلْزَمُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِهِ، وَاسْتِعْمَالُ مُحْكَمِهِ وَأَنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَرِيضَةٌ وَيَلْزَمُهُ مِنْ عِلْمِهَا عِلْمُ مَا لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ مِنْ طَهَارَتِهَا وَسَائِرِ أَحْكَامِهَا وَأَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ فَرْضٌ، وَيَلْزَمُهُ عِلْمُ مَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ، وَمَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ، وَقُدْرَةٍ عَلَى الْحَجِّ لَزِمَهُ فَرْضًا أَنْ يَعْرِفَ مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ وَمَتَى تَجِبُ وَفِي كَمْ تَجِبُ وَلَزِمَهُ أَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّ الْحَجَّ عَلَيْهِ فُرِضَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي دَهْرِهِ إِنِ اسْتَطَاعَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ إِلَى أَشْيَاءَ يَلْزَمُهُ مَعْرِفَةُ جُمَلِهَا وَلَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهَا نَحْوَ تَحْرِيمِ الزِّنَا وَتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَأَكْلِ الْخِنْزِيرِ وَأَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالْأَنْجَاسِ كُلِّهَا وَالسَّرِقَةِ وَالرِّبَا وَالْغَصْبِ وَالرِّشْوَةِ فِي الْحُكْمِ، وَالشَّهَادَةِ بِالزُّورِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَبِغَيْرِ طِيبٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ إِلَّا إِذَا كَانَ شَيْئًا لَا يُتَشَاحُّ فِيهِ وَلَا يُرْغَبُ فِي مِثْلِهِ، وَتَحْرِيمِ الظُّلْمِ كُلِّهِ وَهُوَ كُلُّ مَا مَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَمَنْ ذُكِرَ مَعَهُنَّ، وَتَحْرِيمِ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمَا كَانَ مِثْلَ هَذَا كُلِّهِ مِمَّا قَدْ نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَأُجْمِعَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ . قلت : وهذا هو بعينه ما يجب على كل مسلم تبليغه لغيره ممن لا يعلمه، ولا يعذر أحد بالجهل به، والله أعلم.

(١) رواه البخاري برقم (٦٣١) و(٧٢٤٦) .

الحَدِيثُ العَاشِرُ

عَرْضُهُ ﷺ عَلَى عُمُومِ أُمَّتِهِ العَمَلَ بِكَلِمَاتٍ جَامِعَاتٍ وَتَعْلِيمَهَا مَنْ يَعْمَلُ بِهَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ(١) يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ(٢)؟**" فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ :" **اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ(٣)، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ**

---

(١) «أَوْ» هنا بِمَعْنَى «الْوَاوِ» كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ **عُذْرًا أَوْ نُذْرًا** ﴾ [المرسلات: ٦]، ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَتَبِعَهُ غَيْرُهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ «أَوْ» فِي الْآيَةِ لِلتَّنْوِيعِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبَيْضَاوِيُّ بِقَوْلِهِ : عُذْرًا لِلْمُحِقِّينَ، وَنُذْرًا لِلْمُبْطِلِينَ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ «أَوْ» فِي الْحَدِيثِ بِمَعْنَى «بَلْ» إِشَارَةً إِلَى التَّرَقِّي مِنْ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ إِلَى مِنَصَّةِ التَّكْمِيلِ، عَلَى أَنَّ كَوْنَهَا لِلتَّنْوِيعِ لَهُ وَجْهٌ وَجِيهٌ وَتَنْبِيهٌ نَبِيهٌ، عَلَى أَنَّ الْعَاجِزَ عَنْ فِعْلِهِ قَدْ يَكُونُ بَاعِثًا لِغَيْرِهِ عَلَى مِثْلِهِ كَقَوْلِهِ :" **فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ** ". «مرقاة المفاتيح» (٣٦٧/٩) .

(٢) في هذا الحديث يَعرِضُ النَّبيُّ ﷺ على عموم أمته كلماتٍ جامعاتٍ، ليعملوا بهن ويعلِّموا من يعمل بهنَّ، ولم يخصَّ فئةً دون أخرى، بل العرض عامٌّ يشمل المسلمين كلهم حتى حديثَ الإسلام، فالكل مطلوب منه أن يعملَ بهذه الكلمات ويُعَلِّمَهُنَّ، وإنما أتى النَّبيُّ بهذه الأوامر بصيغة الشرط والجزاء ليكون أرغب في الامتثال، وأدعى للقبول، ثم جاء بها في البيان بصيغة الأمر، فقال : اتقِ .. وارضَ .. وأحسن .. وأحبَّ .. ثم أتى بعدها ببيان نتيجة امتثال هذا الأمر على طريقة الشرط والجزاء كما تقدم . وبنحوه ما أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢٠١) عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَعَلَّمَ فَرِيضَةً أَوْ فَرِيضَتَيْنِ فَعَمِلَ بِهِمَا أَوْ عَلَّمَهُمَا لِمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا** ".

(٣) قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ فَلْيَكُفَّ عَنِ الذُّنُوبِ**. وَرُوِيَ مَرْفُوعًا. وَقَالَ الْحَسَنُ : **مَا عَبَدَ الْعَابِدُونَ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ تَرْكِ مَا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ**. وقال ابْنِ عُمَرَ : **لَرَدُّ دَانِقٍ مِنْ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ تُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**. وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ : **تَرْكُ دَانَقٍ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَمْسِمِائَةِ حَجَّةٍ**. وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : **ذِكْرُ اللَّهِ بِاللِّسَانِ حَسَنٌ، وَأَفْضَلُ مِنْهُ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ الْعَبْدُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ فَيُمْسِكَ عَنْهَا**. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : **لَأَنْ أَرُدَّ دِرْهَمًا مِنْ شُبْهَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْفٍ، حَتَّى بَلَغَ سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ**. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : **لَيْسَتِ التَّقْوَى قِيَامَ اللَّيْلِ، وَصِيَامَ النَّهَارِ، وَالتَّخْلِيطَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ التَّقْوَى أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، وَتَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ عَمَلٌ، فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ**. أَوْ كَمَا قَالَ. «جامع العلوم والحكم» ص (٢٤٤ – ٢٥٥) .

www.saida-islam.weebly.com

لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ[١]، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ " [٢] .

*****

---

(١) هذا البيان النبوي العظيم يبيِّنُ حقيقةً تخفى على أكثر الناس، وهي أنَّ مكان الغنى هو القلب، وأن سببه الوحيد هو الرضى بما قسمه الله للعبد، وعدم التطلع والإشراف على ما أعطاه الله لغيره، واليأس مما في أيدي الناس، ويزيده وضوحاً ما أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ** ". وَأخرج ابن حبان في صحيحه (٦٨٥) عَن أبي ذَر ﷺ قَالَ : قَالَ لي رَسُول الله ﷺ :" **يَا أَبَا ذَر أَتَرَى كَثْرَة المَال هُوَ الْغنى ؟**" قلت : نعم يَا رَسُول الله . قَالَ :" **أفترى قلَّة المَال هُوَ الْفقر ؟**" قلت : نعم يَا رَسُول الله . قَالَ :" **إِنَّمَا الْغنى غنى الْقلب والفقر فقر الْقلب** ". وأخرج الطبراني في الكبير (١٠٢٣٩) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قالَ ﷺ عَنِ الْغِنَى :" **الْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ**". وهو حسن بشواهده، وقَالَ ﷺ لِمَنْ قَالَ لَهُ أَوْصِنِيْ وَأَوْجِزْ :" **عَلَيْكَ بِالإِيَاسِ مِمَّا فِي أَيْدِيْ النَّاسِ** ". رواه الحاكم في المستدرك عن سعد بن أبي وقاص برقم (٧٩٢٨) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقَالَ عُمَرُ ﷺ : **الطَّمَعُ فَقْرٌ، وَالإِيَاسُ غِنىً، وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَيِسَ مِنْ شَيْءٍ اسْتَغْنَى عَنْهُ** . أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦١٣) وأحمد في «الزهد» (٦١٣) . وقَالَ ﷺ: **أَجْمِعِ الْيَأْسَ مِمَّا فِيْ أَيْدِيْ النَّاسِ، فَإِنَّهُ الْغِنَى**. رواه الطبراني في الكبير (٥٤٥٩) عن سعد بن عمارة، وقال الهيثمي: رجاله ثقات . فَمَنْ كَانَ غَنِيَّ القَلْبِ لا يَضُرُّهُ مَا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا، ومَنْ كَانَ فَقِيرَ الْقَلْبِ فَلا يُغْنِيْهِ مَالُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيْرِهَا .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٨٠٩٥) والترمذي في سننه (٢٣٠٥) وابن ماجه في سننه (٤٢١٧) وقال الترمذي : حديث غريب، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً. وقال المنذري : رواه البزار والبيهقي في كتاب الزهد عن مكحول عن واثلة عنه، وقد سمع مكحول من واثلة، قاله الترمذي وغيره لكن بقية إسناده فيهم ضعف. وقال علي القاري : وفيه أن حديث الحسن اعتضد بحديث مكحول، فترقى عن درجة الضعف، مع أنه معتبر في فضائل الأعمال إجماعاً. وقال الدارقطني كما في تخريج الإحياء : والحديث ثابت .

الحَدِيثُ الحَادِيْ عَشَرَ

تَرْهِيبُهُ ﷺ عُمُومَ أُمَّتِهِ مِنْ كِتْمَانِ العِلْمِ وَلَوْ كَانَ حَدِيثًا وَاحِدًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **مَنْ كَتَمَ عِلْمًا**(١) **يَعْلَمُهُ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ** "(٢) . وعَنْهُ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ وَلَا يَتَحَدَّثُ بِهِ كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنِزُ الذَّهَبَ وَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ** "(٣) .

---

(١) قوله :" **علماً** ". نكرة في سياق الشرط، فتفيد العموم، فمهما كان هذا العلم قليلاً فإن المسلمين يحتاجون إليه لصلاح دينهم، فلا يجوز لمسلم أن يكتم شيئاً من الدين بَلَغَهُ ولو قلَّ، وإلَّا دخل في هذا الوعيد الشديد . كما أنَّ من علَّم علماً ودعا إليه كان له أجر من عمل به، كما قال ﷺ :" **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا** ".

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٠٤٨٧) وابن ماجه في سننه (٢٦٥) والحاكم في المستدرك (٣٤٦) وقال : هذا إسناد صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين، وليس له علة، وفي الباب عن جماعة من الصحابة غير أبي هريرة، ووافقه الذهبي. ورواه وابو داوود في سننه (٣٦٥٨) الترمذي في سننه (٢٦٤٩) بنحوه، ولفظه :" **مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ". قال الترمذي : حديث حسن. وقد ذم الله عَزَّوَجَلَّ اليهود ومن كان على شاكلتهم ممن عرف شيئاً من الحق – ولو يسيراً – فكتمه، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا** ﴾ [النساء: ٣٧]. وأخرج الطبري في تفسيره (٩٤٩٩) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي هذه الآية، قَالَ : **هَذَا لِلْعِلْمِ، لَيْسَ لِلدُّنْيَا مِنْهُ شَيْءٌ**. وأخرج (٩٤٩٤) عَنِ الْحَضْرَمِيِّ في نفس الآية، قَالَ : **هُمُ الْيَهُودُ بَخِلُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَكَتَمُوا ذَلِكَ**. وقال الطبري: إِنَّ بُخْلَهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِنَّمَا كَانَ بُخْلًا بِالْعِلْمِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ آتَاهُمُوهُ، فَبَخِلُوا بِتَبْيِينِهِ لِلنَّاسِ، وَكَتَمُوهُ دُونَ الْبُخْلِ بِالْأَمْوَالِ. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٣٢٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ** ﴾ يَقُولُ : **وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْكِتْمَانِ**. وَأخرج أيضاً (٥٣١٧) عن سعيد بن جُبَير قَالَ : **كَانَ عُلَمَاء بني إِسْرَائِيل يَبْخلُونَ بِمَا عِنْدهم من الْعلم وَينْهَوْنَ الْعلمَاء أَن يعلمُوا النَّاس شَيْئاً، فعيَّرهم الله بذلك فَأنْزل الله** : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ** ﴾ **الْآيَة**.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦٨٩) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٧٤) وقال الهيثمي : وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف اه. قلت : لكنه من رواية ابن وهب عنه وهي مستقيمة فإنه روى عنه قبل الاختلاط وكفَّ بعدُ . فالحديث حسن . وفي رواية أخرى عنه قال :" **مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَلَا يُحَدِّثُ بِهِ كَمَثَلِ الَّذِي رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا لَا يُنْفِقُ مِنْهُ** ". وأخرج ابن عبد البر في الجامع (٧٧٨) عَنِ=

=ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ** . وأخرج أيضاً (٧٧٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : **مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُظْهِرُهُ صَاحِبُهُ كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفِقُ مِنْهُ صَاحِبُهُ** . وأخرج (٧٧٩) عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : **عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ** . فَكَنْزُ الْعِلْمِ أَشَدَّ إِثْماً مِنْ كَنْزِ الْمَالِ، لأن أثر العلم في صلاح الأفراد والمجتمعات أعظم من أثر المال، فالقرون الأولى ما حازت الخيرية بكثرة المال أو العَرَضِ، وإنما حازتها بتحقق العلم الرباني النافع في أفرادها، فأثمر هذا العلمُ إيماناً ويقيناً وأخلاقاً ورحمة سادوا بها العالم؛ كما أن الصدقة بالعلم أكمل أثراً وأعظم أجراً منها بالمال، وفي كلٍّ خير، **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ : وَفَضْلُ الْعِلْمِ عَلَى الْمَالِ يُعْلَمُ مِنْ وُجُوهٍ : **أَحَدُهَا:** أَنَّ العِلْمَ مِيرَاثُ الأَنبيَاءِ، والْمَالَ مِيرَاثُ الْمُلُوكِ والأَغْنِيَاءِ. **وَالثَّانِيْ:** أَنَّ العلمَ يَحْرُسُ صَاحِبَهُ، وصَاحِبَ الْمَالِ يَحْرُسُ مَالَهُ. **وَالثَّالِثُ:** أَنَّ الْمَالَ تُذْهِبُهُ النَّفَقَات، والعِلْمَ يَزْكُو عَلَى النَّفَقَةِ. **وَالرَّابِعُ:** أَنَّ صَاحِبَ الْمَالِ إِذَا مَاتَ فَارَقَهُ مَالُهُ، والعِلْمَ يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ. **وَالْخَامِسُ:** أَنَّ الْعِلْمَ حَاكِمٌ عَلَى الْمَالِ، والْمَالَ لا يَحْكُمُ عَلَى العِلْمِ. **وَالسَّادِسُ:** أَنَّ الْمَالَ يَحْصُلُ لِلمُؤْمِنِ والكَافِرِ والْبَرِّ والفَاجِرِ، والعِلْمَ النَّافِعَ لا يَحْصُلُ إِلاَّ لِلمُؤْمِنِ. **وَالسَّابِعُ:** أَنَّ الْعَالِمَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ فَمَنْ دُونَهُمْ، وصَاحِبَ الْمَالِ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَيهِ أَصْحَابُ الْعَدَمِ والْفَاقَةِ. **وَالثَّامِنُ:** أَنَّ النَّفْسَ تَشْرُفُ وتَزْكُو بِجَمْعِ العِلْمِ وتَحْصِيلِهِ، وذَلِكَ مِنْ كَمَالِهَا وشَرَفِهَا، والْمَالَ لا يُزَكِّيهَا ولا يُكَمِّلُهَا ولا يَزِيْدُهَا صِفَةَ كَمَالٍ، بَلِ النَّفْسُ تَنقُصُ وتَشُحُّ وتَبْخَلُ بِجَمْعِهِ والحِرْصِ عَلَيهِ، فَحِرْصُهَا عَلَى العِلْمِ عَيْنُ كَمَالِهَا، وحِرْصُهَا عَلَى المالِ عَيْنُ نَقْصِهَا. **وَالتَّاسِعُ:** أَنَّ الْمَالَ يَدْعُوهَا إلى الطُّغْيَانِ والفَخْرِ والخُيَلاءِ، والعِلْمَ يَدْعُوهَا إِلَى التَّوَاضُعِ والْقِيَامِ بِالْعُبُودِيَّةِ، فَالْمَالُ يَدْعُوهَا إلى صِفَاتِ الْمُلُوكِ، والعِلْمُ يَدْعُوهَا إِلَى صِفَاتِ العَبِيْدِ. **وَالعَاشِرُ:** أَنَّ العِلْمَ جَاذِبٌ مُوْصِلٌ لَهَا إلى سَعَادَتِهَا الَّتِي خُلِقَتْ لَهَا، والْمَالَ حِجَابٌ بَينَهَا وبَينَهَا. **وَالْحَادِيْ عَشَرَ:** أَنَّ غِنَى العِلْمِ أَجَلُّ مِنْ غِنَى الْمَالِ، فَإِنَّ غِنَى الْمَالِ بِأَمْرٍ خَارِجِيٍّ عَنْ حَقِيقَةِ الإِنْسَانِ، لَوْ ذَهَبَ فِي لَيلَةٍ أَصْبَحَ فَقِيراً مُعْدَماً، وغِنَى النَّفْسِ لا يُخْشَى عَلَيهِ الفَقْرُ، بَلْ هُوَ زِيَادَةٌ أَبَداً، فَهُوَ الْغِنَى العَالِيْ حَقِيقَةً، كَمَا قِيلَ : **غَنِيتُ بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِم وإِنَّ الغِنَى العَالِي عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ**. **وَالثَّانِيْ عَشَرَ:** أَنَّ الْمَالَ يَسْتَعْبِدُ مُحِبَّهُ وصَاحِبَهُ، فَيَجْعَلُهُ عَبْداً لَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **تَعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ وَالدِّرْهَمِ** ". والعِلْمَ يَسْتَعْبِدُهُ لِرَبِّهِ وخَالِقِهِ، فَهُوَ لا يَدْعُوهُ إِلاَّ إِلَى عُبُودِيَّةِ اللهِ وَحْدَهُ. **وَالثَّالِثُ عَشَرَ:** أَنَّ حُبَّ العِلْمِ وطَلَبَهُ أَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ، وحُبَّ الدُّنيَا والْمَالِ وطَلَبَهُ أَصْلُ كُلِّ سَيِّئَةٍ . **وَالرَّابِعُ عَشَرَ:** أَنَّ قِيْمَةَ الغَنِيِّ مَالُهُ، وقِيْمَةَ العَالِمِ عِلْمُهُ، فَهَذَا مُتَقَوَّمٌ بِمَالِهِ، فَإِذَا عُدِمَ مَالُهُ عُدِمَتْ قِيْمَتُهُ وبَقِيَ بِلا قِيْمَةٍ، والعَالِمُ لا تَزُولُ قِيْمَتُهُ، بَلْ هِيَ فِي تَضَاعُفٍ وزِيَادَةٍ دائماً. **وَالْخَامِسُ عَشَرَ:** أَنَّ جَوهَرَ الْمَالِ مِنْ جِنْسِ جَوهَرِ البَدَنِ، وجَوهَرَ العِلْمِ مِنْ جِنْسِ جَوهَرِ الرُّوحِ، كَمَا قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ: **عِلْمُكَ فِي رُوحِكَ وَمَالُكَ فِي بَدَنِكَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الرُّوْحِ وَالْبَدَنِ**. **وَالسَّادِسُ** =

www.saida-islam.weebly.com

=**عَشَرَ**: أَنَّ العَالِمَ لَوْ عُرِضَ عَلَيهِ بِحَظِّهِ مِنَ العِلْمِ الدُّنْيَا بِمَا فِيْهَا لَمْ يَرْضَ عِوَضاً مِنْ عِلْمِهِ، والغَنِيَّ الْغَافِلَ إِذَا رَأَى شَرَفَ العَالِمِ وفَضْلَهُ وابْتِهَاجَهُ بالعِلْمِ وكَمَالَهُ بِهِ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ لَهُ عِلْمَهُ بِغِنَاهُ أَجْمَعَ. **وَالسَّابِعُ عَشَرَ**: أَنَّهُ مَا أَطَاعَ اللهَ أَحَدٌ إِلاَّ بِالْعِلْمِ، وعَامَّةُ مَنْ يَعْصِيْهِ إِنَّمَا يَعْصِيْهِ بالْمَالِ. **وَالثَّامِنُ عَشَرَ**: أَنَّ العَالِمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلى اللهِ بِعِلْمِهِ وحَالِهِ، وجَامِعَ الْمَالِ يَدْعُوهُمْ إِلى الدُّنْيَا بِمَالِهِ. **وَالتَّاسِعُ عَشَرَ**: أَنَّ غِنَى الْمَالِ قَدْ يَكُونُ سَبَبَ هَلاكِ صَاحِبِهِ كَثِيْراً، فَإِنَّهُ مَعْشُوقُ النُّفُوسِ، فَإِذَا رَأَتْ مَنْ يَسْتَأْثِرُ بِمَعْشُوقِهَا عَلَيهَا سَعَتْ فِي هَلاكِهِ كَمَا هُوَ فِي الوَاقِعِ، وأَمَّا غِنَى العِلْمِ فَسَبَبُ حَيَاةِ الرَّجُلِ وحَيَاةِ غَيْرِهِ بِهِ، وَالنَّاسُ إِذَا رَأَوْا مَنْ يَسْتَأْثِرُ عَلَيهِم بِهِ ويَطْلُبُهُ أَحَبُّوْهُ وقَدَّمُوهُ وأَكْرَمُوهُ. **وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ اللَّذَّةَ الحَاصِلَةَ مِنْ غِنَى الْمَالِ إِمَّا لَذَّةٌ وَهْمِيَّةٌ وَإِمَّا لَذَّةٌ بَهِيْمِيَّةٌ، فَإِنْ صَاحِبُهُ الْتَذَّ بِنَفْسِ جَمْعِهِ وتَحْصِيْلِهِ فَتِلْكَ لَذَّةٌ وَهْمِيَّةٌ خَيَالِيَّةٌ، وإِذَا الْتَذَّ بِإِنْفَاقِهِ فِي شَهَوَاتِهِ فَهِيَ لَذَّةٌ بَهِيْمِيَّةٌ. **وَالْحَادِيْ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ عُقَلاءَ الأُمَمِ مُطْبِقُوْنَ عَلَى ذَمِّ الشَّرَهِ فِي جَمْعِ الْمَالِ والْحَرِيصِ عَلَيهِ وتَنَقُّصِهِ والإِزْرَاءِ بِهِ، ومُطْبِقُونَ عَلَى تَعظِيمِ الشَّرَهِ فِي جَمْعِ العِلمِ وتَحْصِيلِهِ ومَدْحِهِ ومَحَبَّتِهِ ورُؤْيَتِهِ بِعَيْنِ الكَمَالِ. **وَالثَّانِيْ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّهُمْ مُطْبِقُونَ عَلَى تَعظِيمِ الزَّاهِدِ فِي الْمَالِ الْمُعْرِضِ عَنْ جَمْعِهِ الَّذِي لا يَلْتَفِتُ إِلَيهِ، ولا يَجْعَلُ قَلْبَهُ عَبْداً لَهُ، ومُطْبِقُونَ عَلَى ذَمِّ الزَّاهِدِ فِي العِلْمِ الَّذِي لا يَلتَفِتُ إِلَيهِ ولا يَحْرِصُ عَلَيهِ. **وَالثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ الْمَالَ يُمْدَحُ صَاحِبُهُ بِتَخَلِّيهِ عَنهُ وإِخْرَاجِهِ، والعِلْمَ إِنَّمَا يُمْدَحُ بِتَحَلِّيْهِ بِهِ واتِّصَافِهِ بِهِ. **وَالرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ غِنَى الْمَالِ مَقْرُونٌ بالْخَوفِ والْحُزْنِ، فَهُوَ حَزِينٌ قَبلَ حُصُولِهِ خَائِفٌ بَعدَ حُصُولِهِ، وكُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ كَانَ الْخَوْفُ أَقْوَى، وغِنَى العِلْمِ مَقْرُونٌ بالأَمْنِ والفَرَحِ والسُّرُورِ. **وَالْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ الغَنِيَّ بِمَالِهِ لا بُدَّ أَنْ يُفَارِقَهُ غِنَاهُ ويَتَعَذَّبَ ويَتَأَلَّمَ بِمُفَارَقَتِهِ، والْغَنِيَّ بالعِلمِ لا يَزُولُ ولا يَتَعَذَّبُ صَاحِبُهُ ولا يَتَأَلَّمُ، فَلَذَّةُ الغَنِيِّ بالْمَالِ لَذَّةٌ زَائِلَةٌ مُنْقَطِعَةٌ يَعْقُبُهَا الأَلَمُ، ولَذَّةُ الْغَنِيِّ بالعِلْمِ لَذَّةٌ بَاقِيَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لا يَلْحَقُهَا أَلَمٌ. **وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ اسْتِلْذَاذَ النَّفْسِ وكَمَالَهَا بالغِنَى اسْتِكْمَالٌ بِعَارِيَّةٍ مُؤَدَّاةٌ، فَتَجَمُّلُهَا بالْمَالِ تَجَمُّلٌ بِثَوبٍ مُسْتَعَارٍ لا بُدَّ أَنْ يَرجِعَ إِلى مَالِكِهِ يَوماً مَا، وأَمَّا تَجَمُّلُهَا بالعِلْمِ وكَمَالُهَا بِهِ فَتَجَمُّلٌ بِصِفَةٍ ثَابِتَةٍ لَهَا رَاسِخَةٍ فِيهَا لا تُفَارِقُهَا. **وَالسَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ الغِنَى بالْمَالِ هُوَ عَيْنُ فَقْرِ النَّفسِ، والغِنَى بالعِلْمِ هُوَ الغِنَى الْحَقِيقِيُّ، فَغِنَاهَا بِعِلْمِهَا هُوَ الغِنَى، وغِنَاهَا بِمَالِهَا هُوَ الْفَقْرُ. **وَالثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ مَنْ قُدِّمَ وأُكْرِمَ لِمَالِهِ إِذَا زَالَ مَالُهُ زَالَ تَقْدِيْمُهُ وإِكْرَامُهُ، ومَنْ قُدِّمَ وأُكْرِمَ لِعِلْمِهِ لا يَزْدَادُ إِلاَّ تَقْدِيْماً وإِكْرَاماً. **وَالتَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ**: أَنَّ جَمْعَ الْمَالِ مَقْرُونٌ بِثَلاثَةِ أَنوَاعٍ مِنَ الآفَاتِ والْمِحَنِ، نَوعٌ قَبْلَهُ ونَوْعٌ عِندَ حُصُولِهِ ونَوْعٌ بَعدَ مُفَارَقَتِهِ، فَأَمَّا **النَّوعُ الأَوَّلُ**: فَهُوَ الْمَشَاقُّ والأَنْكَادُ الَّتِي لا يَحْصُلُ إِلاَّ بِهَا. وأَمَّا **النَّوعُ الثَّانِيْ**: فَمَشَقَّةُ حِفْظِهِ وحِرَاسَتِهِ وتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهِ، فَلا يُصْبِحُ إِلاَّ مَهْمُوماً ولا يُمْسِيْ إِلاَّ مَغْمُوماً. **والنَّوعُ الثَّالِثُ**: مِنْ آفَاتِ الغِنَى مَا يَحْصُلُ لِلْعَبْدِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ مِنْ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ، وكَونِهِ قَدْ حِيْلَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ، والْمُطَالَبَةِ بِحُقُوقِهِ والْمُحَاسَبَةِ عَلَى مَقْبُوضِهِ ومَصْرُوفِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفِيمَا أَنْفَقَهُ، وغِنَى الْعِلْمِ=

=مَعَ سَلامَتِهِ مِنْ هَذِهِ الآفَاتِ فَهُوَ كَفِيْلٌ بِكُلِّ لَذَّةٍ وفَرْحَةٍ وسُرُورٍ، ولَكِنْ لا يُنَالُ إلاَّ عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ والصَّبْرِ والْمَشَقَّةِ. وَالثَّلاثُونَ: أَنَّ الْمَالَ لا يُرَادُ لِذَاتِهِ وعَيْنِهِ، فَإِنَّهُ لا يَحْصُلُ بِذَاتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَنَافِعِ أَصْلاً، فَإِنَّهُ لا يُشْبِعُ ولا يُرْوِيْ ولا يدَفِّئُ ولا يُمَتِّعُ، وإِنَّمَا يُرَادُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ طَرِيقاً إِلَيهَا أُرِيْدَ إِرَادَةَ الْوَسَائِلِ، ولَذَّاتُهُ مُنَغَّصَةٌ مَمْزُوجَةٌ بالآفاتِ ومَعْجُونَةٌ بالآلامِ، مُحْتَاطَةٌ بِالْمَخَاوِفِ، وفِي الغَالِبِ لا تَفِيْ آلامُهَا بِطَيِّبِهَا، والقَلْبُ الَّذِي قَدْ وَجَّهَ قَصْدَهُ وإِرَادَتَهُ إلى هَذِهِ اللَّذَّاتِ لا يَزَالُ مُسْتَغْرِقاً فِي الْهُمُومِ والغُمُومِ والأَحْزَانِ، ومَا يَنَالُهُ مِنَ اللَّذَّاتِ فِي جَنبِ هَذِهِ الآلامِ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ، وأَمَّا غِنَى العِلْمِ والإِيْمَانِ فَدَائِمُ اللَّذَّةِ، مُتَّصِلُ الْفَرْحَةِ، مُقْتَضٍ لأَنواعِ الْمَسَرَّةِ والْبَهْجَةِ، لا يَزُولُ فَيَحْزَنُ، ولا يُفَارِقُ فَيُؤْلِمُ، بَلْ أَصْحَابُهُ كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. وَالْحَادِيْ وَالثَّلاثُونَ: أَنَّ غَنِيَّ الْمَالِ يُبْغِضُ الْمَوتَ ولِقَاءَ اللهِ، فَإِنَّهُ لِحُبِّهِ لَهُ يَكْرَهُ مُفَارَقَتَهُ، ويُحِبُّ بَقَاءَهُ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ كَمَا شَهِدَ الْوَاقِعُ، أَمَّا العِلْمُ فَإِنَّهُ يُحَبِّبُ لِلْعَبْدِ لِقَاءَ رَبِّهِ، ويُزَهِّدُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ النَّكِدَةِ الفَانِيَةِ. وَالثَّانِيْ وَالثَّلاثُونَ: أَنَّ الأَغْنِيَاءَ يَمُوتُ ذِكْرُهُمْ بِمَوتِهِمْ، والعُلَمَاءَ يَمُوتُونَ ويَبْقَى ذِكْرُهُمْ، كَمَا قَالَ أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ عليٌّ ﷺ : **مَاتَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ**. فَخُزَّانُ الأَموَالِ أَحْيَاءٌ كَأَمْوَاتٍ، والعُلَمَاءُ بَعْدَ مَوتِهِمْ أَمْوَاتٌ كَأَحْيَاءٍ. وَالثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ: أَنَّ القَدْرَ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمَالِ هُوَ مَا يَكْفِي الْعَبدَ ويُقِيْمُهُ ويَدْفَعُ ضَرُورَتَهُ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ قَضَاءِ جَهَازِهِ فِي التَّزَوُّدِ لِسَفَرِهِ إِلَى رَبِّهِ ﷻ، فَإِذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ شَغَلَهُ وقَطَعَهُ عَنِ السَّفَرِ وعَنْ قَضَاءِ جَهَازِهِ وتَعْبِئَةِ زَادِهِ، فَكَانَ ضَرَرُهُ عَلَيهِ أَكْثَرَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ، وكُلَّمَا زَادَ غِنَاهُ بِهِ ازْدَادَ تَثْبِيْطاً وتَخَلُّفاً مِنَ التَّجَهُّزِ لِمَا أَمَامَهُ، وأَمَّا العِلْمُ النَّافِعُ فَكُلَّمَا ازْدَادَ مِنهُ ازْدَادَ فِي تَعْبِئَةِ الزَّادِ وقَضَاءِ الجَهَازِ وإِعْدَادِ الْمَسِيْرِ، واللهُ الْمُوَفِّقُ، وبِهِ الإسْتِعَانَةُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِهِ، فَعُدَّةُ هَذَا السَّفَرِ هُوَ العِلْمُ والعَمَلُ، وعُدَّةُ الإِقَامَةِ جَمْعُ الأَمْوَالِ والإِدِّخَارُ، ومَنْ أَرَادَ شَيْئاً هَيَّئَ لَهُ عُدَّتَهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] «مفتاح دار السعادة» باختصار (١/١٥٦-١٧٥). وَالرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ: أَنَّ الصدَقَةَ بالعِلْمِ أَعْظَمُ نَفْعاً مِنَ الصَّدَقَةِ بالْمَالِ، وفِي كُلٍّ خَيْرٌ، كَمَا أَنَّ ضَرَرَ البُخْلِ بالعِلْمِ أَشَدُّ مِنْ ضَرَرِ الْبُخْلِ بالْمَالِ؛ فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَتَبَ إِلَى الْقُرَظِيِّ : **أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِيْ كِتَابُكَ يَعِظُنِي ويُذَكِّرُنِي مَا هُوَ لِيْ حَظٌّ وعَلَيكَ حَقٌّ، وقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الأَجْرِ، إِنَّ الْمَوعِظَةَ كَالصَّدَقَةِ، بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْراً، وأَبْقَى نَفْعاً، وأَحْسَنُ ذُخْراً، وأَوْجَبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَقّاً؛ وَلَكَلِمَةٌ يَعِظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزْدَادَ بِهَا فِي هُدَىً رَغْبَةً خَيْرٌ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، وَإِنَّ مَا يُدْرِكُ أَخُوكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الْهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنْ يَنجُوَ أَخُوْكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنجُوَ بِصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ، فَعِظْ مَنْ تَعِظ=**

www.saida-islam.weebly.com

*****

=**لِقَضَاءِ حَقٍّ عَلَيْكَ، وَاسْمَعْ كَذَلِكَ حِيْنَ تُوْعَظُ** .. أخرجه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (٣٣١). وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ الْعِلْمَ فَيَعْمَلَ بِهِ ثُمَّ يُعَلِّمَهُ** . وأخرج ابن عبد البر في الجامع (٢٠٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **مَا أَفَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ فَائِدَةً أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثٍ حَسَنٍ بَلَغَهُ فَبَلَّغَهُ** ". وقال العراقي : مرسل حسن الإسناد. وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مِنْ أَفْضَلِ الْفَوَائِدِ حَدِيثٌ حَسَنٌ يَسْمَعُهُ الرَّجُلُ فَيُحَدِّثُ بِهِ أَخَاهُ** ". وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا أَهْدَى الْمَرْءُ لِأَخِيهِ هَدِيَّةً أَفْضَلَ مِنْ كَلِمَةِ حِكْمَةٍ يَزِيدُهُ اللَّهُ بِهَا هُدًى أَوْ يَرُدُّهُ بِهَا عَنْ رَدًى** ". وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ** ". قال ابن عبد البر : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى تَبْلِيغِ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ . لهذا كله – مع ما ورد من الآثار العظيمة في فضل العلم – كان السلف يتواصون فيما بينهم بنشر العلم، ويحذرون من كتمانه، قال عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ : **إِنَّ الْعِلْمَ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيَنْشُرْهُ غَيْرَ جَافٍ عَنْهُ وَلَا غَالٍ فِيهِ**. وعَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ قَالَ : كُنَّا إِذَا وَدَّعْنَا مَالِكًا يَقُولُ لَنَا : اتَّقُوا اللَّهَ وَانْشُرُوا هَذَا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ وَلَا تَكْتُمُوهُ. وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: **أَمَّا بَعْدُ مُرْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ مِنْ جُنْدِكَ فَلْيَنْشُرُوا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ، وَالسَّلَامُ** . **وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ: مَنْ كَتَمَ عِلْمًا فَكَأَنَّهُ جَاهِلُهُ**. وقال مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الصَّائِغَ : رَأَيْتُ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: بِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي نَشَرْتُهُ فِي النَّاسِ .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّانِيْ عَشَرَ

بَيَانُهُ ﷺ أَنَّ مَنْ دَعَا إِلَى عَمَلٍ صَالِحٍ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً كَانَ لَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ، عَالِماً كَانَ الدَّاعِيْ أَوْ عَامِّيّاً

عَنِ جَرِير بْنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ؛ قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ[١]، مُجْتَابِي النِّمَارِ[٢] أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ؛ فَتَمَعَّرَ[٣] وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلاَلاً، فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ[٤]، فَقَالَ :" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[٥]، وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ[٦]، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ:" وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ". قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ

---

(١) أَيْ: يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْعُرْيُ .

(٢) النِّمَارُ : جَمْعُ نَمِرَةٍ؛ وهي ثياب صوف فيها تنمير، أي : تخطيط؛ والعباء : جَمْعُ عَبَاءَةٍ وَعَبَايَةٍ لُغَتَانِ . وَقَوْلُهُ : «مُجْتَابِي النِّمَارِ» أَيْ خَرَقُوهَا وَقَوَّرُوا وَسَطَهَا .

(٣) أَيْ تَغَيَّرَ؛ لِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يُجْبِرُ كَسْرَهُمْ، وَيُغْنِي فَقْرَهُمْ، وَيَكْسِبُهُمْ وَيُعْطِيهُمْ مَا يُغْنِيهِمْ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ خُصُوصًا فِي حَقِّ أُمَّتِهِ. (فَدَخَلَ) أَيْ: فِي بَيْتِهِ لَعَلَّهُ يَلْقَى شَيْئًا مِنَ زِيَادَةِ النَّفَقَةِ أَوْ لِتَجْدِيدِ الطَّهَارَةِ وَالتَّهْيِئَةِ لِلْمَوْعِظَةِ.

(٤) فِيهِ اسْتِحْبَابُ جَمْعِ النَّاسِ لِلْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ وَوَعْظِهِمْ وَحَثِّهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِحِ .

(٥) سَبَبُ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا أَبْلَغُ فِي الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ وَلِمَا فِيهَا مِنْ تَأَكُّدِ الْحَقِّ لِكَوْنِهِمْ إِخْوَةً.

(٦) هذا خَبَرٌ لَفْظًا وَأَمْرٌ مَعْنًى، وَإِتْيَانُ الْإِخْبَارِ بِمَعْنَى الْإِنْشَاءِ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ، بَلْ قِيلَ : إِنَّهُ أَبْلَغُ فَكَأَنَّهُ أَمَرَهُ وَامْتَثَلَ بِهِ فَأَخْبَرَ عَنْهُ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وقَالَ الطِّيبِيُّ : رَجُلٌ نَكِرَةٌ وُضِعَتْ مَوْضِعَ الْجَمْعِ الْمَعْرُوفِ لِإِفَادَةِ الِاسْتِغْرَاقِ فِي الْإِفْرَادِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ؛ أَيْ : لِيَتَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، وَرَجُلٌ مِنْ دِرْهَمِهِ وَهَلُمَّ جَرًّا . «مرقاة المفاتيح» (١/٢٩٢ – ٢٩٣) .

www.saida-islam.weebly.com

قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ : ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ[(١)] كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ[(٢)]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ** "[(٣)][(٤)] .

---

(١) يَتَهَلَّلُ : أَيْ يَسْتَنِيرُ فَرَحًا وَسُرُورًا .

(٢) قَوْلُهُ : «مُذْهَبَةٌ» ذَكَرَ الْقَاضِي وَجْهَيْنِ فِي تَفْسِيرِهِ؛ **أَحَدُهُمَا** : مَعْنَاهُ فِضَّةٌ مُذْهَبَةٌ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي حُسْنِ الْوَجْهِ وَإِشْرَاقِهِ. **وَالثَّانِي**: شَبَّهَهُ فِي حُسْنِهِ وَنُورِهِ بِالْمُذْهَبَةِ مِنَ الْجُلُودِ وَجَمْعُهَا مَذَاهِبُ، وَهِيَ شَيْءٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تَصْنَعُهُ مِنْ جُلُودٍ وَتَجْعَلُ فِيهَا خُطُوطًا مُذْهَبَةً يُرَى بَعْضُهَا إِثْرَ بَعْضٍ. وَأَمَّا سَبَبُ سُرُورِهِ ﷺ فَفَرَحًا بِمُبَادَرَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ لِلَّهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِدَفْعِ حَاجَةِ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَاجِينَ، وَشَفَقَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَنْ يَفْرَحَ وَيُظْهِرَ سُرُورَهُ وَيَكُونَ فَرَحُهُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ . «شرح مسلم للنووي» (١٠٢/٧ - ١٠٣) .

(٣) قال النووي : فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ، وَسَنِّ السُّنَنِ الْحَسَنَاتِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ، وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ: فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا فَتَتَابَعَ النَّاسُ. وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحِ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ؛ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ ﷺ :" **كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** ". وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ. «المصدر السابق» وعُلِمَ من الحديث أن له ﷺ من مضاعفة الثواب بحسب مضاعفة أعمال أمته ما لا يحيط به عقل ولا يحده حدٌّ؛ وذلك أن له مثل ثواب أصحابه بالنسبة لما عملوه وما دلوا عليه من بعدهم المضاعف لهم ثوابه إلى يوم القيامة، وهكذا في كل مرتبة من مراتب المبلّغين عنه عند انقضاء الأمة؛ ومنه يعلم عظيم فضل كل أهل مرتبة المتضاعف المتعدد بتعدد من بعدهم، فتأمله لتعلم فضل السلف على الخلف والمتقدمين على المتأخرين . «دليل الفالحين» (٤٤٦/٢) .

(٤) رواه مسلم برقم (١٠١٧) . وفي الحديث بيان لفضيلة المبادرة بالخيرات، وأن السابقين لهم فضل على اللاحقين بالابتداء بالخيرات، ودلالتهم عليها بأقوالهم وأفعالهم، ولا يخفى أن هذا غير مقصور على العلماء،- وإن كانوا هم أحقَّ الناس بهذا الفضل -، فإن عوام الأمة أيضاً عندهم الاستعداد والصلاحية لتعلم الخير والقيام به وتعليمه ودعوة الناس إليه، وهو السبيل لخروج الإنسانية من الخسران المحتم، كما في سورة العصر، ولا يجوز لأحد من أهل العلم - فضلاً عن غيرهم - أن يلمزَ أحداً =

www.saida-islam.weebly.com

*****

=من المؤمنين المطَّوِّعين في النصيحة للمسلمين ولو كانت بضاعته في العلم قليلة، ما دام ملتزماً بالضوابط الشرعية، لأنه في هذه الحالة يحاكي لَمْزَ المنافقين للمطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلَّا جهدهم ويماثله، وهم – أي اللَّامزون – في هذا لا ينفعون الإسلام بشيء، وإنما يعيقون طريق الدعوة والإنفاق في سبيل الله، ويصدون عن سبيل الله من حيث لا يعلمون، فيصيبهم ما توعد الله ﷻ به هذه الطائفة الْمُثبِّطَة، فقال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. **[التوبة:٧٩]**. ولو أنهم ضَمُّوا جهدهم وصلاحيتهم وما عندهم إلى جهد هؤلاء وعاونوهم على البر والتقوى، لكان خيراً لهم وأقوم وأنفع للإسلام والمسلمين، ولو أنهم إذ لم يفعلوا صمتوا لكان أسلم لهم، فقد قال ﷺ :" **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**". ولله در القائل : **أَقِلُّوا عَلَيهِمُ اللَّومَ لا أَبَا لِأَبِيكُمُوا أَوْ سُدُّوا المَكَانَ الَّذِي سَدُّوا**.

وقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَقُولُونَ فِيمَنْ بَذَلَ جُهْدَهُ فِي مَعْرِفَةِ مَسْأَلَةٍ أَوْ مَسأَلَتَينِ هَلْ لَهُ أَنْ يُفْتِيَ بِهَا ؟ قِيلَ : نَعَمْ، يَجُوزُ فِي أَصَحِّ القَولَينِ، وَهُمَا وَجهَانِ لأَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَهَلْ هَذَا إلاَّ مِنَ التَّبلِيغِ عَنِ اللهِ وعَنْ رَسُولِ الله ﷺ، **وَجَزَى اللهُ مَنْ أَعَانَ الإسْلامَ وَلَو بِشَطْرِ كَلِمَةٍ خَيراً** ؛ وَمَنْعُ هَذَا مِنَ الإِفْتَاءِ بِمَا عَلِمَ خَطَأٌ مَحْضٌ . «إعلام الموقعين» (٢١٧/٤) . فَمِنَ الخطأ المحض أن يُمْنَعَ مَنْ يَعْلَمُ شيئاً من الدين من تبليغه لغيره، بحجة أنه غير عالم، فإن هذا خلاف ما أمر به النبي ﷺ من التبليغ لكل ما عَلِمَهُ المرء ولو آيةً، وقد مَرَّ تقرير ذلك بما لا مزيد عليه . وسيأتي بيان ذلك من خلال واقعات الصحابة في دعوتهم أقوامهم إلى الله فور إسلامهم؛ والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّالِثُ عَشَرَ

تَحْمِيلُ الصَّحَابَةِ مَنْ بَعْدَهُمْ مَسْؤُولِيَّةَ تَبْلِيغِ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الدِّينِ وَلَوْ قَلَّ

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ : خَرَجْتُ غَازِيًا، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِحِمْصَ خَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ لِأَشْتَرِيَ مَا لَا غِنًى لِلْمُسَافِرِ عَنْهُ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ قُلْتُ : لَوْ أَنِّي دَخَلْتُ فَرَكَعْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ نَظَرْتُ إِلَى ثَابِتِ بْنِ مَعْبَدٍ، وَمَكْحُولٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا : إِنَّا نُرِيدُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ، فَقَامُوا وَقُمْتُ مَعَهُمْ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ رَقَّ وَكَبِرَ، وَإِذَا عَقْلُهُ وَمَنْطِقُهُ أَفْضَلُ مِمَّا نَرَى مِنْ مَنْظَرِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا حَدَّثَنَا أَنْ قَالَ : **إِنَّ مَجْلِسَكُمْ هَذَا مِنْ بَلَاغِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ، وَحُجَّتِهِ عَلَيْكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ، وَإِنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ بَلَّغُوا مَا سَمِعُوا، فَبَلِّغُوا مَا تَسْمَعُونَ** :" **ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : رَجُلٌ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ** " [(١)] .

وَعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي زَكَرِيَّا وَسُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ عَلَى أَبِي أُمَامَةَ بِحِمْصَ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ : **إِنَّ مَجْلِسَكُمْ هَذَا مِنْ بَلَاغِ اللَّهِ لَكُمْ وَاحْتِجَاجِهِ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَلَّغَ، فَبَلِّغُوا** [(٢)] .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ فَيُحَدِّثُنَا حَدِيثًا كَثِيرًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا سَكَتَ قَالَ : **أَعَقَلْتُمْ ؟ بَلِّغُوا كَمَا بُلِّغْتُمْ** [(٣)] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٩٣) وقال الهيثمي في المجمع: فيه كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطي وكلاهما وُثِّقَ وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٦١٤) وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٧٦٧٣) وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ عَنهُ فَيَقُولُ : **بَلِّغُوْا عَنَّا فَقَدْ بَلَّغْنَاكُمْ** . يَرَى أَنَّ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ [(١)] .

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٨٦). وفي هَذَا أَوْضَحُ دَلِيْلٍ عَلَى حِرْصِ الصَّحَابَةِ ﷺ عَلَى تَبْلِيغِ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وحِرْصِهِم عَلَى إِقَامَةِ الأُمَّةِ عَلَى تَبْلِيْغِ مَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ مِيْرَاثِ النُّبُوَّةِ ولَوْ كَانَ حَدِيثاً وَاحِداً، وهَذَا مِنْ فَهْمِهِمْ لِلْمَسْؤُولِيَّةِ العُظْمَى الَّتِي أَنَاطَهَا اللهُ ﷻ بِهَذِهِ الأُمَّةِ، حَيْثُ جَعَلَهُمْ نُوَّاباً عَنْ رَسُولِهِ ﷺ فِي تَبْلِيغِ الدِّيْنِ، فَقَالَ ﷺ : "**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**"، وقَالَ : "**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيْثاً فَبَلَّغَهُ**". وقَالَ ﷺ : "**بَلِّغُوْا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**". فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ شَيْئاً فِي أَمْرِ الدِّيْنِ فَهُوَ خَلِيْفَتُهُ ﷺ فِي التَّبْلِيغِ، مَأْمُورٌ مِنْ جِهَتِهِ بِالبَيَانِ كَالْمَبْعُوثِ. وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : قَالَ ﷻ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢]، وقَالَ ﷻ : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦-٧]، وقَالَ ﷻ: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٨]، قَالَ مُقَاتِلٌ رَحِمَهُ اللهُ : يَقُولُ ﷻ : ﴿ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ ﴾ **لِكَيْ يَسْأَلَ اللهُ الصَّادِقِينَ - يَعْنِي النَّبِيِّيْنَ - عَنْ تَبْلِيْغِ الرِّسَالَةِ** . وقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللهُ : **يَسْأَلُ الْمُبَلِّغِين الْمُؤَدِّينَ عَنِ الرُّسُلِ - يَعْنِي: هَلْ بَلَّغُوا عَنْهُمْ - كَمَا يَسْأَلُ الرُّسُلَ هَلْ بَلَّغُوا عَنِ اللهِ ﷻ** . وَالتَّحْقِيْقُ أَنَّ الآيَةَ تَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا، فَالصَّادِقُونَ هُمُ الرُّسُلُ وَالْمُبَلِّغُونَ عَنْهُمْ؛ فَيَسْأَلُ الرُّسُلَ عَنِ التَّبْلِيْغِ، وَيَسْأَلُ الْمُبَلِّغِيْنَ عَنْهُم عَنْ تَبْلِيْغِ مَا بَلَّغَهُمُ الرُّسُلُ، ثُمَّ يَسْأَلُ الَّذِينَ بَلَغَتْهُمُ الرِّسَالَةُ مَاذَا أَجَابُوا الْمُرْسَلِيْنَ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩]. « إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (٩٢/١). لهذا أَخبَرَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ عِندَ مَوتِهِ بِمَا أَشَارَ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ بِعَدَمِ إِظهَارِهِ لِلنَّاسِ خَشْيَةَ أَنْ يَتَّكِلُوا، فَأَخْبَرَ بِهِ مُعَاذٌ تَأَثُّماً، أَيْ لِرَفعِ الإِثْمِ الْمُتَرَتِّب عَلَى كِتمَانِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ. وَكَانَ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : **بَلَغَنِي أَنَّ الْعُلَمَاءَ يُسْأَلُونَ يَومَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُسْأَلُ الأَنْبِيَاءُ - يَعْنِي عَنْ تَبْلِيْغِهِ** - رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٨٤). وتقدم قولُ الإمَامِ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : **كُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَا**. فَعَلَى هَذَا مَنْ تَعَلَّمَ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً فَإِنَّهُ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ تَبْلِيْغِهَا. فَلِذَلِكَ بَادَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِلى تَبْلِيْغِ مَا سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وأَقَامُوا مَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى تَبْلِيْغِ مَا سَمِعُوهُ، وَكَانُوا يَخَافُونَ مِنْ كِتْمَانِ العِلْمِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ مِنْ إِمْسَاكِ الْمَالِ مَعَ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ مِنْ ذَلِكَ، وذَلِكَ لِعِظَمِ الْمَسْؤُولِيَّةِ فِي ذَلِكَ، وعِلْمِهِمْ بأَنَّهُم خُلَفَاءُ الرَّسُولِ ﷺ ونُوَّابُهُ فِي التَّبليغِ عَنهُ، وهَكَذَا الأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ .

الحَدِيثُ الرَّابِعُ عَشَرَ

اشْتِغَالُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ ﷻ عَلَى الفَوْرِ مِنْ إِسْلامِهِ

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ زَوْجَتُهُ(١)، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ آمَنَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ زَيْدُ

---

(١) خديجة بنت خويلد بْن أسد بْن عبد العزى بْن قصي القرشية الأسدية زوج النَّبِيّ ﷺ. قَالَ الزُّبَيْر: كانت تدعى فِي الجاهلية الطاهرة، ولدت له أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، وهاجرن، فهن: زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم. والقاسم، وَهُوَ أكبر ولده، وعَبْد اللَّهِ، وَكَانَ يقال له الطيب، ويقال له الطاهر، ولد بعد النبوة، وأكثر أهل النسب أن عبد الله بْن رَسُول اللَّهِ ﷺ هُوَ الطيب وَهُوَ الطاهر، له ثلاثة أسماء. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ باللَّه وَرَسُولِهِ وَصَدَّق مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ وَآزَرَهُ عَلَى أَمْرِهِ، فَكَانَ لا يَسْمَعُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ إِلا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا، تُثَبِّتُهُ وَتُصَدِّقُهُ، وَتُخَفِّفُ عَنْهُ، وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ مَا يَلْقَى مِنْ قَوْمِهِ. وقال أَبِي رَافِعٍ قَالَ : صلى رسول الله ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَصَلَّتْ خَدِيجَةُ آخِرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَكَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وأخرج مسلم (٢٤٣٠) عن عَلِيٍّ ﷺ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**". قَالَ: أَبُو كُرَيْبٍ، وَأَشَارَ وَكِيعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وأخرج أيضاً (٢٤٣٢) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا ﷻ، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ** . وأخرج البخاري (٣٨١٨) ومسلم (٢٤٣٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ :" **إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**". وقال ﷺ عنها مرَّةً :" **آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا أَوْلادًا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ** ". وعن عُرْوَةَ، قَالَ: تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ بِثَلاثِ سِنِينَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وقالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاةُ. «الاستيعاب ».

www.saida-islam.weebly.com

ابْنُ حَارِثَةَ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ وَدَعَا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ[(١)]، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مَأْلَفًا لِقَوْمِهِ مُحَبَّبًا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانَ جُلُّ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ وَيَأْلَفُونَهُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرِ : لِعِلْمِهِ وَتِجَارَتِهِ وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مَنْ يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ فِيمَا بَلَغَنِي : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَأَنْبَأَهُمْ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَبِمَا وَعَدَهُمُ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ فَآمَنُوا وَأَصْبَحُوا مُقِرِّينَ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَصَلَّوْا وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَآمَنُوا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ[(٢)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَقِيَهُ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ فُقِدْتَ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِكَ، وَاتَّهَمُوكَ بِالْعَيْبِ لِآبَائِهَا

---

(١) بدأ أبو بكر الصديق بنصرة النبي ﷺ في دعوته بنفسه وماله من أول يوم أسلم فيه، فأخرج البخاري (٣٦٦١) عن أبي الدرداء في قصة ذكرها، فقال ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي** ". وكان رضي الله عنه شريكاً له ﷺ في دعوته، ودليلاً له في جولاته على أهل الموسم؛ فأخرج أبو نعيم في الدلائل (٢١٤) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجَ – وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ – إِلَى مِنًى حَتَّى دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ حِينٍ، وَكَانَ رَجُلًا نَسَّابَةً، فَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ قَالَ: وَأَيُّ رَبِيعَةَ أَنْتُمْ؟ فذكر الحديث. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أخرج الحاكم وأبو نُعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما : حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكر شيئاً من هذا الحديث . ولا شك أنه حين أسلم وبدأ يدعو إلى الله لم يكن من العلماء بجميع ما نزل على رسول الله ﷺ، وما منعه هذا من أن ينصر دعوته ﷺ بما أوتي من علم وصلاحية، بل على الفور من إسلامه قام يدعو إلى ما عرفه من الإسلام، فأكرمه الله عز وجل بإسلام هؤلاء النفر الذين صاروا بعدُ منارات يهتدى بها في ظلمات الشرك والجهل والغفلة، ولم يزل رضي الله عنه مرافقاً له ﷺ في حضره وسفره، معيناً له في دعوته وجهاده، مواسياً له بنفسه وماله حتى قبضه الله عز وجل إليه راضياً مرضياً.

(٢) «سيرة ابن إسحاق» ص (١٤٠) و«دلائل النبوة للبيهقي» (٢/١٦٥) و«البداية والنهاية» (٣/ ٣٩).

وَأُمَّهَاتِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، أَدْعُوكَ إلى الله** ". فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْطَلَقَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ أَحَدٌ أَكْثَرُ سُرُورًا مِنْهُ بِإِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ، وَمَضَى أَبُو بَكْرٍ فَرَاحَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ جَاءَ الْغَدَ بِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَالْأَرْقَمِ بْنِ أبي الْأَرْقَمِ، فَأَسْلَمُوا رضي الله عنهم [(١)].

وعَنْهَا رضي الله عنها، قَالَتْ : لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الظُّهُورِ، فَقَالَ :" **يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ** ". فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يلحُّ حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ، كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيبًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَضُرِبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لِوَجْهِهِ، وَنَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ، .. فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ .. قَالَتْ أم جميل بنت الخطاب – وأمه حاضرة – : سَالِمٌ صَالِحٌ . قَالَ : أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَتْ : فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ، قَالَ: فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبَ شَرَابًا أَوْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [(٢)]. فَأَمْهَلَتَا حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ وَسَكَنَ النَّاسُ، خَرَجَتَا بِهِ يَتَّكِئُ عَلَيْهِمَا حَتَّى أَدْخَلَتَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : فأكبَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقبَّله وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، ورقَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِقَّةً شَدِيدَةً . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِي، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَلَدِهَا، وَأَنْتَ مُبَارَكٌ فَادْعُهَا إِلَى اللَّهِ وَادْعُ اللَّهَ لَهَا عَسَى اللَّهُ أَنْ

---

(١) ستةٌ من هؤلاء التسعة من العشرة المبشرين بالجنة، ولكل واحد من التسعة فضل وسابقة في الإسلام لا يشاركه فيها أحد، والفضل يعود في إسلامهم بعد الله ﷻ، ثم رسوله ﷺ، إلى أبي بكر الصديق الذي دعاهم إلى الحق .

(٢) فيه بيان شدة محبة الصديق لرسول الله ﷺ واستحكامها في قلبه، حيث أنه لم يلتفت إلى آلامه وأوجاعه، بل كان همُّهُ سلامة النبي ﷺ .

يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ [(١)]. قَالَ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاهَا إِلَى اللَّهِ فَأَسْلَمَتْ، وَأَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّارِ شَهْرًا وَهُمْ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا، وَقَدْ كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسْلَمَ يَوْمَ ضرب أبو بكر، ودعا رسول ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الخطَّاب – أو لأبي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ – فَأَصْبَحَ عُمَرُ وَكَانَتِ الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ فَأَسْلَمَ عُمَرُ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فكَبَّر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلا مَكَّةَ، .. فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَا نُخْفِي دِينَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ وَيَظْهَرُ دِينُهُمْ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ :" **يَا عُمَرُ إِنَّا قَلِيلٌ قَدْ رَأَيْتَ مَا لَقِينا** ". فَقَالَ عُمَرُ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ، ثُمَّ خَرَجَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ مرَّ بِقُرَيْشٍ وَهِيَ تَنْتَظِرُهُ، فَقَالَ أَبُو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبوت ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَوَثَبَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ، وَوَثَبَ عَلَى عُتْبَةَ فَبَرَكَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، وَأَدْخَلَ أُصْبُعَهُ فِي عَيْنَيْهِ، فَجَعَلَ عُتْبَةُ يَصِيحُ فَتَنَحَّى النَّاسُ فَقَامَ عُمَرُ، فَجَعَلَ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا أخذ بشريف ممن دَنَا مِنْهُ، حَتَّى أَعْجَزَ النَّاسَ. وَاتَّبَعَ الْمَجَالِسَ الَّتِي كَانَ يُجَالِسُ فِيهَا فَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ. قَالَ مَا عَلَيْكَ بِأَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا بَقِيَ مَجْلِسٌ كُنْتُ أَجْلِسُ فِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا خَائِفٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ عُمَرُ أَمَامَهُ وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى الظهر مؤمناً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ وَمَعَهُ عُمَرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عُمَرُ وَحْدَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ[(٢)].

---

(١) فيه تمكن أبي بكر الصديق من همِّ الدعوة وفكر الرحمة؛ حيث إنه في شدة الألم والتعب يتفكر في هداية والدته وإخراجها من الظلمات إلى النور، وقد أكرمه الله ﷻ بما رجاه من هداية والدته .

(٢) أخرجه الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الأطرابلسي بإسناده، كما في البداية والنهاية لابن كثير (٣/٤٠-٤٢).

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الخَامِسُ عَشَرَ

إِسْلامُ طَائِفَةٍ مِنَ الجِنّ وَرُجُوعُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ وَامْتِدَاحُ اللهِ ﷻ صَنِيعَهُمْ

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا : مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا : مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلاَّ شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ، عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ : ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [1] .

---

(١) رواه البخاري (٧٧٣) و(٤٩٢١) ومسلم (٤٤٩) . وحصل هذا الحدث بعد رجوعه ﷺ من رحلة الطائف، وما تعرض له ﷺ من المشقة والأذى في سبيل دعوتهم إلى الله ﷻ؛ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ. وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : خرج ﷺ إلى الطائف، ومعه زيد بن حارثة، ومكث بها عشرة أيام، لا يَدَعُ أحداً من أشرافهم إلاَّ جاءه في منزله وكلَّمه ودعاه إلى التوحيد، فلم يجبه أحدٌ منهم، وخافوه على أحداثهم، وأغرَوا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة إذا مشى، حتى إنَّ رجليه لتدميان، وزيد مولاه يقيه بنفسه، حتى ألجأوه إلى ظلِّ كرمة في حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ..، فدعا ﷺ فقال :" **اللهم إليك أشكوا**..". «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/٢٣٤) . وقال ابن إسحاق في معرض حديثه عن رحلته إلى الطائف : قَالَ : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ وقد يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِنَخْلَةَ قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ، الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُمْ – فِيمَا ذُكِرَ لِي – سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ=

=مِنْ صَلاتِهِ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا . فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف:٢٩ – ٣٠]؛ وَقَالَ ﷻ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١]، إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ . فكان إسلام هذه الطائفة من الجن ورجوعهم إلى قومهم دعاةً إلى الإسلام، كان هذا كالجائزة له ﷺ على صبره على دعوتهم، ورحمته بهم إذ لم يدع عليهم، بل رجا من الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً، فجازاه الله خير الجزاء على صبره هذا، وعوضه عنه أحسن العوض، لأن اللهَ ﷻ لا يَتَكَرَّمُ عَلَيهِ أَحَدٌ، وهُوَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ، فَمَنْ تَرَكَ لِوَجْهِهِ أَمْراً أَو فَعَلَهُ لِوَجْهِهِ بَدَّلَ اللهُ لَهُ أَضْعَافَ مَا تَرَكَهُ مِنْ ذَلِكَ الأَمْرِ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، وجَازَاهُ بِأَضْعَافِ مَا فَعَلَهُ لأَجْلِهِ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، كما أخرج أبو نعيم في الحلية بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ ﷺ :" **مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئاً للهِ لا يَتْرُكُهُ إِلاَّ لَهُ، إِلاَّ عَوَّضَهُ اللهُ مِنهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنهُ فِي دِينِهِ وَدُنيَاهُ** ". فَلَمَّا تَحَمَّلَ ﷺ الأذى في سبيل الرَّحمة على الناس بدعوته إيَّاهم، عوَّضه الله ﷻ وأكرمه بكرامات عظيمة؛ منها :

١. ساق الله ﷻ إليه هؤلاء النفرَ من الجن يستمعون القرآن وأحسنوا الاستماع والإنصات، ثم فهموا واجبهم فولَّوا إلى قومهم منذرين .
٢. استجابة عداس إلى الإسلام بعد رفض الكثير له، وهدايةُ رجل واحد خير من الدنيا وما عليها.
٣. استجابة ستة من أهل المدينة من الخزرج لدعوته ﷺ، وقبولهم للحق الذي جاء به، فكانوا نواة الدعوة التي نشرت الإسلام في المدينة، ومنها انتشر الإسلام حتى عمَّ أرجاء المعمورة، وتحولت بهم الجماعة الإسلامية المطاردة في مكة إلى دولة ذات عزٍّ وتمكين في المدينة المنورة . وهم أسعد ابن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، هذا بعد أن رفضت كل القبائل الأخرى دعوته ﷺ، منهم بنو كلب وبنو حنيفة، وبنو عامر بن صعصعة وفزارة وغسان ومرة وسليم وبنو نضر وكندة وعذرة والحضارمة .
٤. إسلام عدد من أشراف قبائل العرب، منهم سويد بن الصامت الشاعر، وإياس بن معاذ، وأبو ذر الغفاري، فكان سبباً لإسلام قبيلتي غفار وأسلم؛ والطفيل بن عمرو الدوسي سيد قبيلة دوس، وكان سبباً لإسلام قبيلة دوس؛ وغيرهم
٥. الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى الملأ الأعلى، فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، ورأى من آيات ربه الكبرى، وفيه أكرمه الله ﷻ بكرامة عظيمة، وهي الصلوات الخمس . ثم إن الله ﷻ أعطاه ما رجاه من قبلُ، فجاء وفد ثقيف يبايعونه ﷺ على الإسلام، كما سيأتي قريباً.

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّادِسُ عَشَرَ

إِيذَانُ أَعْرَابِيٍّ النَّبِيَّ ﷺ بِرُجُوعِهِ إِلَى قَوْمِهِ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ ﷻ عَلَى الفَوْرِ مِنْ إِسْلَامِهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَيْنَ تُرِيدُ ؟**". قَالَ : إِلَى أَهْلِي، قَالَ :" **هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟**[(١)]". قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ :" **تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** "، قَالَ : هَلْ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ ؟ قَالَ ﷺ :" **هَذِهِ السَّمُرَةُ** "، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ : إِنْ يَتَّبِعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ فَكُنْتُ مَعَكَ [(٢)(٣)] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ يُدَاوِي وَيُعَالِجُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَقُولُ أَشْيَاءَ فَهَلْ لَكَ أَنْ أُدَاوِيَكَ ؟ قَالَ : فَدَعَاه رَسُولُ اللهِ

---

(١) فيه ما كان عليه ﷺ من الرحمة والشفقة بجميع الناس في دلالتهم على الخير في جميع الأحوال، دون فرق بين غني وفقير، وشريف ووضيع، فلم يكن ﷺ يحقر أحداً أن يبلغه رسالة الله ﷻ،كيف وهو الرحمة المهداة للعالمين من الرَّبِّ الرحيم.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٥٠٥) والدارمي في سننه (١٦) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٢) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» : هذا إسناد صحيح.

(٣) في هذه الرواية بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من المبادرة إلى دعوة أقوامهم إلى الله ﷻ فَورَ إسلامهم دون تأخُّرٍ وتَرَدُّدٍ؛ كما جاء في روايات كثيرة عن عدة من الصحابة أنهم توجهوا لدعوة أقوامهم إلى الله وإلى دين الحق فَورَ إسلامهم، ولا يخفى أنهم كانوا في حكم العَوَامِّ في تلك الحال، ولم يمنعهم ذلك من الاشتغال في دعوة الناس إلى الله ﷻ، لأنَّ من أَحَبَّ شيئاً سَعَى في تحبيب الناس فيه، ومن رجى شيئاً سعى في توجيه غيره إليه، ومن خاف شيئاً سعى في تخويف الناس من خطره، فالصحابة أَحَبُّوا اللهَ فَورَ نطقهم بكلمة التوحيد، فَسَعَوا في تحبيب الناس به، ورجوا رحمته، وخافوا عقابه، فسعوا من أول لحظة في توجيه الناس إليه، وتخويفهم عقابَه .

ﷺ إِلَى اللهِ ﷻ، ثُمَّ قَالَ :" **هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيكَ آيَةً ؟**" وَعِنْدَهُ نَخْلٌ وَشَجَرَةٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَذْقًا مِنْهَا فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَسْجُدُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ** "، فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ، قَالَ الْعَامِرِيُّ : وَاللهِ لَا أُكَذِّبُكَ بِقَوْلٍ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ : يَا آلَ بَنِي صَعْصَعَةَ، وَاللهِ لَا أُكَذِّبُهُ بِشَيْءٍ يَقُولُهُ أَبَدًا (١) .

وفي رِوَايَةٍ عَنْهُ ﷺ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا العِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ : ارْجِعْ فَعَادَ، فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ (٢) .

*****

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٢٣٥٠) وابن حبان في صحيحه (٦٥٢٣) والطبراني في الكبير (١٢٥٩٥) وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشَّامِيِّ وهو ثقة . ورواه الحاكم في المستدرك بنحوه باختصار (٤٢٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وأخرج أحمد في مسنده (١٢١١٢) والدارمي في سننه واللفظ له (٢٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ، وَقَدْ تَخَضَّبَ بِالدَّمِ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً ؟ قَالَ :" **نَعَمْ** "، فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَائِهِ فَقَالَ : ادْعُ بِهَا، فَدَعَا بِهَا، فَجَاءَتْ وَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ : مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **حَسْبِي حَسْبِي** ". قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : هذا حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٣٦٢٨) وقال : حديث حسن غريب صحيح، والحاكم في المستدرك (٤٢٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

الحَدِيثُ السَّابِعُ عَشَرَ

طَلَبُهُ ﷺ مِنْ ضِمَادٍ حِيْنَمَا أَرَادَ أَنْ يُبَايِعَهُ أَنْ يُبَايِعَ عَلَى إِسْلامِ قَوْمِهِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ ﷻ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ(١)، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ(٢)، فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ : فَلَقِيَهُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ(٣)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ** ". قَالَ : فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ : فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ(٤)، وَلَقَدْ

---

(١) الْمُرَادُ بِالرِّيحِ هُنَا الْجُنُونُ وَمَسُّ الْجِنِّ، وفِي غَيْرِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : يَرْقِي مِنَ الْأَرْوَاحِ، أَيِ الْجِنِّ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يُبْصِرُهُمُ النَّاسُ، فَهُمْ كَالرُّوحِ وَالرِّيحِ .

(٢) هذا القول من الكفار عن النبي ﷺ قاله الكفار لأنبيائهم في كل زمان كما قال الله ﷻ : ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]. وذلك لأن الأنبياء يخبرون الناس بالغيبيات وبما لا تدركه عقولهم القاصرة وأبصارهم الضعيفة، والناس لا يصدقون إلَّا ما يدركونه، فيتهمونهم بالجنون، كما أن جهد الأنبياء قائم على التزهيد في الدنيا وصرف وجهة الناس عنها والترغيب في الآخرة، فيخالفون ما اعتاده الناس من التنافس في الدنيا .

(٣) أَيْ: رَغْبَةٌ فِي أَنْ أَرْقِيَكَ وَأُخَلِّصَكَ مِنَ الْجُنُونِ .

(٤) يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَكَ تَارَةً إِلَى الْكَهَانَةِ وَمَرَّةً إِلَى السِّحْرِ، وَأُخْرَى إِلَى الشِّعْرِ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَةَ أَصْحَابِهَا، فَلَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ لَأَشْبَهَ كَلَامُكَ كَلَامَهُمْ، فَإِذَا كَانَ كَلَامُهُ أَبْلَغَ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ، فَلَا يَعُدُّهُ مَجْنُونًا إِلَّا السُّفَهَاءُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ الْكُهَّانَ وَالسَّحَرَةَ وَالشُّعَرَاءَ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي الْقَوْلِ عَلَى أَيِّ أُسْلُوبٍ شَاءُوا، فَأَشَارَ بِقَوْلِهِ هَذَا إِلَى الْإِعْجَازِ أَيْ: جَاوَزَ كَلَامُكَ حَدَّ الْبَلَاغَةِ، وَحَاصِلُهُ أَنَّهُ ﷺ قَابَلَ كَلَامَ ضِمَادٍ بِمَا تَقَدَّمَ لِيُظْهِرَ لَهُ كَمَالَ عَقْلِهِ، وَيَتَبَيَّنَ جَهْلُ أَعْدَائِهِ.

www.saida-islam.weebly.com

بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ(١)، قَالَ : فَقَالَ : هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ : فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **وَعَلَى قَوْمِكَ(٢)**"، قَالَ : وَعَلَى قَوْمِي . قَالَ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: رَوَى بَعْضُهُمْ (نَاعُوسَ) بِالنُّونِ وَالْعَيْنِ. وَقَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْحُسَيْنِ: نَاعُوسُ الْبَحْرِ بِمَعْنَى قَامُوسِهِ اهـ. أي أن هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَاتِ الْمُحِيطَاتِ بِحُرُوفٍ كَاللَّآلِئِ الْمَنْظُومَاتِ الَّتِي يَعْجِزُ الْغَوَّاصُ عَنْ إِخْرَاجِهَا وَإِبْرَازِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الدِّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ عَلَى إِعْجَازِهَا مِنْ كَمَالِ إِيجَازِهَا بلغن قَامُوسَ الْبَحْرِ، أَيْ : مُعْظَمَ بَحْرِ الْكَلَامِ وَوَسَطَ لُجَّةِ الْمَرَامِ، وَالْمَعْنَى بَلَغَتْ غَايَةَ الْفَصَاحَةِ وَنِهَايَةَ الْبَلَاغَةِ. وَالْقَامُوسُ الْبَحْرُ، أَوْ أَبْعَدُ مَوْضِعٍ فِيهِ غَوْرًا . «مرقاة المفاتيح» (٥٣٨/١٠) .

(٢) فيه بيان هَدْيِهِ ﷺ في إقامة من آمن معه على تبليغ ما بلغه عنه ﷺ من أول لحظة، والاشتغال في دعوة الناس إلى الله ﷻ بَدْءاً من أقوامهم، لما فيه من نصرة الدين الواجبة على كل مسلم بحسب استطاعته، كما قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾**[الصف:١٤]**. أي من معيني في الدعوة إلى الله . وكان ﷺ يتبعُ الحَاجَّ في مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَبِمَجَنَّةٍ وَبِعُكَاظٍ، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى يَقُولُ :" **مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ** ؟" فكان ﷺ يطلب النصرة على تبليغ الدين من جميع الناس؛ فهذه الأمة مكلفة بالدعوة إلى الدين كنَبِيِّهَا ﷺ، قال ﷻ : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾**[آل عمران:١٠٤]**. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (٩١/٢) : وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ فِرْقَةٌ مِنَ الأمَّة مُتَصَدِّيَةٌ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْأُمَّةِ بِحَسْبِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَده، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**". وَفِي رِوَايَةٍ :" **وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ** ". **وقال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ : وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَّةِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ مِنَ الدَّعْوَةِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ، فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ سَقَطَ عَنْهُ، وَمَا عَجَزَ لَمْ يُطَالَبْ بِهِ. وَأَمَّا مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ؛ وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُومَ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَى هَذَا وَقَدْ تَقَسَّطَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ تَارَةً وَبِحَسَبِ غَيْرِهِ أُخْرَى؛ فَقَدْ يَدْعُو هَذَا إلَى اعْتِقَادِ الْوَاجِبِ، وَهَذَا إلَى عَمَلٍ ظَاهِرٍ وَاجِبٍ، وَهَذَا إلَى عَمَلٍ بَاطِنٍ وَاجِبٍ؛ فَتَنَوُّعُ الدَّعْوَةِ يَكُونُ فِي الْوُجُوبِ تَارَةً وَفِي الْوُقُوعِ أُخْرَى. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الدَّعْوَةَ إلَى اللَّهِ تَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ لَكِنَّهَا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهَذَا شَأْنُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَتَبْلِيغِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَعْلِيمِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ الدَّعْوَةَ نَفْسَهَا أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ فَإِنَّ الدَّاعِيَ طَالِبٌ مُسْتَدْعٍ مُقْتَضٍ لِمَا دُعِيَ إلَيْهِ وَذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ بِهِ . «مجموع الفتاوى» (١٦٦/١٥) .

سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ : هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ [١] .

*****

(١) رواه مسلم برقم (٨٦٨) .

الحَدِيثُ الثَّامِنُ عَشَرَ

اسْتِئْذَانُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ النَّبِيَّ ﷺ فِي الرُّجُوعِ لِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى اللهِ فَوْرَ إِسْلامِهِ، وَإِذنُهُ ﷺ لَهُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ فِي رَمَضَانَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ وَفْدُ ثَقِيفٍ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمُ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلامِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **كَمَا يَتَحَدَّثُ قَوْمُك أَنَّهُمْ قَاتِلُوك** "، وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الِامْتِنَاعِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، فَقَالَ عُرْوَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ، وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحَبَّبًا مُطَاعًا، فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ رَجَاءَ أَلَّا يُخَالِفُوهُ لِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ لَهُمْ عَلَى عُلِّيَّةٍ لَهُ، وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ، فَقِيلَ لِعُرْوَةَ : مَا تَرَى فِي دَمِك ؟ قَالَ : كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيَّ، فَلَيْسَ فِيَّ إِلَّا مَا فِي الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ، فَادْفِنُونِي مَعَهُمْ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيهِ :" **إنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس فِي قَوْمِهِ** (١)". ثُمَّ أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ

---

(١) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ ومقاتل: هو حبيب النَّجَّارُ وَكَانَ يَنْحِتُ الْأَصْنَامَ . وقَالَ وَهْبٌ: وَكَانَ حَبِيبٌ مَجْذُومًا، وَمَنْزِلُهُ عِنْدَ أَقْصَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَعْكُفُ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ سَبْعِينَ سَنَةً يَدْعُوهُمْ، لَعَلَّهُمْ يَرْحَمُونَهُ وَيَكْشِفُونَ ضُرَّهُ فَمَا اسْتَجَابُوا لَهُ، فَلَمَّا أَبْصَرَ الرُّسُلَ دَعَوْهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فَقَالَ: هَلْ مِنْ آيَةٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ نَدْعُو رَبَّنَا الْقَادِرَ فَيُفَرِّجُ عَنْكَ ما بك. فقال: إن هذا لعجب لي، أَدْعُو هَذِهِ الْآلِهَةَ سَبْعِينَ سَنَةً تُفَرِّجُ عَنِّي فَلَمْ تَسْتَطِعْ، فَكَيْفَ يُفَرِّجُهُ رَبُّكُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ رَبُّنَا عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، وَهَذِهِ لَا تَنْفَعُ شَيْئًا وَلَا تَضُرُّ. فَآمَنَ وَدَعَوْا رَبَّهُمْ فَكَشَفَ اللَّهُ مَا بِهِ، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ، فَحِينَئِذٍ أَقْبَلَ على التكسب، فإذا أمسى تَصَدَّقَ بِكَسْبِهِ، فَأَطْعَمَ عِيَالَهُ نِصْفًا وَتَصَدَّقَ بِنِصْفٍ، فَلَمَّا هَمَّ قَوْمُهُ بِقَتْلِ الرُّسُلِ جَاءَهُمْ، فَقَالَ : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الآية .

ووجه الشبه بينه وبين عروة بن مسعود ما قاله قتادة : **هَذَا رَجُلٌ دَعَا قَومَهُ إِلَى اللهِ، وَأَبْدَى لَهُمُ النَّصِيحَةَ فَقَتَلُوهُ عَلَى ذَلِكَ**. – وكلاهما كان حديث العهد بالهداية، ومع هذا قام بدعوة قومه إلى=

www.saida-islam.weebly.com

قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهُرًا، ثُمَّ إِنَّهُمُ ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَقَدْ بَايَعُوا وَأَسْلَمُوا، فَأَجْمَعُوا أَنْ يُرْسِلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً، كَمَا أَرْسَلُوا عُرْوَةَ، فَكَلَّمُوا عَبْدَ يَالَيْلَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَكَانَ فِي سِنِّ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ وَخَشِيَ، فَقَالَ : لَسْتُ بِفَاعِلٍ حَتَّى تُرْسِلُوا مَعِي رِجَالًا، فَأَجْمَعُوا أَنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ رَجُلَيْنِ مِنَ الأَحْلافِ وَثَلاثَةً مِنْ بَنِي مَالِكٍ فَيَكُونُونَ سِتَّةً، فَبَعَثُوا مَعَهُ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ، وَشُرَحْبِيلَ بْنَ غَيْلانَ، وَمِنْ بَنِي مَالِكٍ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، وَأَوْسَ بْنَ عَوْفٍ، وَنُمَيْرَ بْنَ خَرَشَةَ، فَخَرَجَ بِهِمْ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَنَزَلُوا قَنَاةً لَقُوا بِهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، فَاشْتَدَّ لِيُبَشِّرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لا تَسْبِقْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ فَفَعَلَ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَرَوَّحَ الظُّهْرَ مَعَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ كَيْفَ يُحَيُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ كَمَا يَزْعُمُونَ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ، وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَهُ، وَكَانُوا لا يَأْكُلُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ حَتَّى أَسْلَمُوا .

وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاغِيَةَ، وَهِيَ اللاَّتُ لا يَهْدِمُهَا ثَلاثَ سِنِينَ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، فَمَا بَرِحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى سَأَلُوهُ شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ قُدُومِهِمْ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَهَا شَيْئًا مُسَمًّى، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَسْلَمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سُفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الإِسْلامُ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَهْدِمَانِهَا، وَقَدْ كَانُوا يَسْأَلُونَهُ مَعَ تَرْكِ الطَّاغِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلاةِ وَأَنْ

=الهدى الذي عرفه-؛ وذُكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، حتى أقْعَصوه وهو كذلك. وقيل : بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات. «تفسير القرطبي» (١٥/١٧) و«تفسير الطبري» (٢٠/٥٠٨).

www.saida-islam.weebly.com

لا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمَّا الصَّلاةُ فَلا خَيْرَ فِي دِينٍ لا صَلاةَ فِيهِ** ". فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا، أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، وَذَلِك أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الإِسْلامِ وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ . فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلادِهِمْ رَاجِعِينَ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِي هَدْمِ الطَّاغِيَةِ، فَخَرَجَا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى إِذَا قَدِمُوا الطَّائِفَ، أَرَادَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنْ يُقَدِّمَ أَبَا سُفْيَانَ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ : ادْخُلْ أَنْتَ عَلَى قَوْمِك، وَأَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بِمَالِهِ بِذِي الْهَدْمِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، عَلاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ، وَقَامَ دُونَهُ بَنُو مُعَتِّبٍ خَشْيَةَ أَنْ يُرْمَى أَوْ يُصَابَ كَمَا أُصِيبَ عُرْوَةُ، وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسَّرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا، وَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ – وَالْمُغِيرَةُ يَضْرِبُهَا بِالْفَأْسِ – : واهًا لَك ! واهًا لَك !. فَلَمَّا هَدَمَهَا الْمُغِيرَةُ وَأَخَذَ مَالَهَا وَحُلِيَّهَا، أَرْسَلَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بِمَجْمُوعَ مَالِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَزْعِ[(١)]. وَنَزَلَ مَنْ كَانَ مِنْهُم مِنَ الأَحْلافِ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَأَكْرَمَهُم، وضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَنْ كَانَ فِيهِم مِنْ بَنِي مَالِكٍ قُبَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِيهِم كُلَّ لَيلَةٍ بَعدَ العِشَاءِ فَيَقِفُ عَلَيهِم، ويُحَدِّثُهُم حَتَّى يُرَاوِحَ بَينَ قَدَمَيْهِ، ويَشْكُو قُرَيشاً، ويَذْكُرُ الحَربَ الَّتِي كَانَتْ بَينَهُ وبَينَهُم، ثُمَّ قَاضَى النَّبِيُّ ﷺ ثَقِيفاً عَلَى قَضِيَّةٍ، وعُلِّمُوا القُرْآنَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيهِم عُثْمَانَ بْنَ أَبِي العَاصِ، وَاسْتَعْفَتْ ثَقِيفٌ مِنْ هَدْمِ اللَّاتِ وَالعُزَّى فَأَعْفَاهُم . قَالَ المغِيرَةُ : فَكُنْتُ أَنَا هَدَمْتُهَا. قَالَ الْمُغِيرَةُ : فَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ، فَلا أَعْلَمُ قَوماً مِنَ العَرَبِ، بَنِي أَبٍ وَلا قَبِيلَةٍ كَانُوا أَصَحَّ إِسْلاماً وَلا أَبْعَدَ أَنْ يُوجَدَ فِيهِم غِشٌّ للهِ ولِكِتَابِهِ مِنْهُم [(٢)] .

---

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم» (٣/٤٣٦ – ٤٣٨) .

(٢) «الطبقات الكبرى لابن سعد» (١/٣١٣) . وبنحو هذا من استئذان الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ في الرجوع إلى أقوامهم لدعوتهم، ما أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٨٣٠) عن رَجُلٍ مِنْ بَلْعَدَوِيَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي جَدِّي، قَالَ : انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ .. فذكر وصفه النبي ﷺ . قَالَ : فَدَنَا مِنَّا فَقَالَ : "**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ** ". فَرُدُّوا عَلَيْهِ، .. ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَأَقُصَنَّ هَذَا، فَإِنَّهُ حَسَنُ الْقَوْلِ فَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بِجَمِيعِهِ، فَقَالَ :" **مَا تَشَاءُ** ؟" فَقُلْتُ : أَنْتَ الَّذِي أَضْلَلْتَ النَّاسَ=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=وَأَهْلَكْتَهُمْ وَصَدَدْتَهُمْ عَمَّا كَانَ يُعْبَدُ آبَاؤُهُمْ ؟ قَالَ :" **ذَاكَ اللَّهُ** ". قُلْتُ : مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ؟ قَالَ : "**أَدْعُو عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ** ". قَالَ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ :" **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَتُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ، وَتَكْفُرُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ** ". قَالَ : قُلْتُ : وَمَا الزَّكَاةُ ؟ قَالَ :" **يَرُدُّ غَنِيُّنَا عَلَى فَقِيرِنَا** ". قَالَ : قُلْتُ : نِعْمَ الشَّيْءُ تَدْعُو إِلَيْهِ قَالَ : فَلَقَدْ كَانَ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يَتَنَفَّسُ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي وَوَالِدِي وَمِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ . قَالَ : فَقُلْتُ : قَدْ عَرَفْتُ . قَالَ :" **قَدْ عَرَفْتَ؟**" قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : "**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَتُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ؟**". قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرِدُ مَاءً عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى مَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَتَّبِعُوكَ . قَالَ :" **نَعَمْ، فَادْعُهُمْ** ". فَأَسْلَمَ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَاءِ رِجَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ . قال الهيثمي : فيه راوٍ لم يسمَّ، وبقية رجاله وثِّقوا .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ التَّاسِعُ عَشَرَ

إِسْلامُ الطُّفَيلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ وَاسْتِئْذَانُهُ النَّبِيَّ ﷺ فِيْ الرُّجُوعِ لِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى الإِسْلامِ وَدُخُولُهُمُ الإِسْلامَ بِدَعْوَتِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّاسُ : هَلَكُوا . فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ، اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ** "[(١)] .

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَا يَرَى مِنْ قَومِهِ يَبْذُلُ لَهُمُ النَّصِيحَةَ، ويَدْعُوهُم إِلَى النَّجَاةِ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَجَعَلَتْ قُرَيشٌ حِينَ مَنَعَهُ اللهُ مِنهُم يُحَذِّرُونَهُ النَّاسَ، ومَنْ قَدِمَ عَلَيهِم مِنَ العَرَبِ؛ وكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا[(٢)]، فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلاً شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، قَالُوا لَهُ : إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلادَنَا، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ - وَهُوَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا - فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ، يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَإِنَّمَا نَخْشَى عَلَيْك وَعَلَى قَوْمِك مَا قَدْ حَلَّ عَلَيْنَا، فَلا تُكَلِّمْهُ وَلا تَسْمَعْ مِنْهُ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْت أَنْ لا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلا أُكَلِّمَهُ، حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ[(٣)] .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٣٧) و(٤٣٩٢) و(٦٣٩٧) ومسلم (٦٦١١) .

(٢) كَانَ قُدُومُ الطُّفَيلِ بْنِ عَمْرٍو المدِينَةَ عَقِبَ رُجُوعِهِ ﷺ مِنْ رِحْلَةِ الطَّائِفِ. «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر. ص (٦٦) .

(٣) قال ابن القيم : فِيهِ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُقَلِّدَ النّاسَ فِي الْمَدْحِ وَالذّمّ، وَلا سِيّمَا تَقْلِيدَ مَنْ يَمْدَحُ بِهَوَى وَيَذُمّ بِهَوَى، فَكَمْ حَالَ هَذَا التّقْلِيدُ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَ الْهُدَى، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ إلاّ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ : فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقُمْتُ قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، فَسَمِعْتُ كَلامًا حَسَنًا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاثَكَلَ أُمَّيَاهْ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ، مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ ؟ فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ حَسَنًا قَبِلْتُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُ . قَالَ : فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ قَوْمَك قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ، لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَك، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُسْمِعَنِيهِ، فَسَمِعْتُ قَوْلاً حَسَنًا، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَك، فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الإِسْلامَ، وَتَلا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ، فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فَدَاعِيهِمْ إِلَى الإِسْلامِ[(١)]، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ عَوْنًا لِي عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ[(٢)]، فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً** ". قَالَ : فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ[(٣)] تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ، وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلَ الْمِصْبَاحِ، قُلْتُ : اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِي دِينِهِمْ، قَالَ : فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ، وَأَنَا أَنْهَبِطُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ حَتَّى جِئْتُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي – وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا – فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ، فَلَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْك، قَالَ : لِمَ يَا بُنَيَّ ؟ قُلْتُ : قَدْ أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ . قَالَ : يَا بُنَيَّ فَدِينِي دِينُكَ . قَالَ : فَقُلْتُ : اذْهَبْ فَاغْتَسِلْ[(٤)]، وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ،

---

(١) فيه ما كان عليه الصحابة من المبادرة إلى دعوة أقوامهم إلى الحق الذي آمنوا به فورَ إسلامهم، وقد مرَّ نظائر لهذا، وستأتي زيادة بعون الله ﷻ.

(٢) فيه وُقُوعُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ لِحَاجَةٍ فِي الدِّينِ، أَوْ لِمَنْفَعَةٍ لِلإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَهَذِهِ هِيَ الأَحْوَالُ الرَّحْمَانِيَّةُ، سَبَبُهَا مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ، وَنَتِيجَتُهَا إِظْهَارُ الْحَقِّ، وَكَسْرُ الْبَاطِلِ، وَالأَحْوَالُ الشَّيْطَانِيَّةُ ضِدّهَا سَبَبًا وَنَتِيجَةً .

(٣) كُلُّ عَقَبَةٍ فِي جَبَلٍ أَوْ طَرِيقٍ عَالٍ فِيهِ تُسَمَّى ثَنِيَّةً . «فتح الباري» (٤٣٧/٣) .

(٤) فِيهِ أَنَّ عَادَةَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ غُسْلَ الإِسْلامِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ فِيهِ وَقَدْ صَحّ أَمْرُ النَّبِيّ ﷺ بِهِ .

www.saida-islam.weebly.com

ثُمَّ تَعَالَ حَتَّى أُعَلِّمَكَ مَا عَلِمْتُ . قَالَ : فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ جَاءَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الإِسْلامَ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي[(١)]، فَقُلْتُ لَهَا : إِلَيْكِ عَنِّي فَلَسْتُ مِنْكِ وَلَسْتِ مِنِّي. قَالَتْ: لِمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ قُلْتُ : فَرَّقَ الإِسْلامُ بَيْنِي وَبَيْنَكِ، أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ . قَالَتْ : فَدِينِي دِينُكَ . قَالَ : قُلْتُ : فَاذْهَبِي فَاغْتَسِلِي، فَفَعَلَتْ ثُمَّ جَاءَتْ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الإِسْلامَ، فَأَسْلَمَتْ، ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الإِسْلامِ فَأَبْطَئُوا عَلَيَّ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ الزِّنَى، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ :" اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ". ثُمَّ قَالَ :" ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَارْفُقْ بِهِمْ[(٢)] ". فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ،

---

(١) يعني زوجته وامرأته، ويقال لها صاحبة، كما قال ﷻ : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ .

(٢) فيه أنه ينبغي التّأنّي وَالصّبْرُ فِي الدّعْوَةِ إِلَى اللّهِ ﷻ، وَأَنْ لا يستعَجِلَ بِالْعُقُوبَةِ وَالدّعَاءِ عَلَى الْعُصَاةِ، بل يَصبرُ على دَعوَتِهِم، ويتحمَّلُ مَا يَلقَاهُ من إبَاءٍ وتَكْذِيبٍ، ويُوَاصِلُ دعوته إيَّاهم، ودعائه لهم بالهداية، رجاءَ أن يهديهم الله، وأن يُقْبِلَ بقلوبهم إليه، لأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرَّحْمَن، يُقَلِّبُهَا كيف يَشَاءُ، وقد وعد الله ﷻ على هذه الخَصلةِ بالتَّغيير في حال المدعوِّ من الإباء والتكذيب إلى القبول والتصديق، إلاَّ أنه بَيَّنَ أنها تحتاج إلى مستوىً عالٍ من الصبر، وعليه تكون الهداية للمدعو إن شاء الله، وحظُّ القائم بهذا العمل عظيمٌ عند الله ﷻ، فقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٤ –٣٥]؛ فَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ هِيَ أَحْسَنُ الأَعْمَالِ وَأَحَبُّهَا إِلَى اللهِ ﷻ، فَقَالَ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت:٣٣]، بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ :﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ [فصلت: ٣٤]، فَكَأَنَّ سَائِلاً سَأَلَ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً عَظِيمَةً، إِلاَّ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى سَفَاهَةِ هَؤُلاءِ الْكُفَّارِ شَدِيدٌ لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، فَعِنْدَ هَذَا ذَكَرَ اللهُ ﷻ مَا يَصْلُحُ لأَنْ يَكُونَ دَافِعاً لِهَذَا الإِشْكَالِ، فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾، وَالْمُرَادُ بِالْحَسَنَةِ دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرُ عَلَى جَهَالَةِ الْكُفَّارِ، وَتَرْكُ الانْتِقَامِ، وَتَرْكُ الالْتِفَاتِ إِلَيْهِم، وَالْمُرَادُ بِالسَّيِّئَةِ مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْجَلافَةِ فِي قَولِهِم : ﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [فصلت: ٥]، وَمَا ذَكَرُوهُ فِي قَولِهِم :﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ [فصلت: ٢٦]، ثُمَّ قَالَ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، يَعْنِي ادْفَعْ سَفَاهَتَهُم وَجَهَالَتَهُم بِالطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الطُّرُقِ، فَإِنَّكَ إِذَا صَبَرْتَ=

www.saida-islam.weebly.com

فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرَ، فَنَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ (١) .

=عَلَى سُوءِ أَخْلاقِهِم مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَلَمْ تُقَابِلْ سَفَاهَتَهُم بِالْغَضَبِ، وَلا إِضْرَارَهُم بِالإِيْذَاءِ وَالإِيْحَاشِ اسْتَحْيَوْا مِنْ تِلْكَ الأَخْلاقِ الْمَذْمُومَةِ، وَتَرَكُوا تِلْكَ الأَفْعَالَ الْقَبِيْحَةَ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ يَعْنِيْ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَرَكُوا أَفْعَالَهُمُ الْقَبِيحَةَ، وَانْقَلَبُوا مِنَ الْعَدَاوَةِ إِلى الْمَحَبَّةِ، وَمِنَ الْبُغْضَةِ إِلى الْمَوَدَّةِ، وَلَمَّا أَرْشَدَ اللهُ ﷻ إِلى هَذَا الطَّرِيقِ النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ عَظَّمَهُ فَقَالَ : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ **[فصلت: ٣٥]**. قَالَ الزَّجَّاجُ رَحِمَهُ اللهُ : أَيْ وَمَا يُلَقَّى هَذِهِ الفِعْلَةَ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى تَحَمُّلِ الْمَكَارِهِ وَتَجَرُّعِ الشَّدَائِدِ وَكَظْمِ الْغَيظِ وَتَرْكِ الاِنْتِقَامِ . «التفسير الكبير» للرازي (١١٢/٢٧) .

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٦٠/٥-٣٦١) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٣٨/١) وانظر «سيرة ابن هشام» (٢٢/٢-٢٤) و«البداية والنهاية» (١٢٣/٣-١٢٤) وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة : ذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد؛ وروى في نسخة من المغازي من طريق صالح ابن كَيْسانُ عن الطفيل بن عمرو في قصة إسلامه خبراً طويلاً. وأخرجه ابن سعد أيضاً مطوَّلاً من وجه آخر، وكذلك الأموي عن ابن الكلبي بإسناد آخر. اه. وقد ساق ابن عبد البرِّ في الإستيعاب طريق الأموي عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن الطُفيل بن عمرو، فذكر قصّة إسلامه ودعوته لأبيه وزوجته وقومه وقدومه مكة بمعنى ما تقدّم، وزاد بعده بعثه لتحريق صنم ذي الكفَّين، ثم خروجه إلى اليمامة وما وقع له من الرؤيا في ذلك وقتله يوم اليمامة شهيداً. قال في الإصابة : وذكر ابن الفرج الأصبهاني من طريق ابن الكلبي أيضاً أنَّ الطفيل لما قدم مكة ذكر له ناس من قريش أمر النبي ﷺ وسأله أن يختبر حاله، فأتاه فأنشده من شعره، فتلا النبي ﷺ الإخلاص والمعوّذتين، فأسلم في الحال، وعاد إلى قومه، وذكر قصة سَوْطه ونُورِه. قال: فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه، ولم تسلم أمه، ودعا قومه فأجابه أبو هريرة رضي الله عنه وحده. ثم أتى النبي ﷺ فقال: هل لك في حِصْن حصين وَمَنَعة؟ يعني أرض دَوْس. قال: ولما دعا النبي ﷺ لهم قال له الطفيل: ما كنت أحبُّ هذا، فقال:" **إنَّ فيهم مثلك كثيراً** ". قال : وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف الدَّوْسي . يقول في الجاهلية : إنَّ للخلق خالقاً لكني لا أدري من هو؟ فلما سمع بخبر النبي ﷺ خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة : فكان جندب يقدِّمهم رجلاً رجلاً . اه.

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ العِشْرُونَ

إِسْلامُ نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرُجُوعُهُمْ إِلَى المَدِينَةِ لِدَعْوَةِ أَقْوَامِهِمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَبِدَايَةُ تَكَوُّنِ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى[١]، يَقُولُ :" **مَنْ يُؤْوِينِي ؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ؟ وَلَهُ الْجَنَّةُ** ". حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ كَذَا؛ قَالَ : فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ : احْذَرْ غُلامَ قُرَيْشٍ، لا يَفْتِنْكَ [٢]. وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ[٣]، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ

---

(١) فِيهِ ما كان عليه ﷺ من تحمُّل المشاق والأذى، وتكلُّف المصاعب والمتاعب في سبيل الرحمة على الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ودعوتهم إلى الله؛ فلم يكن من دأبه ﷺ أن يَنتَظِرَ قُدُومَ النَّاسِ إِلَيهِ لِيُبَلِّغَهُمْ، بَل هُوَ الَّذِي يَذهَبُ بنفسه بِمَقَالَتِهِ إِلى النَّاس، فعن رَبِيعَةَ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي سُوقِ ذِيْ الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُوْلُ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفْلِحُوا** ". وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُول : إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْت عَنهُ، فَقَالُوا : هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ . قال الهيثمي : رواه أحمد وابنه والطبراني في الكبير والأوسط باختصار بأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال . وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، كُلّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النّاسُ بِالْمَوْسِمِ، أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إلَى اللهِ وَإِلَى الإِسْلامِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ مِنَ الْهُدَى وَالرّحْمَةِ، وَهُوَ لا يَسْمَعُ بِقَادِمٍ يَقْدَمُ مَكّةَ مِنَ الْعَرَبِ، لَهُ اسْمٌ وَشَرَفٌ إلاَّ تَصَدّى لَهُ فَدَعَاهُ إلَى اللهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ. «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٢٥). وهَكَذَا كَانَ الأَنبِيَاءُ عليهم السلام، فَمَا تَرَكُوا النَّاسَ عَلَى جَهلِهِم وَانْتَظَرُوا مَجِيئَهُم، بَل كَانُوا يُنَادُونَ النَّاسَ فِي مَجَامِعِهِم، ويَدُورُونَ عَلَى أَبوَابِهِم فِي الابْتِدَاءِ، ويَطْلُبُونَ وَاحِداً وَاحِداً فَيُرشِدُونَهُم، وهَذَا دَأْبُ وَرَثَتِهِم فِي تَبلِيغِ مَا جَاءَ عَنْهُم .

(٢) فيه ما كان عليه المشركون من الحرص على ثباتهم وثبات غيرهم على باطلهم، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾؛ فأهل الحق أولى بالحرص على الثبات على الحق، والتواصي بينهم بذلك .

(٣) أي منازلهم .

بِالأَصَابِعِ؛ حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ(١)، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا، فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِؤُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلامِهِ(٢)، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ(٣)

---

(١) أخرج أبو نُعيم في الدلائل (٢٢٥) عَنْ أُمِّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَتْ : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ ﷻ فَيُؤْذَى وَيُشْتَمُ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَا أَرَادَ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَانْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى نَفَرٍ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَهُمْ يَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا أُمَّهْ؟ قَالَتْ: سِتَّةُ نَفَرٍ أَوْ سَبْعَةٌ مِنْهُمْ، مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ثَلَاثَةٌ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَابْنَا عَفْرَاءَ وَلَمْ تُسَمِّ لِي مَنْ بَقِيَ. قَالَتْ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَاسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَوَافَوْا قَابِلَ وَهِيَ الْعَقَبَةُ الْأُولَى ثُمَّ كَانَتِ الْعَقَبَةُ الْآخِرَةُ. وأخرج أبو نُعيم في الدلائل (٢٢٤) من طريق الواقدي عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّهُ ذَكَرَ يَوْمًا الْأَنْصَارَ وَفَضْلَهُمْ وَسَابِقَتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يُحِبَّ الْأَنْصَارَ وَيَعْرِفْ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ، هُمْ وَاللَّهِ رَبَّوُا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفَلْوُ فِي فِنَائِهِمْ بِأَسْيَافِهِمْ، وَطُولِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَسَخَاءِ أَنْفُسِهِمْ، لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ فِي الْمَوَاسِمِ فَيَدْعُو الْقَبَائِلَ، مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَجِيبُ لَهُ وَيَقْبَلُ مِنْهُ دُعَاءَهُ، فَقَدْ كَانَ يَأْتِي الْقَبَائِلَ بِمَجَنَّةَ وَعُكَاظٍ وَبِمِنًى حَتَّى يَسْتَقْبِلَ الْقَبَائِلَ، يَعُودُ إِلَيْهِمْ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، حَتَّى إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: مَا آنَ لَكَ أَنْ تَيْأَسَ مِنَّا ؟ مِنْ طُولِ مَا يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ ﷻ مَا أَرَادَ بِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، فَاسْتَجَابُوا وأسرعوا وَآوَوْا وَنَصَرُوا وَوَاسَوْا، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا، قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ، فَنَزَلْنَا مَعَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَلَقَدْ تَشَاحُّوا فِينَا، حَتَّى أَنْ كَانُوا لَيَقْتَرِعُونَ عَلَيْنَا، ثُمَّ كُنَّا فِي أَمْوَالِهِمْ أَحَقَّ بِهَا مِنْهُمْ، طَيِّبَةً بِذَلِكَ أَنْفُسُهُمْ، ثُمَّ بَذَلُوا مُهَجَ أَنْفُسِهِمْ دُونَ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وأخرج أبو نُعيم أيضاً في الدلائل (٢٢٦) عن عقيل بن أبي طالب ﷺ والزُّهري ﷺ قال : لَمَّا اشْتَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: يَا عَمِّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ نَاصِرٌ دِينَهُ بِقَوْمٍ يُهَوَّنُ عَلَيْهِمْ رَغْمَ قُرَيْشٍ عِزًّا فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَامْضِ بِي إِلَى عُكَاظٍ فَأَرِنِي مَنَازِلَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَأَنْ يَمْنَعُونِي وَيُؤْوُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ عَنِ اللَّهِ ﷻ مَا أَرْسَلَنِي بِهِ. فذكر الحديث بطوله في بيعتهم .

(٢) في هذا دليل على أن الرجل منهم كان يبادر لدعوة قومه إلى الإسلام فور إسلامه، رحمة بهم، ولم يكونوا يرجؤون قيامهم بالدعوة إلى حين بلوغهم مبلغاً كبيراً من الفقه في الدين، ولو فعلوا ذلك لما انتشر الدين بينهم بهذه السرعة وهذا العموم، والله أعلم.

(٣) هي المنازل المسكونة والمحالُّ، وأراد القبائل، وكل قبيلة اجتمعت في محلة سميت المحلة داراً، وسمي ساكنوها بها مجازاً .

www.saida-islam.weebly.com

الأَنْصَارِ إِلاَّ وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الإِسْلامَ؛ ثُمَّ ائْتَمَرُوا(١) جَمِيعًا، فَقُلْنَا : حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ ؟! فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلاً، حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ(٢)؛ فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، حَتَّى تَوَافَيْنَا(٣)، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبَايِعُكَ . قَالَ :" **تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ(٤)، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ(٥)، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي،**

---

(١) الائتمار : المشاورة كالمؤامرة .

(٢) هي عقبة منى، ومنها ترمى جمرة العقبة، وكانت البيعة في شعب قريب من العقبة .

(٣) أي اجتمعنا .

(٤) المراد هنا النفقة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله؛ ففيه أن مال المسلم ينبغي أن تكون الحصة الكبرى منه لإعلاء كلمة الله وإقامة دينه، كما قال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ :" **إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ** ". رواه أحمد في مسنده عن أبي واقد الليثي (٢١٩٠٦) والطبراني في الكبير (٣٣٠١) وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. وقال أبو بكر الصديق ﷺ : **لا خَيرَ في مَالٍ لا يُنفَقُ في سَبِيلِ الله** . رواه الطبراني في الكبير (٣٩) وقال ابن كثير في تفسيره: هذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات.

(٥) فيه أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق ابتغاءَ مرضات الله، وأنه من أهم المهمات في الدين، لذلك بايع النبي ﷺ كلَّ من آمن به على القيام به في جميع الأحوال، ومهما بلغ علمه، فهو تكليف لكل مسلم، كلٌّ بحسب علمه؛ وهو سبب خيرية هذه الأمة على سائر الأمم، كما قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ قَالَ الإمامُ الْغَزَالِيُّ في «إحياء علوم الدين» (٤٣٢/٢) : إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الأَعْظَمُ فِي الدِّينِ، وهُوَ الْمُهِمُّ الَّذِي ابْتَعَثَ اللهُ لَهُ النَّبِيِّينَ أَجْمَعِيْنَ، وَلَوْ طُوِيَ بِسَاطُهُ وأُهْمِلَ عِلْمُهُ وعَمَلُهُ لَتَعَطَّلَتِ النُّبُوَّةُ، وَاضْمَحَلَّتِ الدِّيَانَةُ، وعَمَّتِ الْفَتْرَةُ، وفَشَتِ الضَّلالَةُ، وشَاعَتِ الْجَهَالَةُ، وَاسْتَشْرَى الْفَسَادُ، واتَّسَعَ الْخَرْقُ وخَرِبَتِ الْبِلادُ، وهَلَكَ الْعِبَادُ، ولَمْ يَشْعُرُوا بِالْهَلاكِ إِلاَّ يَوْمَ التَّنَادِ . وقَالَ ابْنُ العَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ في «عارضة الأحوذي» (١٣/٢): الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ أَصْلٌ فِي الدِّينِ، وعُمْدَةٌ مِنْ أَعْمِدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وخِلافَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والْمَقْصُودُ الأَكْبَرُ مِنْ بَعْثِ النَّبِيِّينَ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ مَثْنَى وفُرَادَى بِشَرْطِ الْقُدْرَةِ .

www.saida-islam.weebly.com

فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ[١]". قَالَ : فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ؛ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ : رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الإِبِلِ[٢] إِلاَّ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنَّ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ[٣]؛ فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً[٤]، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ. قَالُوا : أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ[٥]، فَوَاللَّهِ لا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا،

---

(١) أخرج الطبراني في الكبير (٧١٠) عن أبي مسعود ﷺ قال : وَعَدَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْلِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ الْأَضْحَى وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ عُقْبَةُ: إِنِّي لَأَصْغَرُهُمْ سِنًّا، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : "**أَوْجِزُوا فِي الْخُطْبَةِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُفَّارَ قُرَيْشٍ** ". فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، سَلْنَا لِرَبِّكَ وَسَلْنَا لِنَفْسِكَ وَسَلْنَا لِأَصْحَابِكَ، وَأَخْبِرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللهِ ﷻ وَعَلَيْكَ، فَقَالَ :" **أَمَّا الَّذِي أَسْأَلُ لِرَبِّي تُؤْمِنُوا بِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي أَسْأَلُ لِنَفْسِي فَإِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُطِيعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَأَسْأَلُكُمْ لِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُواسُونَا فِي ذَاتِ أَيْدِيكُمْ وأَنْ تَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَلَكُمْ عَلَى اللهِ الْجَنَّةُ وَعَلَيَّ** ". قَالَ: فَمَدَدْنَا أَيْدِيَنَا فَبَايَعْنَاهُ. قال الهيثمي : وفيه مجالد بن سعيد وحديثه حسن وفيه ضعف . ورواه أحمد مرسلاً عن الشعبي؛ ولفظه :" **أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي ﷻ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ** ". قَالُوا: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ :" **لَكُمُ الْجَنَّةُ** ". قَالُوا : فَلَكَ ذَلِكَ. قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى والبزار بنحوه ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . ورواه الطبراني في الثلاثة عن جابر بن عبد الله بسند رجاله ثقات.

(٢) أي لم نسافر إلى النبي ﷺ عليها؛ وضرب الأكباد كناية عن السير السريع لأن مريده يضرب كبده برجله .

(٣) أي تناولكم .

(٤) وفي رواية عند أحمد : وقال : تخافون من أنفسكم خيفة .

(٥) أي نَحِّها؛ وفي البداية : أبط، أي تأخر .

وَلا نَسْلُبُهَا أَبَدًا . قَالَ : فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ[(١)].

وعَنْ عُرْوَةَ قَالَ : فَلَمَّا حَضَرَ الْمَوْسِمُ، حَجَّ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ بني مَالِكِ بن النَّجَّارِ؛ مِنْهُمْ: مُعَاذُ ابْنُ عَفْرَاءَ، وأَسْعَدُ بن زُرَارَةَ؛ وَمِنْ بني زُرَيْقٍ : رَافِعُ بن مَالِكٍ، وَذَكْوَانُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ؛ وَمِنْ بني عَبْدِ الأَشْهَلِ : أَبُو الْهَيْثَمِ بنُ التَّيْهَانِ؛ وَمِنْ بني عَمْرِو بن عَوْفٍ : عُوَيْمُ بنُ سَاعِدَةَ؛ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَهُ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ نُبُوَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ أَنْصِتُوا، وَاطْمَأَنَّتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى دَعْوَتِهِ، وَعَرَفُوا مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِصِفَتِهِ، وَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَصَدَّقُوهُ، وَآمَنُوا بِهِ، وَكَانُوا مِنْ أسبابِ الْخَيْرِ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنَ الدِّمَاءِ، وَنَحْنُ نُحِبُّ مَا أَرْشَدَ اللَّهُ بِهِ وأَمَرَكَ، وَنَحْنُ لِلَّهِ وَلَكَ مُجْتَهِدُونَ، وَإِنَّا نُشِيرُ عَلَيْكَ بِمَا تَرَى، فَامْكُثْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى قَوْمِنَا فَنُخْبِرَهُمْ بِشَأْنِكَ، وَنَدْعُوَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ[(٢)]، فَلَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَنَا، وَيَجْمَعُ أَمْرَنَا، فَإِنَّا الْيَوْمَ مُتَبَاعِدُونَ مُتَبَاغِضُونَ، وَإِنْ تَقْدَمْ عَلَيْنَا الْيَوْمَ وَلَمْ نَصْطَلِحْ لَمْ يَكُنْ لَنَا جَمَاعَةٌ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ نُوَاعِدُكَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَرَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالُوا، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَدَعَوْهُمْ سِرًّا، وَأَخْبَرُوهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، حَتَّى قَلَّ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لا مَحَالَةَ، ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلا مِنْ قِبَلِكَ، فَيَدْعُو النَّاسَ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَدْنَى أَنْ يُتَّبَعَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ أَخَا بني عَبْدِ الدَّارِ، فَنَزَلَ فِي

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤٤٥٦) و(١٤٦٥٣) والبيهقي في سننه (١٧٥١٣) وقال ابن كثير في البداية والنهاية : هذا إسناد جيِّد على شرط مسلم، ولم يخرّجوه. وقال الحافظ في فتح الباري : إسناده حسن، وصحَّحه الحاكم وابن حبان؛ وقال الهيثمي : ورجال أحمد رجال الصحيح، وقال : ورواه البزّار وقال في حديثه : فوالله لا نذَرُ هذه البَيْعةَ ولا نستقيلها .

(٢) فيه ما كان عليه الصحابة من المسارعة إلى دعوة أقوامهم إلى الله ﷻ، وسرعة انتقال عاطفة الرحمة بالآخرين إليهم، لإنقاذهم من الهلكة، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ وقد تقدم كثير من هذا القبيل .

www.saida-islam.weebly.com

بني غَنْمٍ عَلَى أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ، فَجَعَلَ يَدْعُو النَّاسَ سِرًّا، وَيَفْشُو الإِسْلامُ، وَيَكْثُرُ أَهْلُهُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَخْفُونَ بِدُعَائِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرَارَةَ أَقْبَلَ هُوَ وَمُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ حَتَّى أَتَيَا بِئْرَ مُرِّيٍّ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، فَجَلَسْنَا هُنَالِكَ وَبَعَثَا إِلَى رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَأَتَوْهُمْ مُسْتَخْفِينَ، فَبَيْنَمَا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ يُحَدِّثُهُمْ وَيَقُصُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، أُخْبِرَ بِهِمْ سَعْدُ بن مُعَاذٍ، فَأَتَاهُمْ فِي لأُمَتِهِ مَعَهُ الرُّمْحُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ : عَلامَ يَأْتِينَا فِي دُورِنَا بِهَذَا الْوَحِيدِ الْفَرِيدِ الطَّرِيحِ الْغَرِيبِ، يُسَفِّهُ ضُعَفَاءَنَا بِالْبَاطِلِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ؟ لا أَرَاكُمْ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ مِنْ جِوَارِنَا، فَرَجَعُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا الثَّانِيَةَ بِبِئْرِ مُرِّيٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، فَأُخْبِرَ بِهِمْ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ الثَّانِيَةَ، فَوَاعَدَهُمْ بِوَعِيدٍ دُونَ الْوَعِيدِ الأَوَّلِ، فَلَمَّا رَأَى أَسْعَدُ مِنْهُ لِينًا، قَالَ : يَا ابْنَ خَالَةِ اسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، فَإِنْ سَمِعْتَ مُنْكَرًا، فَارْدُدْهُ يَا هَذَا مِنْهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ خَيْرًا فَأَجِبْ إِلَيْهِ، فَقَالَ : مَاذَا يَقُولُ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، فَقَالَ سَعْدُ بن مُعَاذٍ : مَا أَسْمَعُ إِلاَّ مَا أَعْرِفُ، فَرَجَعَ وَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَلَمْ يُظْهِرْ لَهُمُ الإِسْلامَ حَتَّى رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَدَعَا بني عَبْدِ الأَشْهَلِ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَظْهَرَ إِسْلامَهُ، وَقَالَ : مَنْ شَكَّ فِيهِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ أَوْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، فَلْيَأْتِنَا بِأَهْدَى مِنْهُ نَأْخُذْ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ أَمْرٌ لَتُحَزَّنَّ فِيهِ الرِّقَابُ، فَأَسْلَمَتْ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ عِنْدَ إِسْلامِ سَعْدٍ وَدُعَائِهِ إِلاَّ مَنْ لا يُذْكَرُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ دُورٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ أَسْلَمَتْ بِأَسْرِهَا، ثُمَّ إِنَّ بني النَّجَّارِ أَخْرَجُوا مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ وَاشْتَدُّوا عَلَى أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ، فَانْتَقَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ إِلَى سَعْدِ بن مُعَاذٍ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَدْعُو وَيَهْدِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، حَتَّى قَلَّ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لا مَحَالَةَ، وَأَسْلَمَ أَشْرَافُهُمْ، وَأَسْلَمَ عَمْرُو بنُ الْجَمُوحِ، وَكُسِرَتْ أَصْنَامُهُمْ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَعَزَّ أَهْلِهَا، وَصَلُحَ أَمْرُهُمْ، وَرَجَعَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَكَانَ يُدْعَى الْمُقْرِئَ (١) .

*****

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٧٢٣٨) وقال الهيثمي : رواه الطبراني مرسلاً؛ فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الحَادِيْ وَالعِشْرُوْنَ

إِسْلامُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ[(١)] وَرُجُوعُهُ إِلَى قَوْمِهِ دَاعِياً، وَدُخُولُهُمُ الإِسْلامَ بِدَعْوَتِهِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُعَيْقِيبٍ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ مَعَ النَّفَرِ الاِثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ بَايَعُوهُ فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى إِلَى الْمَدِينَةِ يُفَقِّهُ أَهْلَهَا، وَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ، قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَقُولُ : مَا أَدْرِي مَا الْعَقَبَةُ الْأُولَى ؟ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : بَلَى لَعَمْرِي، لَقَدْ كَانَتْ عَقَبَةٌ وَعَقَبَةٌ، قَالَا : وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، وَكَانَ إِنَّمَا يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ الْمُقْرِئَ، فَخَرَجَ بِهِ يَوْمًا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ، وَهِيَ قَرْيَةُ لِبَنِي ظَفَرٍ دُونَ قَرْيَةِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ – وَكَانَا ابْنَيْ عَمٍّ – يُقَالُ لَهَا بِئْرُ مَرْقٍ، فَسَمِعَ بِهِمَا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ، وَكَانَ ابْنَ خَالَتِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، فَقَالَ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ : ائْتِ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ فَازْدَجِرْهُ عَنَّا فَلْيَكُفَّ عَنَّا مَا نَكْرَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِهَذَا الرَّجُلِ الْغَرِيبِ مَعَهُ يَتَسَفَّهُ بِهِ سُفَهَاؤنَا وَضُعَفَاؤُنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ . فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ الْحَرْبَةَ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَاهُمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ : هَذَا وَاللهِ سَيِّدُ قَوْمِهِ، قَدْ جَاءَكَ، فَأَبْلِ اللهَ فِيهِ بَلَاءً حَسَنًا . قَالَ : إِنْ يَقْعُدْ أُكَلِّمْهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ : يَا أَسْعَدُ مَا لَنَا وَلَكَ تَأْتِينَا بِهَذَا الرَّجُلِ الْغَرِيبِ يَسْفَهُ بِهِ سُفَهَاؤُنَا وَضُعَفَاؤُنَا،

---

(١) هو سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ .. بْنِ الْخَزْرَجِ، يُكَنَّى أَبَا عَمْرٍو، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا، وَاسْتُشْهِدَ بِالْخَنْدَقِ، وَاهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ اسْتِبْشَارًا لِرُوحِهِ، رُمِيَ فِي أَكْحَلِهِ مِنْ عَضُدِهِ، رَمَاهُ ابْنُ الْعَرِقَةِ فَانْقَطَعَ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُبْقِيَهُ حَتَّى يُقِرَّ عَيْنَهُ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، فَبَقِيَ حَتَّى حُكِّمَ فِيهِمْ، ثُمَّ انْفَجَرَ كَلْمُهُ فَمَاتَ، وقال ﷺ :" **لَقَدْ نَزَلَ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَا وَطِئُوا الْأَرْضَ قَبْلَهَا** ". قال الهيثمي: رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادَيْنِ، وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ. فحَمَلَتِ الْمَلَائِكَةُ جِنَازَتَهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ اللهُ لَهُ، وَجَدَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَجْدًا شَدِيدًا، وَتُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ عَامَ الْخَنْدَقِ . «معرفة الصحابة لأبي نعيم» (١٢٢١/٣).

www.saida-islam.weebly.com

فَقَالَ : أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعُ ؟ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ . فَقَالَ : قَدْ أَنْصَفْتُمْ، ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَوَاللهِ لَعَرَفْنَا الْإِسْلَامَ فِي وَجْهِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ ! وَكَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا دَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ ؟ قَالَا : تَغْتَسِلُ، وَتُطَهِّرُ ثِيَابَكَ، وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَتُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَفَعَلَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِي إِنْ تَابَعَكُمَا لَمْ يُخَالِفْكُمَا أَحَدٌ بَعْدَهُ . ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ : أَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ رَجَعَ عَلَيْكُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، مَاذَا صَنَعْتَ؟ قَالَ : قَدِ ازْدَجَرْتُهُمَا، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ يُرِيدُونَ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ لِيُخْفِرُوكَ فِيهِ، لِأَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، فَقَامَ إِلَيْهِ سَعْدٌ مُغْضَبًا، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، قَالَ : وَاللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمَا، قَالَ لِمُصْعَبٍ : هَذَا وَاللهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ هُوَ تَابَعَكَ لَمْ يُخَالِفْكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاصْدُقِ اللهَ فِيهِ، فَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ : إِنْ يَسْمَعْ مِنِّي أُكَلِّمْهُ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمَا قَالَ : يَا أَسْعَدُ مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَغْشَانِي بِمَا أَكْرَهُ – وَهُوَ مُتَشَتِّمٌ –، أَمَا وَاللهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا طَمِعْتَ فِي هَذَا مِنِّي، فَقَالَ لَهُ : أَوْ تَجْلِسَ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ أُعْفِيتَ مِمَّا تَكْرَهُ . قَالَ : أَنْصَفْتُمَانِي، ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَوَاللهِ لَعَرَفْنَا فِيهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِتَسَهُّلِ وَجْهِهِ . ثُمَّ قَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا ! وَكَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا دَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ ؟ فَقَالَا لَهُ : تَغْتَسِلُ، وَتُطَهِّرُ ثِيَابَكَ وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَتَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، فَقَامَ فَفَعَلَ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ وَانْصَرَفَ عَنْهُمَا إِلَى قَوْمِهِ . فَلَمَّا رَآهُ رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالُوا : نُقْسِمُ بِاللهِ، لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ : أَيُّ رَجُلٍ تَعْلَمُونِي فِيكُمْ ؟ قَالُوا: نَعْلَمُكَ وَاللهِ خَيْرَنَا وَأَفْضَلَنَا فِينَا رَأْيًا . قَالَ : فَإِنَّ كَلَامَ نِسَائِكُمْ وَرِجَالِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ، وَتَصَدِّقُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، **فَوَاللهِ مَا أَمْسَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ**

www.saida-islam.weebly.com

الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا(١)، ثُمَّ انْصَرَفَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ. فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَخَطْمَةَ وَوَائِلِ وَوَاقِفٍ، ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبَ ابْنَ عُمَيْرٍ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ (٢) .

*****

(١) فيه ما تقدم له نظائرُ كثيرةٌ، من مبادرة الصحابة ﷺ بدعوة أقوامهم إلى الإسلام فورَ إسلامهم، دون انتظارٍ لتحصيل الكثير من العلم، وذلك لسرعة فهمهم على الله ورسوله، فبادروا بحمل هذه الرحمة وعرضها على أقوامهم، فلم يحتكروها على أنفسهم، لذلك أكرمهم الله بهداية أقوامهم إلى الحق، وجعلهم سبباً في ذلك، فكان كلُّ خير حصل بعدهم في صحائف حسناتهم، لأنَّ الدالَّ على الخير كفاعله، ولو كان هذا الدَّالُّ على الخير عامياً .

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/٣٥٧-٣٥٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٤٣٨-٤٤٠) وانظر «سيرة ابن هشام» (٢/٥٨-٦٠) و«البداية والنهاية» (٣/١٨٥-١٨٧). قلت : هو مرسل حسن، محمد بن إسحاق هو إمام المغازي، ثقة حسن الحديث، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم : هو أبو محمد الأنصاري المدني أَحَدُ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ، روى عن أنس بن مالك، وعباد بن تميم، وعروة بن الزبير وعمرة، وحميد بن نافع، وسالم بن عبد الله بن عمر، ويحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة وغيرهم، وقال عنه مالك : كان كثير الأحاديث، وكان رجل صدق. وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: حديثه شفاء . وقال ابن معين وأبو حاتم : ثقة. وقال النسائي : ثقة ثبت، وقال ابن سعد :كان ثقة كثير الحديث عالماً، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة، وقال العجلي : مدني تابعي ثقة، وقال ابن عبد البر : كان من أهل العلم ثقة فقيهاً محدثاً مأموناً حافظاً وهو حجة فيما نقل وحمل، وقال مالك: كان من أهل العلم والبصيرة. «تهذيب التهذيب» (٥/١٦٤-١٦٥) و«تاريخ الإسلام للذهبي» (٨/٤٥٩) قلت : فهذا المرسل مع مرسل عروة الذي في الحديث قبله يعضد أحدهما الآخر، فقد اجتمعا على ذكر إسلام سعد بن معاذ، ورجوعه إلى قومه داعياً، وإسلام قومه بدعوته .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّانِيْ وَالعِشْرُوْنَ

إِسْلامُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَرُجُوعُهُ دَاعِياً إِلَى قَوْمِهِ وَهِدَايَتُهُمْ بِدَعْوَتِهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ(١)، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ – وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ (٢)– فَقُلْنَا : هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ(٣) الْمُتَّكِئُ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :" **قَدْ أَجَبْتُكَ** (٤)". فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ . فَقَالَ :" **سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ** (٥)".

---

(١) جاء في رِوَايَة أَبِي نُعَيْمٍ : أَقْبَلَ عَلَى بَعِير لَهُ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِد فَأَنَاخَهُ ثُمَّ عَقَلَهُ فَدَخَلَ الْمَسْجِد. فَهَذَا السِّيَاق يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ مَا دَخَلَ بِهِ الْمَسْجِد، وَأَصْرَح مِنْهُ رِوَايَة ابْن عَبَّاس عِنْد أَحْمَد وَالْحَاكِم، وَلَفْظهَا: فَأَنَاخَ بَعِيره عَلَى بَاب الْمَسْجِد فَعَقَلَهُ ثُمَّ دَخَلَ، فَعَلَى هَذَا فِي رِوَايَة أَنَس مَجَاز الْحَذْف، وَالتَّقْدِير : فَأَنَاخَهُ فِي سَاحَة الْمَسْجِد، أَوْ نَحْو ذَلِكَ. «فتح الباري» (١/١٠٠ – ١٠١) .

(٢) فِيهِ مَا كَانَ رَسُول اللَّه ﷺ عَلَيْهِ مِنْ تَرْك التَّكَبُّر لِقَوْلِهِ : بَيْن ظَهْرَانَيْهِمْ، وَهِيَ بِفَتْحِ النُّون أَيْ بَيْنهمْ . «المصدر السابق» .

(٣) أَيِ الْمُشْرَب بِحُمْرَةٍ، كَمَا فِي رِوَايَة الْحَارِث بْن عُمَيْر : «الأَمْغَر» . أَيِ الأَبْيَض الْمُشْرَب بِحُمْرَةٍ .

(٤) أَيْ سَمِعْتُك، وَالْمُرَاد إِنْشَاء الإِجَابَة .

(٥) فيه ما كان عليه ﷺ من سمو الأخلاق ورفعتها، والرحمة بالناس، ومراعاة مراتب علمهم، فلا يؤاخذهم بما يصدر منهم من عدم التزامهم بالأدب معه، خاصةً من كَانَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ جَفَاء الأَعْرَاب، كما ظهر من ضمام فِي قَوْله : فَمُشَدِّد عَلَيْك فِي الْمَسْأَلَة . وَفِي قَوْله فِي رِوَايَة ثَابِت : وَزَعَمَ رَسُولك أَنَّك تَزْعُم . وَلِهَذَا وَقَعَ فِي أَوَّل رِوَايَة ثَابِت عَنْ أَنَس : كُنَّا نُهِينَا فِي الْقُرْآن أَنْ نَسْأَل رَسُول اللَّه ﷺ عَنْ شَيْء، فَكَانَ يُعْجِبنَا أَنْ يَجِيء الرَّجُل مِنْ أَهْل الْبَادِيَة الْعَاقِل فَيَسْأَلهُ وَنَحْنُ نَسْمَع. زَادَ أَبُو عَوَانَة فِي صَحِيحه : وَكَانُوا أَجْرَأ عَلَى ذَلِكَ مِنَّا، يَعْنِي أَنَّ الصَّحَابَة وَاقِفُونَ عِنْد النَّهْي، وَأُولَئِكَ يُعْذَرُونَ بِالْجَهْلِ، وَتَمَنَّوْهُ عَاقِلاً لِيَكُونَ عَارِفًا بِمَا يَسْأَل عَنْهُ؛ وَظَهَرَ عَقْل ضِمَام فِي تَقْدِيمه الاعْتِذَار بَيْن يَدَيْ مَسْأَلَته لِظَنِّهِ أَنَّهُ لا يَصِل إِلَى مَقْصُوده إِلاَّ بِتِلْكَ الْمُخَاطَبَة . وَكَرَّرَ الْقَسَم فِي كُلّ مَسْأَلَة تَأْكِيدًا وَتَقْرِيرًا لِلأَمْرِ، ثُمَّ صَرَّحَ بِالتَّصْدِيقِ، فَكُلّ ذَلِكَ دَلِيل عَلَى حُسْن تَصَرُّفه وَتَمَكُّن عَقْله، وَلِهَذَا قَالَ عُمَر فِي رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة : **مَا رَأَيْت أَحَدًا أَحْسَن مَسْأَلَة وَلا أَوْجَزَ مِنْ ضِمَام** .

www.saida-islam.weebly.com

فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ(١)؟ فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ نَعَمْ**(٢) ". قَالَ : أَنْشُدُكَ(٣) بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ :" **اللَّهُمَّ نَعَمْ** ". قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟ قَالَ : "**اللَّهُمَّ نَعَمْ** ". قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **اللَّهُمَّ نَعَمْ** ". فَقَالَ الرَّجُلُ : آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ(٤)، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ (٥) .

وفي رِوَايَةٍ قَالَ فِي آخِرِهِ : فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ :. بِئْسَتِ اللاَّتُ وَالْعُزَّى . قَالُوا : مَهْ يَا ضِمَامُ؛ اتَّقِ الْبَرَصَ وَالْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ . قَالَ : وَيْلَكُمْ إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لا يَضُرَّانِ وَلا يَنْفَعَانِ .

---

(١) هذا موافق لقوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾، ولقوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ .

(٢) الْجَوَاب حَصَلَ بِنَعَمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُمَّ تَبَرُّكًا بِهَا، وَكَأَنَّهُ اسْتَشْهَدَ بِاللَّهِ فِي ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِصِدْقِهِ . وَوَقَعَ فِي رِوَايَة مُسلم: فَقَالَ: صَدَقْت . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاء ؟ قَالَ :" **اللَّه** ". قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الأَرْض وَالْجِبَال ؟ قَالَ :" **اللَّه** ". قَالَ : فَمَنْ جَعَلَ فِيهَا الْمَنَافِع ؟ قَالَ :" **اللَّه** ". قَالَ : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاء وَخَلَقَ الأَرْض وَنَصَبَ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا الْمَنَافِعَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ :" **نَعَمْ** ".

(٣) أَصْله مِنَ النَّشِيد، وَهُوَ رَفْع الصَّوْت، وَالْمَعْنَى سَأَلْتُك رَافِعًا نَشِيدَتِي؛ قَالَهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْح السُّنَّة . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : نَشَدْتُك بِاَللَّهِ أَيْ سَأَلْتُك بِاللَّهِ، كَأَنَّك ذَكَّرْته فَنَشَدَ أَيْ تَذَكَّرَ .

(٤) هذا إِخْبَارٌ منه بإيمانه السابق، وليس إنشاءاً لإيمان حادث، وَهُوَ اخْتِيَار الْبُخَارِيِّ، وَرَجَّحَهُ الْقَاضِي عِيَاض، وَأَنَّهُ حَضَرَ بَعْد إِسْلامه مُسْتَثْبِتًا مِنَ الرَّسُول ﷺ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ؛ لأَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيث ثَابِت عَنْ أَنَس عِنْد مُسْلِم وَغَيْرِه: فَإِنَّ رَسُولك زَعَمَ . وَقَالَ فِي رِوَايَة كُرَيْب عَنْ ابْن عَبَّاس عِنْد الطَّبَرَانِيّ : أَتَتْنَا كُتُبك وَأَتَتْنَا رُسُلك . وَمِمَّا يُؤَيِّد أَنَّ قَوْله: آمَنْت . إِخْبَار أَنَّهُ لَمْ يَسْأَل عَنْ دَلِيل التَّوْحِيد، بَلْ عَنْ عُمُوم الرِّسَالَة وَعَنْ شَرَائِع الإِسْلام، وَلَوْ كَانَ إِنْشَاءً لَكَانَ طَلَبَ مُعْجِزَةً تُوجِب لَهُ التَّصْدِيق .

(٥) الصَّوَاب أَنَّ قُدُوم ضِمَام كَانَ فِي سَنَة تِسْع، وَبِهِ جَزَمَ ابْن إِسْحَاق وَأَبُو عُبَيْدَة وَغَيْرهمَا؛ لأنه جاء في حَدِيث ابْن عَبَّاس أَنَّ قَوْمه أَطَاعُوهُ، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلام بَعْد رُجُوعه إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَدْخُل بَنُو سَعْد – وَهُوَ ابْنُ بَكْر بْن هَوَازِن – فِي الإِسْلام إِلاَّ بَعْد وَقْعَة حُنَيْنٍ، وَكَانَتْ فِي شَوَّال سَنَة ثَمَان .

إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ بَعَثَ رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ؛ وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلا امْرَأَةٌ إِلاَّ مُسْلِمًا(١). قَالَ : يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : **فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ**(٢) .

*****

(١) فيه أن أمر الدعوة إلى الله أمر فطري في الإنسان المؤمن، دون أن يحتاج إلى من يبين له حكمه الشرعي، كما إذا رأى أحدهم حريقاً اشتعل في بيتٍ ما، فإنه يسارع بإطفائه بما أوتي من قوة ولو قلَّت، ويستعين بغيره لإطفائها، ولا ينتظر حتى يسأل عن الحكم الشرعي لإطفائها، كما أن فطرة الإنسان تقتضي أنه إذا خاف من شيء خوَّف غيره منه، كما كان حال الأنبياء ومن اهتدى بهديهم؛ قال ﷻ : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩]، وقال ﷻ :﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ [غافر:٣٠]، ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾؛ [غافر:٣٢]؛ وأول من يبدأ به أهله وخاصته وأقاربه، كما أن من أحب شيئاً دعا الناس إلى حبِّه، ومن رغب في شيء رغَّب غيره فيه، وهذا ما حصل مع ضمام وغيره من الصحابة حينما أسلموا، فإنهم بدؤوا يدعون غيرهم إلى الله ﷻ، ويرغبونهم في الإسلام، مع حدثان عهدهم بالإسلام، وقلة بضاعتهم من العلم فيه؛ وهذا أمر امتدحه الله ﷻ في حق الجن الذين آمنوا ثم وَلَّوْا إلى قومهم منذرين؛ وتقدم الكلام على هذا كثيراً، ولكنْ في الإعادة إفادة .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (٢٣٨٠) والدارمي في سننه (٦٥٢) والحاكم في المستدرك (٤٣٨٠) وقال : قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة، ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله، وهذا صحيح ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع : رجال أحمد موثوقون .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُوْنَ

إِسْلامُ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ وَدَعْوَتُهُ قَوْمَهُ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى الإِسْلامِ وَتَحْذِيرُهُمْ مِنَ الفِتْنَةِ بِمُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ[١]، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : "**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟**[٢]". فَقَالَ : عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ[٣]، وَإِنْ

---

(١) قال ابن إسحاق : بَلَغَنِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَتْ خَيْلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَتْ رَجُلاً مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ لا يَشْعُرُونَ مَنْ هُوَ، حَتّى أَتَوْا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : "**أَتَدْرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ، هَذَا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الْحَنَفِيُّ، أَحْسِنُوا إِسَارَهُ** ". وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ :" **اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ** ". وَأَمَرَ بِلِقْحَتِهِ أَنْ يَغْدَى عَلَيْهِ بِهَا وَيُرَاحُ، فَجَعَلَ لا يَقَعُ مِنْ ثُمَامَةَ مَوْقِعًا وَيَأْتِيهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَيَقُولُ :" **أَسْلِمْ يَا ثُمَامَةُ** ". فَيَقُولُ: إِيهًا يَا مُحَمّدُ، إنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُرِدْ الْفِدَاءَ فَسَلْ مَا شِئْت، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمّ قَالَ النّبِيّ يَوْمًا :" **أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** ". فَلَمّا أَطْلَقُوهُ خَرَجَ حَتّى أَتَى الْبَقِيعَ، فَتَطَهّرَ فَأَحْسَنَ طَهُورَهُ ثُمّ أَقْبَلَ فَبَايَعَ النّبِيّ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ، فَلَمّا أَمْسَى جَاءُوهُ بِمَا جَاءُوهُ بِمَا كَانُوا يَأْتُونَهُ مِنَ الطّعَامِ فَلَمْ يَنَلْ مَعَهُ إِلّا قَلِيلاً، وَبِاللّقْحَةِ فَلَمْ يُصِبْ مِنْ حِلابِهَا إلاّ يَسِيرًا، فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ :" **مِمَّ تَعْجَبُونَ؟ أَمِنْ رَجُلٍ أَكَلَ أَوّلَ النّهَارِ فِي مِعَى كَافِرٍ، وَأَكَلَ آخِرَ النّهَارِ فِي مِعَى مُسْلِمٍ، إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ** ".

(٢) أَيْ : أَيُّ شَيْء عِنْدك ؟ بمعنى مَا الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظَنّك أَنْ أَفْعَلهُ بِك ؟ فَأَجَاب بِأَنَّهُ ظَنَّ خَيْرًا فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّد خَيْر، أَيْ لأَنَّك لَسْت مِمَّنْ يَظْلِم، بَلْ مِمَّنْ يَعْفُو وَيُحْسِن. «فتح الباري» (٨٨/٨) وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلاثَة أَيَّام، وهَذَا مِنْ تَأْلِيف الْقُلُوب، وَمُلاطَفَة لِمَنْ يُرْجَى إِسْلامه مِن الأَشْرَاف الَّذِينَ يَتْبَعهُمْ عَلَى إِسْلامهمْ خَلْق كَثِير. «شرح مسلم للنووي» (٨٩/١٢).

(٣) مَعْنَاهُ : إِنْ تَقْتُل تَقْتُل صَاحِب دَم لِدَمِهِ مَوْقِع يَشْتَفِي بِقَتْلِهِ قَاتِلُهُ، وَيُدْرِكُ قَاتِلُهُ بِهِ ثَأْره . أَيْ : لِرِيَاسَتِهِ وَفَضِيلَته، وَحُذِفَ هَذَا لأَنَّهُمْ يَفْهَمُونَهُ فِي عُرْفهمْ . وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَاهُ تَقْتُل مَنْ عَلَيْهِ دَمٌ وَمَطْلُوبٌ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ عَلَيْهِ فَلا عَتَب عَلَيْك فِي قَتْله . «شرح مسلم للنووي» (٨٨/١٢).

www.saida-islam.weebly.com

تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :" **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟**". قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ : إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ [١]. فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ؛ فَقَالَ :" **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟**" فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ : "**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** ". فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ؛ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ؛ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ إِلَيَّ؛ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى ؟. فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ [٢]. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : صَبَوْتَ ؟ قَالَ : لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٣]، وَلا وَاللَّهِ لا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ [٤] .

---

(١) هَكَذَا اقْتَصَرَ فِي الْيَوْم الثَّانِي عَلَى أَحَد الشِّقَّيْنِ، وَحَذَفَ الأَمْرَيْنِ فِي الْيَوْم الثَّالِث، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدَّمَ أَوَّل يَوْم أَشَقّ الأَمْرَيْنِ عَلَيْهِ وَأَشْفَى الأَمْرَيْنِ لِصَدْرِ خُصُومه وَهُوَ الْقَتْل، فَلَمَّا لَمْ يَقَع اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْر الاسْتِعْطَاف، وَطَلَب الإِنْعَام فِي الْيَوْم الثَّانِي، فَكَأَنَّهُ فِي الْيَوْم الأَوَّل رَأَى أَمَارَات الْغَضَب فَقَدَّمَ ذِكْر الْقَتْل، فَلَمَّا لَمْ يَقْتُلهُ طَمِعَ فِي الْعَفْو فَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا لَمْ يَعْمَل شَيْئًا مِمَّا قَالَ اقْتَصَرَ فِي الْيَوْم الثَّالِث عَلَى الإِجْمَال تَفْوِيضًا إِلَى جَمِيل خُلُقه ﷺ.«فتح الباري» (٨/٨٨).

(٢) يَعْنِي بَشَّرَهُ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْخَيْر الْعَظِيم بِالإِسْلامِ، وَأَنَّ الإِسْلام يَهْدِم مَا قَبْله، وَأَمَّا أَمْره بِالْعُمْرَةِ فَاسْتِحْبَاب؛ لأَنَّهَا مُسْتَحَبَّة فِي كُلّ وَقْت لا سِيَّمَا مِنْ هَذَا الشَّرِيف الْمُطَاع إِذَا أَسْلَمَ، وَجَاءَ مُرَاغِمًا لأَهْلِ مَكَّة فَطَافَ وَسَعَى وَأَظْهَرَ إِسْلامه وَأَغَاظَهُمْ بِذَلِكَ . «شرح مسلم للنووي» (١٢/٨٩).

(٣) كَأَنَّهُ قَالَ : لا مَا خَرَجْت مِنَ الدِّين، لأَنَّ عِبَادَة الأَوْثَان لَيْسَتْ دِينًا، فَإِذَا تَرَكْتُهَا لا أَكُون خَرَجْتُ مِنْ دِين، بَل اسْتَحْدَثْتُ دِين الإِسْلام . وَقَوْله : «مَعَ مُحَمَّد» أَيْ وَافَقْته عَلَى دِينه فَصِرْنَا مُتَصَاحِبَيْنِ فِي الإِسْلام أَنَا بِالابْتِدَاءِ وَهُوَ بِالاسْتِدَامَةِ . وَوَقَعَ فِي رِوَايَة ابْن هِشَام : وَلَكِنْ تَبِعْت خَيْرَ الدِّين دِين مُحَمَّد . «فتح الباري» (٨/٨٨).

(٤) فِي قِصَّة ثُمَامَة مِنَ الْفَوَائِد رَبْطُ الْكَافِرِ فِي الْمَسْجِد، وَالْمَنُّ عَلَى الأَسِير الْكَافِر، وَتَعْظِيم أَمْر الْعَفْو عَنْ الْمُسِيء، لأَنَّ ثُمَامَة أَقْسَمَ أَنَّ بُغْضه انْقَلَبَ حُبًّا فِي سَاعَة وَاحِدَة لِمَا أَسْدَاهُ النَّبِيّ ﷺ إِلَيْهِ مِنَ الْعَفْو=

وفي رِوَايَةٍ قَالَ : إِنِّي كُنْتُ خَرَجْتُ مُعْتَمِرًا، وَأَنَا عَلَى دِينِ قَوْمِي، فَأَسَرَنِي أَصْحَابُكَ فِي عُمْرَتِي، فَسَيِّرْنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فِي عُمْرَتِي، فَسَيَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عُمْرَتِهِ، وَعَلَّمَهُ، فَخَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ(١)، وَسَمِعَتْهُ قُرَيْشٌ يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ(٢)، قَالُوا : صَبَأَ ثُمَامَةُ، فَقَالَ :

=وَالْمَنّ بِغَيْرِ مُقَابِل . وَفِيهِ الاغْتِسَال عِنْد الإِسْلام، وَأَنَّ الإِحْسَان يُزِيل الْبُغْض وَيُثْبِتُ الْحُبَّ، وَأَنَّ الْكَافِر إِذَا أَرَادَ عَمَل خَيْر ثُمَّ أَسْلَمَ شَرَعَ لَهُ أَنْ يَسْتَمِرّ فِي عَمَل ذَلِكَ الْخَيْر . وَفِيهِ الْمُلاطَفَة بِمَنْ يُرْجَى إِسْلامه مِنَ الأَسَارَى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلإِسْلامِ، وَلا سِيَّمَا مَنْ يَتْبَعُهُ عَلَى إِسْلامه الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنْ قَوْمه . «المصدر السابق» . قلت : وهذا منه ﷺ دعوةٌ لقريش إلى الإسلام ببيان محاسن دين الإسلام، مع استخدام القوة الاقتصادية كوسيلة للضغط عليهم لقبول الإسلام، أو الكفِّ عن أهله، والله أعلم.

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَبَلَغَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، حَتّى إذَا كَانَ بِبَطْنِ مَكّةَ لَبّى، فَكَانَ أَوّلَ مَنْ دَخَلَ مَكّةَ يُلَبّي، فَأَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا : لَقَدْ اخْتَرْت عَلَيْنَا، فَلَمّا قَدِمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : دَعُوهُ فَإِنّكُمْ تَحْتَاجُونَ إلَى الْيَمَامَةِ لِطَعَامِكُمْ؛ فَخَلّوْهُ. فَقَالَ الْحَنَفِيُّ فِي ذَلِكَ : **وَمِنّا الّذِي لَبّى بِمَكّةَ مُعْلِنًا ... بِرَغْمِ أَبِي سُفْيَان فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ** .

(٢) أي أنه قام يدعو إلى اتِّباعه ﷺ ويرغِّب فيه، مع أنَّه حديث عهد بإسلام، ولكنَّها الغيرةُ على توحيد الله، واتباع طريق رسول الله ﷺ؛ هذه الغيرة التي إذا خالطت قلبَ العبد لم يهدأْ له بالٌ ولم يقرَّ له قرارٌ وهناك على وجه الأرض من يعبد غير الله، ويتبع غير رسول الله ﷺ، ويدين بغير الإسلام، وقد بيَّن اللهُ ﷻ لنا في كتابه قصة هدهدٍ غيرِ مكلَّفٍ رأى قوماً يعبدون الشمس من دون الله، فأخذته الغيرة والحمية، فتحرك من اليمن إلى بيت المقدس لِيُنَبِّهَ سليمانَ عليه السلام على ضرورة تغيير هذا المنكر بما آتاه الله من الملك والقوة، إذ الخلافة والملك إنَّما تراد لإقامة دين الله في الأرض، فتسبب الهدهد بهمِّه وغيرته وهِمَّتِهِ بإسلام ملكة سبأ، فأحبَّ الله ﷻ هذه الغيرة من الهدهد ورضيها، فذكرها لنا لنتأثر منها ونقتديَ به فيها . وانظر قصة الهدهد وما فيها من العبر والفوائد في [**سورة النمل** :٢٠-٤٤] و«تفسير الطبري» (١٩/٤٤٦-٤٧٤) و«تفسير ابن كثير» (٣/٣٦٤-٣٧١) وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٣٦٦) : وَلَمَّا كَانَ الْهُدْهُدُ دَاعِيًا إِلَى الْخَيْرِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَالسُّجُودِ لَهُ، نُهِيَ عَنْ قَتْلِهِ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: **نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةِ وَالنَّحْلَةِ وَالْهُدْهُدِ والصُّرَد**. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

www.saida-islam.weebly.com

وَاللَّهِ مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنَّنِي أَسْلَمْتُ، وَصَدَّقْتُ مُحَمَّدًا، وَآمَنْتُ بِهِ، وَالَّذِي نَفْسُ ثُمَامَةَ بِيَدِهِ لا تَأْتِيكُمْ حَبَّةٌ مِنَ الْيَمَامَةِ، وَكَانَتْ رِيفَ أَهْلِ مَكَّةَ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْصَرَفَ إِلَى بَلَدِهِ، وَمَنَعَ الْحَمْلَ إِلَى مَكَّةَ، فَجَهَدَتْ قُرَيْشٌ، فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ بِأَرْحَامِهِمْ، إِلَّا كَتَبَ إِلَى ثُمَامَةَ يُخَلِّي لَهُمْ حَمْلَ الطَّعَامِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ .

وَلَمَّا ظَهَرَ مُسَيْلَمَةُ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فُرَاتَ بْنَ حَيَّانَ الْعِجْلِيَّ إِلَى ثُمَامَةَ فِي قِتَالِ مُسَيْلَمَةَ وَقَتْلِهِ [١] .

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ : لَمَّا ارْتَدَّ أَهْلُ اليَمَامَةِ عَنِ الإِسْلَامِ لَمْ يَرْتَدَّ ثُمَامَةُ، وثَبَتَ عَلَى إِسْلَامِهِ هُوَ ومَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَومِهِ، وكَانَ مُقِيماً بِاليَمَامَةِ يَنْهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ مُسَيْلَمَةَ وتَصْدِيقِهِ، ويَقُولُ : **إِيَّاكُمْ وأَمْراً مُظْلِماً لَا نُورَ فِيهِ، وإِنَّهُ لَشَقَاءٌ كَتَبَهُ اللهُ ﷻ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِهِ مِنْكُم، وبَلَاءٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ مِنْكُم يَا بَنِي حَنِيفَةَ** [٢]. فَلَمَّا عَصَوْهُ وأَصْفَقُوا عَلَى اتِّبَاعِ مُسَيْلَمَةَ عَزَمَ عَلَى مُفَارَقَتِهِم، ومَرَّ العَلَاءُ بْنُ الحَضْرَمِيِّ ومَنْ مَعَهُ عَلَى جَانِبِ اليَمَامَةِ يُرِيدُونَ

---

(١) «أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير» (١/١٥٦) .

(٢) جاء في كتاب «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي» (٣/٤٣) أن ثمامة قال لقومه : اسمعوا مني وأطيعوا أمري ترشدوا، إنه لا يجتمع نبيَّان بأمر واحد، وإن محمداً ﷺ لا نبي بعده، ولا نبي مرسل معه، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ **[غافر:١-٣]**؛ هذا كلام الله ﷻ، أين هذا من : يَا ضِفْدَعُ نُقِّي كَمْ تَنُقِّينَ، لَا الشُّربَ تَمْنَعِينَ، ولَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ . واللهِ إِنَّكُم لَتَرَونَ أَنَّ هذا الكلامَ ما يَخْرُجُ من الله، وقد استَحَقَّ محمدٌ ﷺ أمراً أذكره به : مَرَّ بِي رَسُولُ الله ﷺ وأنا عَلَى دِينِ قَومِي، فأردتُ قَتلَهُ، فَحَالَ بيني وبينه عمير، وكان موفَّقاً، فَأَهدَرَ رسولُ الله ﷺ دمي، ثم خرجت معتمراً، فبينا أنا أسير قد أظللت على المدينة أخذتني رسله في غير عهد ولا ذمة، فعفا عن دمي وأسلمت، فأذن لي في الخروج إلى بيت الله، وقلت : يا رسول الله إن بني قشير قتلوا أثالاً في الجاهلية، فأذن لي أغزهم، فغزوتهم وبعثت إليه بالخمس، فتوفي رسول الله ﷺ وقام بهذا الأمر من بعده رجل هو أفقههم في أنفسهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم بعث إليكم رجلاً لا يسمى باسمه ولا اسم أبيه، يقال له سيف الله، معه سيوف لله كثيرة، فانظروا في أمركم .

www.saida-islam.weebly.com

البَحْرَينَ، وبِهَا الحُطَمُ ومَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ رَبِيعَةَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : إِنِّي وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ أُقِيمَ مَعَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ أَحْدَثُوا، وإِنَّ اللهَ ضَارِبُهُم بِبَلِيَّةٍ لَا يَقُومُونَ بِهَا ولَا يَقْعُدُونَ، ومَا أَرَى أَنْ نَتَخَلَّفَ عَنْ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي ابْنَ الحَضْرَمِيِّ وأَصْحَابَهُ - وهُمْ مُسْلِمُونَ، وقَدْ عَرَفْنَا الَّذِي يُرِيدُونَ، وقَدْ مَرُّوا بِنَا، ولَا أَرَى إِلَّا الخُرُوجَ مَعَهُمْ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُم فَلْيَخْرُجْ، فَخَرَجَ مُمِدّاً لِلْعَلَاءِ ومَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِ عَدُوِّهِم حِينَ بَلَغَهُم مَدَدُ بَنِي حَنِيفَةَ، وشَهِدَ مَعَ العَلَاءِ قِتَالَ الحُطَمِ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وقُتِلُوا، وقَسَّمَ العَلَاءُ الغَنَائِمَ، ونَفَّلَ رِجَالاً، فَأَعْطَى العَلَاءُ خَمِيصَةً - كَانَتْ لِلْحُطَمِ يُبَاهِي بِهَا - رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ ثُمَامَةُ، فَلَمَّا رَجَعَ ثُمَامَةُ بَعْدَ هَذَا الفَتْحِ، رَأَى بَنُو قَيسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَومُ الحُطَمِ خَمِيصَتَهُ عَلَى ثُمَامَةَ، فَقَالُوا : أَنْتَ قَتَلْتَ الحُطَمَ، قَالَ : لَمْ أَقْتُلْهُ، ولَكِنِّي اشْتَرَيْتُهَا مِنَ الْمَغْنَمِ، فَقَتَلُوهُ (١) .

*****

(١) «أسد الغابة» (١/١٥٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُوْنَ

إِسْلامُ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ[١] وَرُجُوعُهُ إِلَى مَكَّةَ دَاعِياً

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ بَدْرٍ، وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، أَقْبَلَ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ حَتَّى جَاءَ إِلَى صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ[٢]، وفِي رِوَايَةٍ : وَكَانَ عُمَيرُ بْنُ وَهْبٍ شَيْطَاناً مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيشٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وأَصْحَابَهُ، ويَلْقَونَ مِنْهُ عَنَاءً وهُمْ بِمَكَّةَ، فَقَالَ صَفْوَانُ : قَبَّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَ قَتْلَى بَدْرٍ . فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَجَلْ، وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ بَعْدُ، وَلَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ لا أَجِدُ لَهُ قَضَاءً، وَعِيَالِي وَرَائِي لا أَجِدُ لَهُمْ شَيْئًا، لَدَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَقَتَلْتُهُ إِنْ مُلِئَتْ عَيْنِي مِنْهُ، فَإِنَّ لِي عِنْدَهُ عِلَّةً؛ أَقُولُ قَدِمْتُ عَلَى ابْنِي هَذَا الأَسِيرِ[٣]، فَفَرِحَ صَفْوَانُ بِقَوْلِهِ، فَقَالَ : عَلَيَّ دَيْنُكَ، وَعِيَالُكَ

---

(١) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية، وهو ابن عمِّ صفوان بن أمية بن خلف، كان له قدر وشرف في قريش، وشهد بدراً كافراً، وهو القائل لقريش يومئذ في الأنصار : إني أرى وجوهاً كوجوه الحيَّات لا يموتون ظمأ أو يقتلون منَّا أعدادهم، فلا تتعرضوا لهم بهذه الوجوه التي كأنَّها المصابيح، فقالوا له : دع هذا عنك، وحرَّش بين القوم، فكان أول من رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب رسول الله ﷺ وأنشب الحرب . وكان من أبطال قريش وشيطاناً من شياطينها . وشهد فتح مكة. وقيل : إن عمير بن وهب أسلم بعد وقعة بدر وشهد أحداً مع النبي ﷺ وعاش إلى صدر من خلافة عثمان رضي الله عنه، وهو أحد الأربعة الذين أمدَّ بهم عُمَرُ ابنُ الخطَّاب رضي الله عنه عمرَو بن العاص بمصر؛ وهم : الزبير بن العوام، وعمير بن وهب الجمحي، وخارجة بن حذافة، وبسر ابن أرطاة . وقيل : المقداد موضع بسر . «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/٣٧٩) باختصار .

(٢) هو فناءٌ من الكعبة في شقِّها الشاميِّ، محوط بجدار (وكله من البيت، أو ستة أذرع منه، أو سبعة أذرع — أقوال) «المعالم الأثيرة» .

(٣) هو وهب بن عمير بن وهب؛ أسر يوم بدر كافراً، ثم قدم أبوه بالمدينة، فأطلقه له رسول الله ﷺ، فأسلم وكان له قدر وشرف، ومات بالشام مجاهداً . «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/٤٩٥) باختصار .

www.saida-islam.weebly.com

أُسْوَةُ عِيَالِي فِي النَّفَقَةِ، إِنْ يَسَعْنِي شَيْءٌ[١] وَنَعْجِزْ عَنْهُمْ، فَحَمَلَهُ صَفْوَانُ وَجَهَّزَهُ بِسَيْفِ صَفْوَانَ فَصُقِلَ وَسُمَّ، وَقَالَ عُمَيْرٌ لِصَفْوَانَ : اكْتُمْنِي لَيَالِيَ، فَأَقْبَلَ عُمَيْرٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ بَابَ الْمَسْجِدِ، وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ، وَأَخَذَ السَّيْفَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ ابن الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَيَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ عُمَيْرَ بنَ وَهْبٍ مَعَهُ السَّيْفُ فَزِعَ مِنْهُ، فَقَالَ : عِنْدَكُمُ الْكَلْبُ، هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ[٢]. فَقَامَ عُمَرُ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : هَذَا عُمَيْرُ ابن وَهْبٍ، قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ مَعَهُ السِّلاحُ، فَهُوَ الْفَاجِرُ الْغَادِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تَأْمَنْهُ، قَالَ: أَدْخِلْهُ عَلَيَّ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَعُمَيْرٌ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ يَحْتَرِسُوا مِنْ عُمَيْرٍ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ وَعُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ، فَدَخَلا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَ عُمَرَ سَيْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ :" **تَأَخَّرْ عَنْهُ** ". فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ حَيَّاهُ عُمَيْرٌ : أَنْعِمْ صَبَاحًا – وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ –، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ ﷻ عَنْ تَحِيَّتِكَ، وَجَعَلَ تَحِيَّتَنَا السَّلامَ، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ". فَقَالَ عُمَيْرٌ : إِنَّ عَهْدَكَ بِهَا لَحَدِيثٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **قَدْ بَدَّلَنَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَمَا أَقْدَمَكَ يَا عُمَيْرُ؟**" قَالَ : قَدِمْتُ فِي أَسِيرِي عِنْدَكُمْ، فَقَارِبُونِي فِي أَسِيرِي، فَإِنَّكُمُ الْعَشِيرَةُ وَالأَهْلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي رَقَبَتِكَ ؟**". فَقَالَ عُمَيْرٌ : قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ،

---

(١) أي لا يغنيني، يعني الذي يوجد عندي كما هو لعيالي فهو لعيالك .

(٢) هذا كان يوم بدر، لَمَّا اطْمَأَنَّ المشركون، فبَعَثُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ – وَكَانَ صَاحِبَ قِدَاحٍ – فَقَالُوا : احْزِرْ لَنَا مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ؛ فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْمُعَسْكَرِ فَصَوّبَ فِي الْوَادِي، وَصَعِدَ يَقُولُ عَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَدَدٌ أَوْ كَمِينٌ؛ ثُمّ رَجَعَ فَقَالَ لا مَدَدَ وَلا كَمِينَ ،الْقَوْمُ ثَلاثُمِائَةٍ إِنْ زَادُوا قَلِيلاً، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ بَعِيرًا، وَمَعَهُمْ فَرَسَانِ . ثُمّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، الْبَلايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النّاقِعَ، قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلا مَلْجَأٌ إِلاّ سُيُوفُهُمْ، أَلا تَرَوْنَهُمْ خُرْسًا لا يَتَكَلّمُونَ، يَتَلَمّظُونَ تَلَمّظَ الأَفَاعِي ؟ وَاللّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتّى يَقْتُلَ مِنّا رَجُلاً، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ مِثْلَ عَدَدِهِمْ فَمَا خَيْرٌ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَارْتَئُوا رَأْيَكُمْ . «مغازي الواقدي» ص (٦٢) و«طبقات ابن سعد» (١٦/٢) و«السيرة النبوية لابن هشام» (١٧٠/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

فَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، أَنَا نَسِيتُهُ وَهُوَ فِي رَقَبَتِي حِينَ نَزَلَتْ، وَلَعَمْرِي إِنَّ لِي غَيْرَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اصْدُقْنِي مَا أَقْدَمَكَ** "، قَال : مَا قَدِمْتُ إِلاَّ فِي أَسِيرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **فَمَا شَرَطْتَ لِصَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ فِي الْحِجْر ؟**" فَفَزِعَ عُمَيْرٌ، وَقَالَ : مَاذَا اشْتَرَطْتُ لَهُ، قَالَ :" **تَحَمَّلْتَ لَهُ بِقَتْلِي عَلَى أَنْ يَعُولَ بنيك وَيَقْضِيَ دَيْنَكَ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ** "، فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُ بِالْوَحْيِ، وَبِمَا يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَفْوَانَ فِي الْحِجْرِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهِ، فَآمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَاقَنِي هَذَا الْمَقَامَ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ هَدَاهُ اللَّهُ، وَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ ﷺ : لَخِنْزِيرٌ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ حِينَ اطَّلَعَ، وَلَهُوَ الْيَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَعْضِ بَنِيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اجْلِسْ نُوَاسِكَ** ". وَقَالَ :" **عَلِّمُوا أَخَاكُمُ الْقُرْآن** ". وَأَطْلَقَ لَهُ أَسِيرَهُ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنْتُ جَاهِدًا مَا اسْتَطَعْتُ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ، فَلْتَأْذَنْ لِي، فَأَلْحَقَ بِقُرَيْشٍ، فَأَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ، وَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ[(١)]، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَجَعَلَ صَفْوَانُ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ : أَبْشِرُوا بِفَتْحٍ يُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وَجَعَلَ يَسْأَلُ كُلَّ رَاكِبٍ قَدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ، هَلْ كَانَ بِهَا مِنْ حَدَثٍ ؟ وَكَانَ يَرْجُو مَا قَالَ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلَ صَفْوَانُ عَنْهُ، فَقَالَ : قَدْ أَسْلَمَ، فَلَقِيَهُ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالُوا : قَدْ صَبَأَ، وَقَالَ صَفْوَانُ : إِنَّ عَلَيَّ أَنْ لا أَنْفَعَهُ بنفقَةٍ أَبَدًا، وَلا أُكَلِّمَهُ مِنْ رَأْسٍ كَلِمَةً أَبَدًا، وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عُمَيْرٌ وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَنَصَحَ لَهُمْ، فَأَسْلَمَ بَشَرٌ كَثِيرٌ [(٢)] .

---

(١) فيه ما سبق ذكره من أن عاطفة الدعوة والرحمة بالناس عاطفة فطرية، تأتي في قلب العبد عندما يدخل نور الإيمان فيه، ويستشعر الخوف من الله ولقائه، فعندها يأتي عنده الخوف على غيره من الوقوع في الهلكة، فيسعى جاهداً لاستنقاذهم منها بهدايتهم إلى سبيل النجاة والفلاح .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٣٥٨٦ - ١٣٥٨٩) والطبري في «تهذيب الآثار» (١٣٧٨) والبيهقي في الدلائل (٣/١٤٨) وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً وإسناده جيد، وروي عن عروة بن الزبير نحوه=

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ نَزَلَ فِي أَهْلِهِ، وَلَمْ يَقْرَبْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، فَأَظْهَرَ الإِسْلامَ وَدَعَا إِلَيْهِ، فَبَلَغَ صَفْوَانَ؛ فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ حِينَ لَمْ يَبْدَأْ بِي قَبْلَ مَنْزِلِهِ، وَإِنَّمَا رَحَلَ مِنْ عِنْدِي، أَنَّهُ قَدِ ارْتَكَسَ وَلا أُكَلِّمُهُ مِنْ رَأْسِي أَبَدًا، وَلا أَنْفَعُهُ وَلا عِيَالَهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا . فَوَقَفَ عَلَيْهِ عُمَيْرٌ وَهُوَ فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ : أَبَا وَهْبٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، أَرَأَيْت الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ وَالذَّبْحِ لَهُ، أَهَذَا دِينٌ؟! أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَلَمْ يُجِبْهُ صَفْوَانُ بِكَلِمَةٍ (١) .

*****

=مرسلاً وإسناده حسن. ورواه الطبراني (١٣٥٨٩) عن أبي عمران الجوني، قال : لا أعلمه إلاَّ عن أنس بن مالك، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(١) أخرجه الواقدي في مغازيه ص (١٢٨) وانظر «الاستيعاب» (٣٧٩/١) .

الحَدِيثُ الخَامِسُ وَالعِشْرُوْنَ

دَعْوَةُ النَّجَاشِيّ عَمْرَو بْنَ العَاصِ إِلَى الإِسْلامِ وَاسْتِجَابَتُهُ لِذَلِكَ

عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ : لَمَّا انْصَرَفْنَا مَعَ الأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْت لَهُمْ : تَعْلَمُونَ وَاَللَّهِ أَنِّي أَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوّاً مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْت أَمْرًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ ؟ قَالُوا : وَمَاذَا رَأَيْت ؟ قَالَ : رَأَيْت أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْت يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إلاَّ خَيْرٌ . قَالُوا : إنَّ هَذَا الرَّأْيُ . وَكَانَ أَحَبُّ مَا يُهْدَى إلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الأَدَمَ [(١)] . فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ؛ فَوَاَللَّهِ إنَّا لَعِنْدَهُ إذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ فَقُلْت لأَصْحَابِي : هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَسَأَلْته إيَّاهُ، فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْت عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْت ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْت عَنْهَا [(٢)] حِينَ قَتَلْت رَسُولَ مُحَمَّدٍ . قَالَ : فَدَخَلْت عَلَيْهِ فَسَجَدْت لَهُ كَمَا كُنْت أَصْنَعُ؛ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إلَيَّ مِنْ بِلادِك شَيْئًا ؟ قَالَ : قُلْت : نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْت إلَيْك أَدَمًا كَثِيرًا؛ قَالَ : ثُمَّ قَرَّبْته إلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ؛ ثُمَّ قُلْت لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِك، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا؛ قَالَ : فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفِي ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ [(٣)]؛ فَلَوِ انْشَقَّتْ لِي الأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا [(٤)] مِنْهُ؛ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا

---

(١) جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ .

(٢) أي كفيت عنها في أخذ الثأر من محمد ﷺ .

(٣) غضبة النجاشي ﷺ تدلُّ على صدق إيمانه وشدَّة حبِّه لله ولرسوله ﷺ، وحبه للمسلمين، لذلك صلَّى عليه النبيُّ ﷺ حينما بلغه خبر وفاته؛ كما رواه البخاري (٣٨٧٧) ومسلم (٢٢٥١) .

(٤) أي خوفاً .

www.saida-islam.weebly.com

الْمَلِكُ، وَاَللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ . قَالَ : **أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ**[١] **الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ** . قَالَ : قُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ ؟ قَالَ : **وَيْحَكَ يَا عَمْرُو، أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ**[٢]، **فَإِنَّهُ وَاَللَّهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ** . قَالَ : قُلْتُ : أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الإِسْلامِ ؟ قَالَ : **نَعَمْ**، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلامِ ثُمَّ خَرَجْت إِلَى أَصْحَابِي، وَقَدْ حَالَ[٣] رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلامِي . ثُمَّ خَرَجْت عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْت : أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ : وَاَللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمِيسِمُ[٤]، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاَللَّهِ فَأُسْلِمَ، فَحَتَّى مَتَى؛ قَالَ : قُلْتُ : وَاَللَّهِ مَا جِئْتُ إِلاَّ لأُسْلِمَ .

قَالَ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلا أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **يَا عَمْرُو، بَايِعْ فَإِنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ**[٥] **مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا** ". قَالَ فَبَايَعْته، ثُمَّ انْصَرَفْتُ [٦].

---

(١) الناموس : هو الرجُلُ المطَّلعُ عَلَى باطِنِ أَمْرِكَ، المخْصُوصُ بما تَسْتُرُه مِن غيرِه. أَو هو صاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ، كما أَنّ الجَاسُوسَ صاحبُ سِرِّ الشَّرِّ. وأَهْلُ الكِتابِ يُسَمُّون جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام النّامُوسَ الأَكْبَرَ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّه بالوَحْيِ والغَيْبِ الَّذي لا يَطَّلِع عليهِمَا غيرُه؛ قاله أبو عبيد «النهاية» (٥/٢٤١) و«تاج العروس شرح القاموس» (١٦/٥٨٠).

(٢) فيه ما ينبغي لكل مسلم أن يكون عليه من بذل النصيحة للناس، وحبِّ هدايتهم، والسعي لإيصال الحق إليهم، مهما كان مبلغه من العلم، فربَّ مدعوٍّ يكون له شأنٌ في الإسلام لا يكون للداعي، والأجر كله للداعي الأول؛ فهذا النجاشي كان سبباً في إسلام عمرو بن العاص، ثم إن عمراً كان له أثر عظيم في الفتوحات الإسلامية، حيث فتح اللهُ على يديه مصر وهدى به وبمن معه أهلها .

(٣) أي تَحَوَّلَ وتَغَيَّرَ .

(٤) أي ظهرت علامة نبوته، وتبين صدق دعواه؛ والميسم : هو حديدة توسم بها الإبل .

(٥) أي يهدم .

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٧٧٧٧) والطبراني كما قال الهيثمي في المجمع (٩/٣٣٣) وقال : ورجالهما ثقات . وانظر «سيرة ابن هشام» (٢/٢٧٦ - ٢٧٩) .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ عَمْرٌو : ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْهَدَاةِ[١]، فَإِذَا رَجُلَانِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ، يُرِيدَانِ مَنْزِلًا وَأَحَدُهُمَا دَاخِلٌ فِي خَيْمَةٍ، وَالْآخَرُ قَائِمٌ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتَيْنِ، نَظَرْتُ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقُلْتُ : أَبَا سُلَيْمَانَ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا ﷺ، دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَعْمٌ[٢]، وَاللهِ لَوْ أَقَمْتُ لَأَخَذَ بِرِقَابِنَا كَمَا يُؤْخَذُ بِرَقَبَةِ الضَّبُعِ فِي مَغَارَتِهَا، قُلْتُ : وَأَنَا وَاللهِ قَدْ أَرَدْتُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَرَدْتُ الْإِسْلَامَ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَرَحَّبَ بِي، فَنَزَلْنَا جَمِيعًا فِي الْمَنْزِلِ، ثُمَّ رَافَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ رَجُلٍ لَقِيَنَا بِبِئْرِ أَبِي عَنَبَةَ يَصِيحُ: يَا رَبَاحُ يَا رَبَاحُ[٣]، فَتَفَاءَلْنَا بِقَوْلِهِ، وَسِرْنَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا، فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ : قَدْ أَعْطَتْ مَكَّةُ الْمَقَادَةَ[٤] بَعْدَ هَذَيْنِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَوَلَّى مُدْبِرًا إِلَى الْمَسْجِدِ سَرِيعًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِنَا، فَكَانَ مَا ظَنَنْتُ وَأَنَخْنَا[٥] بِالْحَرَّةِ، فَلَبِسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنا، وَنُودِيَ بِالْعَصْرِ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ وَإِنَّ لِوَجْهِهِ تَهَلُّلاً، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُرُّوا بِإِسْلَامِنَا، وَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي إِلَيْهِ حَيَاءً مِنْهُ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَمْ يَحْضُرْنِي مَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ :" **إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ**

---

(١) هو مكان بين مكة والطائف، عليها الطريق، على مسافة ١٨ كيلاً من الطائف. وقيل: هو مكان بين مكة وعسفان.

(٢) أي عقل وحزم . أي أن الرجال العقلاء قد أسلموا .

(٣) هو اسم مولى رسول الله ﷺ؛ والرباح في اللغة: هو النماء في التجر، وتفاءلوا باسمه لأنه سبب الرجاء لوجدان مطلوبهم.

(٤) أي أعطت القيادة للمسلمين واستسلمت بعد إسلام هذين . يقال : أعطاه مقادته : أي انقاد له .

(٥) أي أبركنا جمالنا . والحرة : هي أرض ذات حجارة سوداء. ومكانها بظاهر المدينة .

www.saida-islam.weebly.com

قَبْلَهَا"، فَوَاللهِ مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرِ حَزَبَهُ[(١)] مُنْذُ أَسْلَمْنَا [(٢)].

*****

(١) أي نابه وألَمَّ به؛ يعني لم يسوِّ بهما أحداً من أصحابه فيما أهمه من أمر، وذلك أنه كان يستشيرهما ويقدمهما في أمور الحرب والقتال. وكان ﷺ قد أمَّره على سريةٍ نحو الشام، وقال له :" **يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ فِي جَيْشٍ يُسَلِّمُكَ اللهُ ويُغَنِّمُكَ، وأَرْغَبُ لَكَ مِنَ المَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً** ". فبعثه إلى أخوال أبيه العاص بن وائل من بلي يدعوهم إلى الإسلام، ويستنفرهم إلى الجهاد، فشخص عمرو إلى ذلك الوجه، فكان قدومه إلى المدينة في صفر سنة ثمانٍ، ووجَّهه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ إلى السلاسل من بلاد قضاعة في ثلاثمائة – وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل – وكانت أم والد عمرو من بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إلى أرض بلي وعذرة، يستألفهم بذلك، ويدعوهم إلى الإسلام، ثم كتب إلى رسول الله ﷺ من تلك الغزوة يستمدُّه، فأمده بجيشٍ من مائتي فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشرف، فيهم أبو بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وأمَّر عليهم أبا عبيدة . وولَّى رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على عمان، فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ﷺ؛ وعمل لعمر وعثمان ومعاوية، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد ولاَّه بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن، ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وكتب إلى عمرو بن العاص، فسار إلى مصر، فافتتحها، فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر، فأقرَّه عثمان عليها أربع سنين أو نحوها، ثم عزله عنها، وولاَّها عبد الله بن سعد العامري . ثم ولاَّه معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مصر، فلم يزل عليها إلى أن مات بها أميراً عليها، وذلك في يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين . وكان له يوم مات تسعون سنة، ودفن بالمقطم من ناحية الفتح، وصلى عليه ابنه عبد الله، ثم رجع فصلى بالناس صلاة العيد، وولي مكانه . وكان أحد الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي والمكر والدهاء، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله قال : أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد، يريد خالق الأضداد. ولَمَّا حضرته الوفاة قال : **اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَلَمْ أَئْتَمِرْ، وزَجَرْتَنِي فَلَمْ أَنْزَجِرْ، ووَضَعَ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ الغِلِّ، وقَالَ : اللَّهُمَّ لَا قَوِيُّ فَأَنْتَصِرْ، ولَا بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرْ، ولَا مُسْتَكْبِرٌ بَلْ مُسْتَغْفِرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** . فلم يزل يردِّدها حتى مات . وروى أبو هريرة وعمارة بن حزم جميعاً عن النبي ﷺ أنه قال :" **ابْنَا العَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ** ". «الاستيعاب» (١/ ٣٦٦ –٣٦٩).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق الواقدي (٣/٣٤٥ – ٣٤٦) وانظر «البداية والنهاية» (٤/٢٣٨) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّادِسُ وَالعِشْرُوْنَ

دَعْوَةُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ أَفْرَاداً مِنْ قُرَيشٍ إِلَى الإِسْلامِ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيهِ ثُمَّ تَضْحِيَاتُهُ فِيْ سَبِيلِ الدَّعْوَةِ

عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِي مِنَ الْخَيْرِ مَا أَرَادَ، قَذَفَ فِي قَلْبِي حُبَّ الإِسْلامِ، وَحَضَرَنِي رُشْدِي، وَقُلْتُ : قَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَيْسَ مَوْطِنٌ أَشْهَدُهُ إِلاَّ أَنْصَرِفُ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنِّي مُوضِعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ[(١)]، وَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَظْهَرُ. فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُدَيْبِيَةِ، خَرَجْت فِي خَيْلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْفَانَ؛ فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ، وَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ آمِنًا مِنَّا، فَهَمَمْنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ لَمْ يَعْزِمْ لَنَا – وَكَانَتْ فِيهِ خِيرَةٌ –؛ فَاطَّلَعَ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِنَا مِنَ الْهُمُومِ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْعَصْرِ صَلاةَ الْخَوْفِ، فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنِّي مَوْقِعًا، وَقُلْتُ : الرَّجُلُ مُمْنُوعٌ؛ وَافْتَرَقْنَا، وَعَدَلَ عَنْ سَنَنِ خَيْلِنَا، وَأَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ، فَلَمَّا صَالَحَ قُرَيْشًا بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَدَافَعَتْهُ قُرَيْشٌ بِالرَّوَاحِ[(٢)]، قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟ أَيْنَ الْمَذْهَبُ؟ إِلَى النَّجَاشِيِّ ؟ فَقَدِ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا، وَأَصْحَابُهُ آمِنُونَ عِنْدَهُ؛ فَأَخْرُجُ إِلَى هِرَقْلَ ؟ فَأَخْرُجُ مِنْ دِينِي إِلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ فَأُقِيمُ مَعَ عَجَمٍ تَابِعًا، أَوْ أُقِيمُ فِي دَارِي فِيمَنْ بَقِيَ ؟ فَأَنَا عَلَى ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ[(٣)]، فَتَغَيَّبْت، فَلَمْ أَشْهَدْ دُخُولَهُ، وَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَخَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي فَكَتَبَ إِلَيَّ كِتَابًا فَإِذَا فِيهِ :

---

(١) أي أنه عامل في غير فائدة، مع أنه كان من رجال قريش المعدودين، فكان أشجعهم قلباً، عالماً بفنون الحرب، فارساً مغواراً، لا يرهب الموت، ولا تهوله كثرة الجيوش، لكنَّه مع ذلك أخفق في محاربة رسول الله ﷺ ولم تنفعه شجاعته، فكان يرى أنه في غير شيء إزاء رسول الله ﷺ كما اعترف بنفسه .

(٢) الأصحُّ بالرَّاح؛ وهذا مثل يضرب في المنع، تقول : دافعته بالرَّاح فاندفع؛ يعني زاحمته بالرجوع فقط .

(٣) تسمى عمرة القضية، وعمرة القضاء، وعمرة الصلح، وعمرة القصاص، وكانت في ذي القعدة سنة سبع، قال السهيلي في الروض الأنف : وسميت عمرة القضاء لأن النبي ﷺ قاضى قريشاً عليها، لا لأنه قضى العمرة التي صُدَّ عن البيت فيها، فإنها لم تكن فسدت بصدهم عن البيت، بل كانت عمرة تامة متقبلة، وهي معدودة في عمره ﷺ، وهنَّ أربعٌ .

www.saida-islam.weebly.com

"**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الإِسْلامِ، وَعَقْلُكَ عَقْلُكَ**(١)**، وَمِثْلُ الإِسْلامِ جَهِلَهُ أَحَدٌ ؟!**" وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْكَ، فَقَالَ :" **أَيْنَ خَالِدٌ ؟**" فَقُلْت : يَأْتِي اللَّهُ بِهِ . فَقَالَ :" **مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الإِسْلامَ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ**(٢) **وَجِدَّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ**(٣)". فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا فَاتَك، فَقَدْ فَاتَتْكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ .

قَالَ : فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الإِسْلامِ وَسَرَّنِي مَقَالَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ خَالِدٌ : وَأَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلادٍ ضَيِّقَةٍ جَدِيبَةٍ، فَخَرَجْت إِلَى بَلَدٍ أَخْضَرَ وَاسِعٍ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا (٤). فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ قُلْتُ : لأَذْكُرَنَّهَا لأَبِي بَكْرٍ . قَالَ : فَذَكَرْتُهَا؛ فَقَالَ : هُوَ مَخْرَجُكَ الَّذِي هَدَاكَ اللَّهُ لِلإِسْلامِ، وَالضِّيقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ . فَلَمَّا أَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ : مَنْ أُصَاحِبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ؟ فَلَقِيتُ

---

(١) أي عقلك هو عقلك الراجح المستقيم، الذي يزن الأمور بميزان صحيح؛ وهو مدح له وتعجب من تأخر إسلامه وعقله من الرشد بالمكان الرفيع؛ وفيه المدح للمدعو والثناء عليه؛ لأن ذلك آلف لقلبه. «حاشية البار بنكوي» (٢١٦/١).

(٢) نكى في العدو : قتل فيهم وجرح . والجِدُّ : هو الجهد .

(٣) فيه بيان رحمته ﷺ باهتمامه بالمدعوين مهما كانت سابقتهم في العداء للإسلام وأهله، ممَّا كان له أعظم الأثر عليهم في كسبهم إلى الصف المؤمن، فقد كانت لهذه الرسالة الرحيمة من الرحمة المهداة ﷺ أعظم الأثر في تحوُّل قلب خالد رضي الله عنه وتوجهه نحو الإسلام؛ وقد كان رسول الله ﷺ عليمًا في مخاطبة النفوس والتأثير عليها، فأدرك مواهب خالد في القيادة والزعامة، فوعد بتمكينه من ذلك وتقديمه على غيره في هذا المضمار، ومدح ﷺ سداد رأيه ورجاحة عقله، ونضج فكره، فانتزع ﷺ بهذه الكلمات كل الجوانب التي تجعل خالدًا يظل على الشرك الذي لم يكن مقتنعًا به إلاَّ بمقدار ما حصل له فيه من قيادة وتصدُّر، فلما كان ما هيأه له المشركون سيحصل له إذا دخل في الإسلام، واطمأنَّ بأنه لو أسلم لن يكون في آخر القائمة، ولن يكون مهملاً، شجَّعه ذلك على التغلب على وساوس الشيطان، ورجَّح ما اطمأنت إليه نفسه من الميل إلى الإسلام، فعزم على الدخول فيه؛ فكان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد قوة عظيمة للإسلام وأهله، وضعفًا للشرك وأهله . «السيرة النبوية للصلابي» بتصرف (٤٥٨/٢) .

(٤) أي رؤيا صادقة .

صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا وَهْبٍ، أَمَّا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ إِنَّمَا نَحْنُ أَكَلَةُ رَأْسٍ[١]، وَقَدْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ فَاتَّبَعْنَاهُ، فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَنَا شَرَفٌ . فَأَبَى أَشَدَّ الإِبَاءِ، وَقَالَ : لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي مِنْ قُرَيْشٍ مَا اتَّبَعْته أَبَدًا . فَافْتَرَقْنَا، وَقُلْتُ : هَذَا رَجُلٌ مَوْتُورٌ[٢]، يَطْلُبُ وِتْرًا، قَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَأَخُوهُ بِبَدْرٍ. فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ الَّذِي قُلْتُ لِصَفْوَانَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ صَفْوَانُ . قُلْتُ : فَاطْوِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ . قَالَ: لا أَذْكُرُهُ . وَخَرَجْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَأَمَرْتُ بِرَاحِلَتِي تُخْرَجُ إِلَيَّ، فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى أَنْ أَلْقَى عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لِي لَصَدِيقٌ، وَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أُرِيدُ؛ ثُمَّ ذَكَرْت مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ، فَكَرِهْتُ أُذَكِّرُهُ، ثُمَّ قُلْتُ : وَمَا عَلَيَّ وَأَنَا رَاحِلٌ مِنْ سَاعَتِي ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الأَمْرُ إِلَيْهِ؛ فَقُلْتُ : إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ، لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ ذَنُوبٌ مِنْ مَاءٍ لَخَرَجَ. قَالَ : وَقُلْتُ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قُلْتُ لِصَاحِبَيْهِ[٣]، فَأَسْرَعَ الإِجَابَةَ، وَقَالَ : لَقَدْ غَدَوْتُ الْيَوْمَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُوَ، وَهَذِهِ رَاحِلَتِي بِفَخٍّ[٤] مُنَاخَةٌ .

---

(١) أَكَلَةُ : جمع آكل؛ يعني أنهم قليل يشبعهم رأس واحد. وفي رواية البيهقي : كأضراس؛ ويضرب المثل بالأضراس للقلة لقلتها.

(٢) الموتور : هو من قتل له قتيل من أب أو أخ ولم يدرك بدمه. ويطلب وتراً : يطلب بثأره .

(٣) قلت : فيه ما تقدم من أنَّ دعوة المرءِ لِمَا يحبه ويعتقده أمر فطري لا يحتاج لبيان دلائل وفضائل، فمن اعتقد الخير في شيء وأحبه دعا غيره لهذا الاعتقاد وسعى للتحبيب فيه، وهذا ما حصل مع خالد بن الوليد وغيره من الصحابة ﷺ فور إسلامهم، بل إن خالداً ﷺ بدأ يدعو إلى الإسلام قبل أنْ يعلن إسلامه، فدعا صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وعثمان بن طلحة، فأجابه عثمان أوّلاً، ثم استجاب صفوان وعكرمة فيما بعد، وابْلَوْا جميعاً في الإسلام بلاءً حسناً كما سيأتي، وكان خالدٌ بعد ذلك سبباً في إسلام كثير من الأقوام والأفراد .

(٤) هو وادي مكة الأعظم، وصدره شعب بني عبد الله بن خالد بن أسيد «أخبار مكة للأزرقي» (٢٧٩/٢) وكان يسمى وادي الزاهر الكبير، كما يسمى اليوم الشهداء .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ : فَاتَّعَدْت[١] أَنَا وَهُوَ بِيَأْجُجَ[٢]، إِنْ سَبَقَنِي أَقَامَ، وَإِنْ سَبَقْته أَقَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَدْلَجْنَا[٣] سَحَرًا، فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّى الْتَقَيْنَا بِيَأْجَجَ، فَغَدَوْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْهَدَّةِ، فَنَجِدُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بِهَا؛ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ . فَقُلْنَا : وَبِكَ . قَالَ أَيْنَ مَسِيرُكُمْ ؟ قُلْنَا : مَا أَخْرَجَكَ ؟ قَالَ : فَمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمْ ؟ قُلْنَا : الدُّخُولُ فِي الإِسْلامِ، وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ. قَالَ : وَذَلِكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي . قَالَ : فَاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَأَنَخْنَا بِظَاهِرِ الْحَرَّةِ رِكَابَنَا.

فَأُخْبِرَ بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسُرَّ بِنَا، فَلَبِسْت مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي، ثُمَّ عَمِدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَقِيَنِي أَخِي، فَقَالَ : أَسْرِعْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُخْبِرَ بِكَ، فَسُرَّ بِقُدُومِكَ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ. فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ، فَطَلَعْتُ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ[٤]، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ؛ فَقُلْتُ : إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

فَقَالَ :" **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاك، قَدْ كُنْت أَرَى لَك عَقْلاً رَجَوْت أَلاَّ يُسَلِّمَكَ إلاَّ إِلَى الْخَيْرِ** ". قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا عَنِ الْحَقِّ[٥]، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **الإِسْلامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ** ". قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدٍ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِك** ".

---

(١) اتَّعَدَ القوم : وعد بعضهم بعضاً .

(٢) اسم مكان من مكة، وهو وادٍ من أودية مكة شمال عمرة التنعيم، ووادي التنعيم يصب في يأجج يقطعه الطريق إلى المدينة على عشرة أكيال من المسجد الحرام؛ يعرف اليوم باسم (ياج) «المعالم الأثيرة» .

(٣) أي سرنا من آخر الليل .

(٤) أي قلت : السلام عليك يا نبي الله .

(٥) صأي مخالفاً ورادّاً للحق مع معرفته .

قَالَ خَالِدٌ : وَتَقَدَّمَ عَمْرٌو وَعُثْمَانُ فَبَايَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ وَكَانَ قُدُومُنَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ؛ فَوَاَللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِ أَسْلَمْتُ يَعْدِلُ بِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِيمَا حَزَبَهُ[١].

---

(١) أخرجه الواقدي في مغازيه (٧٤٦ – ٧٤٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٦/١٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٤٩/٤ – ٣٥٢). وأخرج الواقدي في مغازيه ص (٨٧٣) وابن عساكر في تاريخه (٢٣٢/١٦) عن سعيد الهذلي، أن رسول الله ﷺ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَّى يَهْدِمُهَا، فَخَرَجَ خَالِدٌ فِي ثَلاثِينَ فَارِسًا مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا وَهَدَمَهَا .. ثُمَّ قَالَ خَالِدٌ : أَيْ رَسُولَ اللّهِ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَكْرَمَنَا وَأَنْقَذَنَا مِنَ الْهَلَكَةِ، إِنّي كُنْت أَرَى أَبِي يَأْتِي إِلَى الْعُزّى بِحِتْرِهِ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ وَالْغَنَمِ فَيَذْبَحُهَا لِلْعُزّى، وَيُقِيمُ عِنْدَهَا ثَلاثًا ثُمّ يَنْصَرِفُ إِلَيْنَا مَسْرُورًا، فَنَظَرْت إِلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَبِي، وَذَلِكَ الرّأْيُ الّذِي كَانَ يُعَاشُ فِي فَضْلِهِ كَيْفَ خُدِعَ حَتّى صَارَ يَذْبَحُ لِحَجَرٍ لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يَضُرّ وَلا يَنْفَعُ . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :" **إنّ هَذَا الأَمْرَ إلَى اللّهِ، فَمَنْ يَسّرَهُ لِلْهُدَى تَيَسّرَ، وَمَنْ يَسّرَهُ لِلضّلالَةِ كَانَ فِيهَا** ". وروى أحمد في مسنده (٤٣) عن وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ ﷺ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ عَقَدَ لِخَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ**". قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجالهما ثقات. وأخرج البخاري (٣٧٥٧) عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ : "**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ". وأخرج البخاري (٤٢٦٥) عن قيس بن أبي حازم، قال : سمعت خالداً يقول : لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ . وأخرج البيهقي في سننه (١٦٨٤٩) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ أَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، وَيُنَبِّئَهُمْ بِالَّذِي لَهُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِمْ، وَيَحْرِصَ عَلَى هُدَاهُمْ، فَمَنْ أَجَابَهُ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، أَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ، كَانَ يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ، بِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ، فَإِذَا أَجَابَ الْمَدْعُوُّ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَصَدَقَ إِيمَانُهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ حَسِيبَهُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ مِمَّنْ يَرْجِعُ عَنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ . وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٣٤٤/٣) عن صالح ابن كيسان : أَنَّ خَالداً نَزَلَ الْحِيرَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُهُمْ مَعَ قَبِيصَةَ بْنِ إِيَاسِ بْنِ حَيَّةَ الطَّائِيِّ– وَكَانَ أَمَّرَهُ عليها كسرى بعد النعمان بن الْمُنْذِرِ– فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ وَلأَصْحَابِهِ: أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى =

www.saida-islam.weebly.com

=الإسْلامِ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَيْهِ فَأَنْتُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَكُمْ مَا لَهُمْ وَعَلَيْكُمْ مَا عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فَإِنْ أَبَيْتُمُ الْجِزْيَةَ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ، جَاهَدْنَاكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ إِيَاسٍ: مَا لَنَا بِحَرْبِكَ مِنْ حَاجَةٍ، بَلْ نُقِيمُ عَلَى دِينِنَا، وَنُعْطِيكَ الْجِزْيَةَ فَصَالَحَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/٣٩٩) عن الواقدي وغيره قصة دعوته ﷺ لجرجة قائد الروم، وإسلامه معه أثناء المعركة، فعلَّمهُ الإِسْلامَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فجعلوا يضربون في الروم، حتى كان الْفَتْح، واستشهد جرجة . وأخرج أبو نعيم في المعرفة (٢٣٩٢) عن خُرَيْمِ بْنِ أَوْسٍ، قال : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْدَى لِلْعَرَبِ مِنْ هُرْمُزَ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ مُسَيْلِمَةَ وَأَصْحَابِهِ أَقْبَلْنَا إِلَى نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ، فَلَقِينَا هُرْمُزَ بِكَاظِمَةٍ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، فَبَرَزَ لَهُ خَالِدٌ وَدَعَا الْبِرَازَ، فَبَرَزَ لَهُ هُرْمُزُ، فَقَتَلَهُ خَالِدٌ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ بِذَلِكَ فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ، فَبَلَغَتْ قَلَنْسُوَةُ هُرْمُزَ مِائَةَ أَلْفٍ، وَكَانَتِ الْفُرْسُ إِذَا شَرَفَ فِيهَا رَجُلٌ جَعَلُوا قَلَنْسُوَتَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وأخرج الواقدي في مغازيه (٣/٨٨٤) عن عبد الملك بن أبي بكر، قال: أنَّ خالداً خَرَجَ مَعَ النبي ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ عَلَى مُقَدّمَتِهِ، وَإِلَى تَبُوكَ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُكَيْدِرٍ وَدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، فَسَبَى مَنْ سَبَى ثُمّ صَالَحَهُمْ، ولقد بعثه رسول الله ﷺ إِلَى بَلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ إِلَى نَجْرَانَ أَمِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ، وَلَقَدْ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ، فَلَمّا حَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ أَعْطَاهُ نَاصِيَتَهُ، فَكَانَتْ فِي مُقَدّمِ قَلَنْسُوَتِهِ، فَكَانَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلّا هَزَمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَلَقَدْ قَاتَلَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَوَقَعَتْ قَلَنْسُوَتُهُ. فَجَعَلَ يَقُولُ: الْقَلَنْسُوَةُ! الْقَلَنْسُوَةُ! فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ، عَجَبًا لِطَلَبِك الْقَلَنْسُوَةَ وَأَنْتَ فِي حَوْمَةِ الْقِتَالِ! فَقَالَ: إنّ فِيهَا نَاصِيَةَ النّبِيّ ﷺ، وَلَمْ أَلْقَ بِهَا أَحَدًا إلّا وَلّى. وَلَقَدْ تُوُفّيَ خَالِدٌ يَوْمَ تُوُفّيَ، وَهُوَ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَبْرُهُ بِحِمْصٍ، فَأَخْبَرَنِي مَنْ غَسّلَهُ وَحَضَرَ مَوْتَهُ، وَنَظَرَ إلَى مَا تَحْتَ ثِيَابِهِ، مَا فِيهِ مَصَحّ، مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بسيف أَوْ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةٍ بِسَهْمٍ. وفي رواية عن جعفر بن عبد الله بن الحكم أنه قال : فَلم أَشْهَدْ قِتَالاً وهِيَ – أي القلنسوة – مَعِي إِلَّا رُزِقْتُ النُّصرَةَ . قال الهيثمي : رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجالهما رجال الصحيح، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري سمع من خالد أم لا. وكان ﷺ شديد الحب للجهاد في سبيل الله متفرغاً له؛ فقد أخرج أبو يعلى في مسنده (٧١٨٥) عن قيس بن أبي حازم قال : قال خالد بن الوليد : **مَا لَيْلَةٌ تُهْدَى إِلَى بَيْتِي فِيهَا عَرُوسٌ، أَنَا لَهَا مُحِبٌّ وَأُبَشَّرُ فِيهَا بِغُلَامٍ بِأَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْجَلِيدِ فِي سرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُصَبِّحُ بِهَا الْعَدُوَّ**. قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح . وعنه قال : سمعتُ خالداً يقول : **مَنَعَنِي الجِهَادُ كَثِيراً مِنَ القِرَاءَةِ** . ومن كراماته ﷺ ما رواه أبو يعلى في مسنده (٧١٨٦) عن أبي السفر قال : نَزَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحِيرَةَ عَلَى أَمِيرِ بَنِي الْمَرَازِبَةِ، فَقَالُوا لَهُ : احْذَرِ السُّمَّ، لَا تَسْقِيكَهُ الْأَعَاجِمُ، فَقَالَ : **ائْتُونِي بِهِ**، فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ اقْتَحَمَهُ، وَقَالَ : **بِسْمِ اللَّهِ** . فَلَمْ=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=يَضُرَّهُ شَيْئًا. قال الهيثمي : رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح وهو متصل، ورجالهما ثقات إلاَّ أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد، والله أعلم . وروى ابن أبي الدنيا في كتابه «مجابو الدعوة» (٥٣) بإسناد صحيح عن خيثمة قال : أَتَى خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ رَجُلٌ مَعَهُ زِقُّ خَمْرٍ. فقال : **اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَسَلاً** . فَصَارَ عَسَلاً . وفي رواية له من هذا الوجه : مَرَّ رَجُلٌ بِخَالِدٍ ومَعَهُ زِقُّ خَمْرٍ . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : خَلٌّ . قَالَ : جَعَلَهُ اللهُ خَلاًّ . فَنَظَرُوا، فَإِذَا هُوَ خَلٌّ؛ وقَدْ كَانَ خَمْراً . وأخرج ابن المبارك في كتاب «الجهاد» (٥٣) عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي، وَمَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ بِفَرَسِي، وَالسَّمَاءُ تَهُلُّنِي، مُنْتَظِرٌ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ : إِذَا أَنَا مِتُّ فَانْظُرُوا سِلَاحِي وَفَرَسِي فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي وائل بنحوه مختصراً. قال الهيثمي : وإسناده حسن. وكَانَ ﷺ قَدِ احْتَبَسَ أَدْرُعَهُ وأَعْتَادَهُ في سَبِيلِ اللهِ، وشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ :" **أَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُم تَظْلِمُونَ خَالِداً؛ قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وأَعْتَادَهُ في سَبِيلِ اللهِ** ". وكان خالد ﷺ يدخل مع رسول الله ﷺ بيته وفيه ميمونة أم المؤمنين وهي خالته، ويأكل في بيت النبي ﷺ؛ وأمَّره أبو بكر على قتال أهل الردة، وفتح العراق، والشام، فكان من أعظم الناس غناء في قتال العدو. وأخرج الواقدي عَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدًا الْوَفَاةُ بَكَى، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا زحفاً، وما في جسدي شبرٌ إلَّا وفيه ضَرْبَةُ سَيفٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ. «البداية والنهاية» (١١٤/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّابِعُ وَالعِشْرُوْنَ

دَعْوَةُ أُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ زَوْجَهَا عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِيْ جَهْلٍ فَوْرَ إِسْلامِهَا وَدُخُولُهُ الإِسْلامِ بِدَعْوَتِهَا وَتَفَرُّغُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِخِدْمَةِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيهِ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِيْ وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلاَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ(١)؛ وَقَالَ :" **اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ : عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خطَلٍ(٢)، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ(٣)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ ابْنِ أَبِي السَّرْحِ(٤)**"؛ .. وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ؛ فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ : أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا . فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ

---

(١) قال البلقيني : المرأتان هما القينتان – أي المغنّيتان، وكانتا لابن أبي سرح – قتلت إحداهما بمكة يوم الفتح وهي أرنب، وتدعى قريبة، والأخرى استؤمن لها فآمنت وعاشت دهرًا، واسمها فرتنا، ويقال: قرتنا. «إتحاف الخيرة المهرة» (٥/٩١).

(٢) جاء في هذه الرواية للحديث : فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ معلق بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ .

(٣) جاء في هذا الحديث : وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ، فَقَتَلُوهُ. وقال الواقدي : وَكَانَ جُرْمُهُ أَنّ أَخَاهُ هَاشِمَ بْنَ صُبَابَةَ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْمُرَيْسِيعَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ خَطَأً وَلا يَدْرِي، فَظَنّ أَنّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَدِمَ مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ، فَقَضَى لَهُ ﷺ بِالدّيَةِ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَأَخَذَهَا وَأَسْلَمَ؛ ثُمّ عَدَا عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ الْعُمَرِيّ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ مُرْتَدّا كَافِرًا يَقُولُ شِعْرًا. وَيُقَالُ: قَتَلَهُ أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ رَهْطِ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ، وَهُوَ لا يَشْعُرُ بِهِ وَذَلِكَ أَنّهُ كَانَ فِي رَهْجِ الْعَدُوّ فَخَرَجَ يَطْلُبُهُمْ فَرَجَعَ وَلَقِيَهُ أَوْسٌ وَهُوَ يَظُنّ أَنّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَتَلَهُ فَقَضَى النّبِيّ ﷺ بِدِيَتِهِ عَلَى رَهْطِ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ – وَهَذَا أَثْبَتُ الْقَوْلَيْنِ؛ فَأَهْدَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ دَمَهُ .

(٤) روى البيهقي في سننه (١٦٦٥٧) عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : إِنَّمَا أَمَرَ بِابْنِ أَبِي سَرْحٍ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيَ، فَرَجَعَ مُشْرِكًا وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَطَلٍ لأَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانَ مَعَهُ مَوْلًى يَخْدُمُهُ، وَكَانَ مُسْلِمًا فَنَزَلَ مَنْزِلاً، فَأَمَرَ الْمَوْلَى أَنْ يَذْبَحَ تَيْسًا وَيَصْنَعَ لَهُ طَعَامًا، وَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ، وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا فَعَدَا عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا، وَكَانَتْ لَهُ قَيْنَةٌ وَصَاحِبَتُهَا، فَكَانَتَا تُغَنِّيَانِ بِهِجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا مَعَهُ .

يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الإِخْلاصُ لا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ؛ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ [١].

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ أَنَّ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَكَانَتْ تَحْتَ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، فَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَهَرَبَ زَوْجُهَا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْإِسْلاَمِ حَتَّى قَدِمَ الْيَمَنَ، فَارْتَحَلَتْ أُمُّ حَكِيمٍ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ بِالْيَمَنِ، فَدَعَتْهُ إِلَى الْإِسْلاَمِ، فَأَسْلَمَ، وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبَ إِلَيْهِ فَرَحاً، وَمَا عَلَيْهِ رِدَاءٌ حَتَّى بَايَعَهُ. فَثَبَتَا عَلَى نِكَاحِهِمَا ذلِكَ [٢].

وعن أُمِّ حَكِيمٍ امْرَأَةِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْك إلَى الْيَمَنِ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمِّنْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **هُوَ آمِنٌ** ". فَخَرَجَتْ أُمُّ حَكِيمٍ فِي طَلَبِهِ، .. وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ وَقَدِ انْتَهَى إلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَجَعَلَ نُوَتِيٌّ[٣] السَّفِينَةَ يَقُولُ لَهُ : أَخْلِصْ . فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْ : لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ . قَالَ عِكْرِمَةُ : مَا هَرَبْت إلاَّ مِنْ هَذَا . فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا الْكَلامِ، فَجَعَلَتْ تُلِحُّ إلَيْهِ[٤]، وَتَقُولُ : يَا ابْنَ عَمِّ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ، وَأَبَرِّ النَّاسِ، وَخَيْرِ النَّاسِ، لا تُهْلِكْ نَفْسَك . فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ، فَقَالَتْ : إنِّي قَدِ اسْتَأْمَنْت لَكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ أَنْتِ فَعَلْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ، أَنَا كَلَّمْته فَأَمَّنَكَ . فَرَجَعَ مَعَهَا، .. فَلَمَّا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٩١٣) والنسائي في سننه (٤٠٦٧) ورواه أبو داوود في سننه بنحوه مختصراً (٢٦٥٨) والحاكم في المستدرك (٢٣٢٩) وقال :صحيح على شرط مسلم وصحَّحه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى والبزار ورجاهما ثقات .

(٢) رواه موطأ مالك برقم (٤٤) ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن (٧/ ١٧٨) و«دلائل النبوة» (٥/ ٩٨). وأخرج نحوه ابن إسحاق عن الزهري «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٨)، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري في التاريخ (٦٣/٣) .

(٣) هو الملَّاح الذي يدير السفينة في البحر خاصة . «القاموس المحيط» ص (٢٠٧) .

(٤) أي تليح إليه، بمعنى تحرك إليها ثوبها ليرجع من مكان بعيد .

www.saida-islam.weebly.com

دَنَا مِنْ مَكَّةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ :" **يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلا تَسُبُّوا أَبَاهُ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ**(١)". قَالَ : وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ امْرَأَتَهُ يُجَامِعُهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَقُولُ : إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ . فَيَقُولُ : إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكِ مِنِّي لأَمْرٌ كَبِيرٌ .

فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عِكْرِمَةَ وَثَبَ إِلَيْهِ – وَمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رِدَاءٌ – فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ(٢)، ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَزَوْجَتُهُ مُنْتَقِبَةٌ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **صَدَقَتْ، فَأَنْتَ آمِنٌ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِلَى مَا تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ :" **أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ – وَتَفْعَلَ وَتَفْعَلَ**؛ حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلامِ . فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاَللَّهِ مَا دَعَوْتَ إِلاَّ إِلَى الْحَقِّ وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ؛ قَدْ كُنْتَ وَاَللَّهِ فِينَا قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقُنَا حَدِيثًا، وَأَبَرُّنَا بِرًّا . ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (٣). فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي خَيْرَ شَيْءٍ أَقُولُهُ . قَالَ :" **تَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** ". قَالَ عِكْرِمَةُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **تَقُولُ : أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَاهِدٌ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لا تَسْأَلُنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلاَّ أَعْطَيْتُكَهُ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ

---

(١) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٣٣/١) أنَّ عكرمة لَمَّا أسلم شكا قولهم : عكرمة بن أبي جهل. فناهم رسول الله ﷺ أن يقولوا عكرمة بن أبي جهل وقال :" **لا تُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوَاتِ** ".

(٢) فيه بيان شدة رحمة النبي ﷺ بالناس، وشدة فرحه بهدايتهم، مهما كانت مخالفتهم وعداوتهم له قبل ذلك، تحقيقاً لقوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك (٥٠٦٠) عن عائشة ؓ : أن رسول الله ﷺ قال :" **رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ أَبَا جَهْلٍ أَتَانِي فَبَايَعَنِي** "، فَلَمَّا أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : قَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُؤْيَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ إِسْلامُ خَالِدٍ، فَقَالَ :" **لَيَكُونَنَّ غَيْرُهُ** ". حَتَّى أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَكَانَ ذَلِكَ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ وَضَعْتُ فِيهِ[١]، أَوْ مَقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ، أَوْ كَلامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ، أَوْ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ، فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عِرْضٍ فِي وَجْهِي، أَوْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ : رَضِيت يَا رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : أَمَا وَاَللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أُنْفِقُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ[٢]، وَلا قِتَالاً كُنْتُ أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إلاَّ أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [٣] .

---

(١) أي حَمَلْتُ الدابةَ على سرعة السير، أي للشرِّ .

(٢) فيه أن الدعوة إلى الله هي أعظم قوة في أيدي المسلمين، حيث تُغَيِّرُ وجهةَ قلوب الناس، من المخلوق إلى الخالق، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الأسباب المادية إلى الأعمال الصالحة، فتتغير تبعاً لذلك وجهة إنفاق المال من الإنفاق في سبيل الباطل والصدِّ عن سبيل الله، إلى الإنفاق في سبيل الله لإعلاء كلمة الله؛ فالدعوة توظِّف طاقات أهل الباطل في خدمة الحق وأهله؛ لذلك كانت الدعوة إلى الله مُقَدَّمَةً على القتال، ومقصودةً لذاتها، كما قال ﷺ :" **فَوَاللهِ لَئَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** ".

(٣) وقد كان له رضي الله عنه في قتال المشركين وأهل الردة أثر عظيم؛ واستعمله رسول الله ﷺ عام حجَّ على هوازن يصدقها، واستعمله أبو بكر رضي الله عنه على جيش، وسيَّره إلى أهل عمان، وكانوا ارتدوا فظهر عليهم . ثم وجَّهه أبو بكر أيضا إلى اليمن، فلما فرغ من قتال أهل الردة سار إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكر مع جيوش المسلمين، فلما عسكروا بالجرف على ميلين من المدينة خرج أبو بكر يطوف في معسكرهم، فبصر بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعدة ظاهرة، فانتهى إليه فإذا بخباء عكرمة، فسلم عليه أبو بكر، وجزاه خيراً، وعرض عليه المعونة، فقال : لا حاجة لي فيها معي ألفا دينار، فدعا له بخير، فسار إلى الشام، ولزم الشام مجاهداً حتى قتل يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنهما . وقيل: استشهد يوم أجنادين . وقيل : إنه قتل يوم مرج الصفر، وكانت أجنادين ومرج الصفر في عام واحد سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . وروي عنه أنه قال يوم اليرموك : **قَاتَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَفِرُّ مِنْكُمُ اليَومَ**؛ ثم نادى : **مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى المَوتِ** ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم؛ فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحةً وقتلوا إلاَّ ضرار بن الأزور . وذكر الزهري : أن عكرمة بن أبي جهل يومئذ — =

ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا [١] .

وقَالَ سُهَيلُ بنُ عَمْرٍو يَومَ حُنَينٍ : لا يَجْتَبِرُهَا[٢] مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ . قَالَ : يَقُولُ لَهُ عِكْرِمَةُ: هَذَا لَيْسَ بِقَوْلٍ، وَإِنَّمَا الأَمْرُ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَيْسَ إِلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، إِنْ أُدِيلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَإِنَّ لَهُ الْعَاقِبَةَ غَدًا . قَالَ : يَقُولُ سُهَيْلٌ : إِنَّ عَهْدَكَ بِخِلافِهِ لَحَدِيثٌ . قَالَ : يَا أَبَا يَزِيدَ إِنَّا كُنَّا وَاَللَّهِ نُوضِعُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، وَعُقُولُنَا عُقُولُنَا . نَعْبُدُ الْحَجَرَ لا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ [٣] .

*****

=يعني يوم فحل – كان أعظم الناس بلاءً، وأنه كان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه؛ فقيل له: اتق الله وارفق بنفسك . فقال : كنت أجاهد بنفسي عن اللَّات والعزَّى فأبذلها لها، أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله ؟! لا والله أبداً . قالوا : فلم يزدد إلاَّ إقداماً حتى قتل رحمه الله تعالى . «أسد الغابة» ص (٧٨١ – ٧٨٣). و«الاستيعاب» (٣٣٣/١) .

(١) أخرجه الواقدي في المغازي ص (٨٥٠) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/٤١) والحاكم في المستدرك مختصراً (٥٠٥٧) .

(٢) ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦٢٦/٣) عن مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال: أبشر بهزيمة محمد وأصحابه، فوالله لا يجتبرونها أبداً . يعني أن محمداً ﷺ وأصحابه ﷺ لا يصلحون ما فقدوا بهذه الهزيمة ولا يستدركونها .

(٣) أخرجه الواقدي في مغازيه ص (٩١١ – ٩١٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُوْنَ

بَعْثُهُ ﷺ أَبَا أُمَامَةَ لِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى اللهِ ﷻ بَعْدَ إِسْلامِهِ

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الباهلي ﷺ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَاهِلَةَ، فَأَتَيْتُهُمْ وَهُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَرَحَّبُوا بِي وَأَكْرَمُونِي، وَقَالُوا : تَعَالَ فَكُلْ[١]، فَقُلْتُ : إِنِّي جِئْتُ لِأَنْهَاكُمْ عَنْ هَذَا الطَّعَامِ، وَأَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَتَيْتُكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِ، فَكَذَّبُونِي وَزَبَرُونِي[٢]، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا جَائِعٌ ظَمْآنُ قَدْ بَرَانِي جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَنِمْتُ فَأُتِيتُ فِي مَنَامِي بِشَرْبَةِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ وَرُوِيتُ وَعَظُمَ بَطْنِي، فَقَالَ الْقَوْمُ : أَتَاكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِكُمْ وَسَرَاتِكُمْ[٣] فَرَدَدْتُمُوهُ ! اذْهَبُوا إِلَيْهِ وَأَطْعِمُوهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مَا يَشْتَهِي، فَأَتَوْنِي بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَقُلْتُ : لَا حَاجَةَ لِي فِي طَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، فَانْظُرُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا، فَنَظَرُوا فَآمَنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَرَيْتُهُمْ بَطْنِي، فَأَسْلَمُوا عَنْ آخِرِهِمْ [٤] .

وفي رِوَايَةٍ عَنْهُ ﷺ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى قَوْمِي أَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ ﷻ، وَأَعْرِضُ عَلَيْهِمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ فَأَتَيْتُهُمْ، وَقَدْ سَقَوْا إِبِلَهُمْ وَاحْتَلَبُوهَا وَشَرِبُوا، فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالُوا :

---

(١) قلت : ترحيب قومه به وإكرامهم إياه، ودعوتهم إياه على الطعام دليل على قرب عهده بهم، وحدثان عهده بالإسلام، ومع هذا لم يمنع رسولَ اللهِ ﷺ من أن يبعثه داعياً إلى قومه .

(٢) يعني : انتهروني .

(٣) أي : سادتكم .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٨٠٩٩) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٢٣٤) وقال الهيثمي : أخرجه الطبراني بإسنادين وإسناد الأولى حسن، فيها: أبو غالب وقد وُثِّق . قلت : وممن وثَّقه الدارقطني، وقال ابن معين: صالح الحديث. وقال ابن عدي: ولم أر في أحاديثه حديثاً منكراً وأرجو أنه لا بأس به . وحسَّن الترمذي بعض أحاديثه وصحَّح بعضها، وقال البرقاني عن الدارقطني : أبو غالب حزور بصري يعتبر به، ووثَّقه موسى بن هارون. «تهذيب التهذيب» باختصار (١٢/١٩٦) وقال عنه الحافظ في «التقريب» : صدوق يخطىء من الخامسة .

www.saida-islam.weebly.com

مَرْحَبًا بِالصُّدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ، قَالُوا : بَلَغَنَا أَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، قُلْتُ : لَا وَلَكِنْ آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْكُمْ أَعْرِضُ عَلَيْكُمُ الْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ . فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ فَجَاءُوا بِقَصْعَةِ دَمٍ، فَوَضَعُوهَا وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا يَأْكُلُونَهَا، قَالُوا : هَلُمَّ يَا صُدَيُّ، قُلْتُ : وَيْحَكُمْ، إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ مَنْ يُحَرِّمُ هَذَا عَلَيْكُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، قَالُوا : وَمَا قَالَ ؟ قُلْتُ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ **[المائدة: ٣]** . فَجَعَلْتُ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَأْبَوْنَ، فَقُلْتُ لَهُمْ : وَيْحَكُم ائْتُونِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، فَإِنِّي شَدِيدُ الْعَطَشِ، قَالَ : وَعَلَيَّ عِمَامَتِي، قَالُوا : لَا، وَلَكِنْ نَدَعُكَ تَمُوتُ عَطَشًا، قَالَ : فَاعْتَمَمْتُ وَضَرَبْتُ رَأْسِي فِي الْعِمَامَةِ، وَنِمْتُ فِي الرَّمْضَاءِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي بِقَدَحٍ زُجَاجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَفِيهِ شَرَابٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ أَلَذَّ مِنْهُ، فَأَمْكَنَنِي مِنْهَا فَشَرِبْتُهَا، فَحَيْثُ فَرَغْتُ مِنْ شَرَابِي اسْتَيْقَظْتُ، وَلَا وَاللهِ مَا عَطِشْتُ، وَلَا عَرَفْتُ عَطَشًا بَعْدَ تِيكَ الشَّرْبَةِ (١) (٢) .

---

(١) فيه إثبات كرامات الأولياء، وأن الداعي إلى الله مكرم من قِبَل الله ﷻ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨٠٧٤) والحاكم في المستدرك (٦٧٠٥) وقال الهيثمي: وفيه بشير بن شريح، وهو ضعيف اه. وهذا كان دأب النبي ﷺ فيمن أسلم معه : أنْ يبعثه إلى قومه داعياً. وأخرج الطبراني في الكبير (٤٥٦٢) عن ابن إسحاق أنَّ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ الْجُذَامِيَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هُدْنَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، فَأَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ غُلَامًا، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ كِتَابًا فِيهِ :" **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ لِرَفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ عَامَّةً، وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَمَنْ أَقْبَلَ فَفِي حِزْبِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ** ". فَلَمَّا قَدِمَ رِفَاعَةُ إِلَى قَوْمِهِ أَجَابُوا وَأَسْلَمُوا . وأخرج ابن سعد في الطبقات (٢٤٩/١) عَنْ أَبِي النُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَافِدًا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَنَزَلْنَا نَاحِيَةً مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجْنَا نَؤُمُّ الْمَسْجِدَ، فَنَجِدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى جَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قُلْنَا : مِنْ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ . فَأَسْلَمْنَا وَبَايَعْنَا ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا، فَأَمَرَ بِنَا فَأُنْزِلْنَا وَضُيِّفْنَا، فأقمنا ثلاث، ثُمَّ جِئْنَاهُ نُوَدِّعُهُ فَقَالَ : أَمِّرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ . وَأَمَرَ بِلالا فَأَجَازَنَا بِأَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ . وَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الإِسْلامَ .

الحَدِيْثُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُوْنَ

بَعْثُهُ ﷺ زِيَادَ بْنَ الحَارِثِ الصُّدَائِيَّ لِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى اللهِ بَعْدَ إِسْلامِهِ

عن زِيَادِ بْنِ الحَارِثِ الصُّدَائِيِّ رضي الله عنه قال : أَتَيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ فَبَايَعتُهُ على الإِسلام، فَأُخبِرتُ أَنَّه قدْ بَعَثَ جَيشاً إِلى قَومي، فَقُلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، أردُدِ الجَيشَ وأَنَا لَكَ بِإِسْلَامِ قَومِي وطَاعَتِهم . فقال لي :" **اذْهَبْ فَرُدَّهُمْ** ". فقلت : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ رَاحِلَتِي قَدْ كَلَّت، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً فَرَدَّهُم . قَالَ الصُّدَائِيُّ : وكَتَبْتُ إِلَيهم كِتَاباً، فَقَدِمَ وَفدُهُم بِإِسلَامِهِم، فَقَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **يَا أَخَا صُدَاءٍ، إِنَّكَ لَمُطَاعٌ في قَومِكَ** ". فَقُلتُ : بَلِ اللهُ هَدَاهُم للإِسلَامِ [(١)(٢)] .

---

(١) جاء وفد صُدَاء عقب انصراف رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة سنة ٨هـ، وذلك أن رسول الله ﷺ هيّأ بعثاً من أربعمائة من المسلمين، وأمرهم أن يطؤوا ناحية من اليمن فيها صُدَاء، وبينما ذلك البعث معسكر بصَدْرِ قَنَاة، علم به زياد بن الحارث الصدائي، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : جئتك وافداً على مَنْ ورائي، فاردد الجيش وأنا لك بقومي، فرد الجيش من صدر قناة، وجاء الصدائي إلى قومه فرغبهم في القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عليه خمسة عشر رجلاً منهم، وبايعوه على الإسلام، ثم رجعوا إلى قومهم، فدعوهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع . «زاد المعاد» (٣/٥٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٢٨٥) والبيهقي في الدلائل (٥/٣٥٥) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٢٤٧) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠٢٣) وقال : هذا حديث حسن. وقال الهيثمي : وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف، وقد وثّقه أحمد بن صالح، وردَّ على من تكلم فيه، وبقيّة رجاله ثقاتٌ. وقال فيه ابن حجر في «لسان الميزان» : وَثَّقَهُ يحيى بن سعيد الْقطَّان، وقَالَ البُخَارِيّ هُوَ مقارب الحَدِيث. وقال عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» : الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو أَيُّوْبَ الشَّعْبَانِيُّ، الإِفْرِيْقِيُّ، قَاضِي إِفْرِيْقِيَةَ، وَعَالِمُهَا، وَمُحَدِّثُهَا، عَلَى سُوءٍ فِي حِفْظِه. وقال في «الكاشف» : وقال الترمذي : رأيت البخاري يقوّي أمره، ويقول: هُوَ مقارب الحديث. قُلْتُ – أي الذهبي –: وأيضًا فلم يذكره فِي كتاب «الضعفاء» لَهُ. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وهذا الحديث له شواهد في سنن أبي داوود والترمذي وابن ماجه. قلت : وقد أورد ابن القيم في «زاد المعاد» قصته بطولها (٣/٥٨٠)، واستنبط منها فوائد كثيرةً قيِّمةً .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّلاثُونَ

بَعْثُهُ ﷺ عَمْرَو بْنَ مُرَّةَ الجُهَنِيَّ لِدَعْوَةِ قَومِهِ إلى اللهِ ﷻ فورَ إِسْلامِهِ بَعْدَ اسْتِئْذَانِهِ مِنْهُ

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ ﷺ، قَالَ : خَرَجْتُ حَاجًّا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ وَأَنَا بِمَكَّةَ نُورًا سَاطِعًا مِنَ الْكَعْبَةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى جِبَالِ يَثْرِبَ أَشْعَرَ جُهَيْنَةَ[١]، فَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي النُّورِ وَهُوَ يَقُولُ : انْقَشَعَتِ الظَّلْمَاءُ، وَسَطَعَ الضِّيَاءُ، وَبُعِثَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَضَاءَ إِضَاءَةً أُخْرَى حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الْحِيرَةِ وَأَبْيَضِ الْمَدَائِنِ[٢]، فَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي النُّورِ وَهُوَ يَقُولُ : ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ، وَوُصِلَتِ الْأَرْحَامُ، فَانْتَبَهْتُ فَزِعًا وَقُلْتُ لِقَوْمِي: وَاللَّهِ لَيَحْدُثَنَّ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ حَدَثٌ، وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا رَأَيْتُ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بِلَادِنَا، قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ قَدْ بُعِثَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فَقَالَ لِي :" **يَا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ، أَنَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ إِلَى الْعِبَادِ كَافَّةً، أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَآمُرُهُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِن اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، فَمَنْ أَجَابَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ، فَآمِنْ بِاللَّهِ يَا عَمْرُو يُؤَمِّنْكَ اللَّهُ مِنْ هَوْلِ جَهَنَّمَ** "، قُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَآمَنْتُ بِكُلِّ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَأَنْ أُرْغِمَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْوَامِ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ أَبْيَاتًا، قُلْتُ حِينَ سَمِعْتُ بِهِ وَكَانَ لَنَا صَنَمٌ، وَكَانَ أَبِي سَادِنًا لَهُ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَكَسَرْتُهُ، ثُمَّ لَحِقْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ .... وَإِنَّنِي لِآلِهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ

وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارَ مُهَاجِرًا ... إِلَيْكَ أَجُوزُ الْقَوْزَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ[٣]

---

(١) هو جبل جهينة بين المدينة والشام ينحدر على ينبع. «معجم البلدان لياقوت الحموي» (١/١٩٨) .

(٢) هو قصر كسرى .

(١) الدَّكْدَكُ والدَّكْدَاكُ : مَا تَلَبَّدَ مِنَ الرَّمْلِ بِالْأَرْضِ وَلَمْ يَرتَفِع كَثيرا . «النهاية لابن الأثير» (٢/١٢٨).

www.saida-islam.weebly.com

لِأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا ... رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ[١]

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **مَرْحَبًا بِكَ يَا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ** "، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، ابْعَثْنِي إِلَى قَوْمِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ بِي عَلَيْهِمْ كَمَا مَنَّ بِكَ عَلَيَّ، فَبَعَثَنِي عَلَيْهِمْ[٢]، فَقَالَ:" **عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ، وَلَا تَكُنْ فَظًّا وَلَا مُتَكَبِّرًا وَلَا حَسُودًا** "، فَأَتَيْتُ قَوْمِي فَقُلْتُ : يَا بَنِي رِفَاعَةَ، يَا مَعَاشِرَ جُهَيْنَةَ، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَأُحَذِّرُكُمُ النَّارَ، وَآمُرُكُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرٌ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، فَمَنْ أَجَابَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ. يَا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَكُمْ خِيَارَ مَنْ أَنْتُمْ مِنْهُ، وَبَغَّضَ إِلَيْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مَا حَبَّبَ إِلَى غَيْرِكُمْ، مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ، وَيَخْلُفُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَلَى امْرَأَةِ أَبِيهِ، وَالْغَزَاةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَجِيبُوا هَذَا النَّبِيَّ الْمُرْسَلَ مِنْ بَنِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ، تَنَالُوا شَرَفَ الدُّنْيَا وَكَرَامَةَ الْآخِرَةِ، وَسَارِعُوا فِي ذَلِكَ يَكُنْ لَكُمْ فَضِيلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا قَالَ : يَا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ – أَمَرَ اللَّهُ عَيْشَكَ – تَأْمُرُنَا أَنْ نَرْفُضَ آلِهَتَنَا، وَنُفَرِّقَ جَمَاعَتَنَا، وَنُخَالِفَ دِينَ آبَائِنَا إِلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ هَذَا الْقُرَشِيُّ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ ؟ لَا، وَلَا حُبًّا وَلَا كَرَامَةَ، ثُمَّ أَنْشَأَ الْخَبِيثُ يَقُولُ أَبْيَاتاً .

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ : الْكَاذِبُ مِنِّي وَمِنْكَ أَمَرَ اللَّهُ فَمَهُ، وَأَبْكَمَ لِسَانَهُ، وَأَكْمَهَ عَيْنَيْهِ، وَأَسْقَطَ أَسْنَانَهُ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ : فَوَاللَّهِ مَا مَاتَ حَتَّى سَقَطَ فُوهُ، وَكَانَ لَا يَجِدُ طَعْمَ الطَّعَامِ، وَعُمِيَ وَخُرِسَ، فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَرَحَّبَ بِهِمْ وَحَبَاهُمْ وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا هَذِهِ نُسْخَتُهُ :" **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ**

---

(٢) الحبائك : جمع حبيكة، وهي الطريقة بين النجوم؛ والمراد : السماوات.

(٣) فيه ما تقدم له نظائر كثيرةٌ من حياة الصحابة ﷺ في استئذانهم النَّبيَّ ﷺ في الرجوع لدعوة أقوامهم إلى الإسلام فور إسلامهم، وإذنه ﷺ لهم بذلك، وعدم إرجاء هذه الدعوة إلى أن يزداد علمه، لما هو معلوم أن الدعوة أمر يسير يستطيعه كل أحد، وليس هو كالتعليم والفتوى، الذي يحتاج أن يكون الإنسان فيه حاصلاً على قدْرٍ من العلوم والمعارف التي تُأَهِّلُهُ للقيام مقام التوقيع عن رب العالمين .

www.saida-islam.weebly.com

جَلَّ وَعَزَّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كِتَابٌ صَادِقٌ وَحَقٌّ نَاطِقٌ لِعَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ لِجُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدَانَ، لَكُمْ بُطُونُ الْأَرْضِ وَسُهُولُهَا وَتِلَاعُ الْأَوْدِيَةِ وَظُهُورُهَا، تَرْعَوْنَ نَبَاتَهُ وَتَشْرَبُونَ صَافِيَهِ عَلَى أَنْ تُقِرُّوا بِالْخَمْسِ، وَتُصَلُّوا صَلَاةَ الْخَمْسِ، وَفِي السِّعَةِ وَالصُّرَيْمَةِ شَاتَانِ إِذَا اجْتَمَعَتَا، وَإِنْ تَفَرَّقَتَا فَشَاةٌ شَاةٌ، لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الْمُثِيرَةِ صَدَقَةٌ ". وَشَهِدَ عَلَى نَبِيِّنَا وَمَنْ حَضَرَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِكِتَابِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ (١) .

*****

(١) أخرجه أبو نُعيم بطوله كما في «البداية» (٢/٣٩١)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٨/٢٤٥) وإسماعيل الأصبهاني في «دلائل النبوة»(١٣٢) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/٣٤٣-٣٤٦).
وأخرج الطبراني في الأوسط (٤٠٨١) عن عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِرْيَةً، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَبْعَثُنَا وَلَا لَنَا زَادٌ، وَلَا لَنَا طَعَامٌ، وَلَا عِلْمَ لَنَا بِالطَّرِيقِ ! فَقَالَ :" **إِنَّكُمْ سَتَمُرُّونَ بِرَجُلٍ صَبِيحِ الْوَجْهِ، يُطْعِمُكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَيَسْقِيكُمْ مِنَ الشَّرَابِ، وَيَدُلُّكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ". فَلَمَّا نَزَلَ الْقَوْمُ عَلَيَّ جَعَلَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ قَالُوا : أَبْشِرْ بِبُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ فَإِنَّا نَعْرِفُ فِيكَ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَخْبَرُونِي بِمَا قَالَ لَهُمْ، فَأَطْعَمْتُهُمْ وَسَقَيْتُهُمْ وَزَوَّدْتُهُمْ، وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى دَلَلْتُهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَأَوْصَيْتُهُمْ بِإِبِلِي، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : مَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ :" **أَدْعُو إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** ". فَقُلْتُ : إِذَا أَجَبْنَاكَ إِلَى هَذَا فَنَحْنُ آمِنُونَ عَلَى أَهْلِنَا وَدِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ؟ قَالَ :" **نَعَمْ** ". فَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَعْلَمْتُهُمْ بِإِسْلَامِي، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ . قال الهيثمي : وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ الحَادِيْ وَالثَّلاثُونَ

إِرْسَالُهُ ﷺ أَبَا ذَرٍّ إِلَى قَوْمِهِ لِدَعْوَتِهِمْ فَوْرَ إِسْلامِهِ، وَدُخُولُهُمُ الإِسْلامَ بِدَعْوَتِهِ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ : خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ، وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيْسٌ وَأُمُّنَا فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ، فَقَالُوا : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ، فَجَاءَ خَالُنَا فَنَثَا عَلَيْنَا الَّذِى قِيلَ لَهُ[١]، فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ، وَلاَ جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ .

فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا[٢] فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ، فَجَعَلَ يَبْكِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ فَنَافَرَ أُنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا، فَأَتَيَا الْكَاهِنَ فَخَيَّرَ أُنَيْسًا فَأَتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا[٣]، قَالَ : وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلاَثِ سِنِينَ . قُلْتُ : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ . قُلْتُ : فَأَيْنَ تَوَجَّهُ ؟ قَالَ : أَتَوَجَّهُ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي، أُصَلِّى عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ[٤] حَتَّى تَعْلُوَنِي الشَّمْسُ . فَقَالَ أُنَيْسٌ : إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي . فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَرَاثَ عَلَيَّ[٥]، ثُمَّ جَاءَ، فَقُلْتُ : مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : لَقِيتُ رَجُلاً بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ .

---

(١) أَيْ أَشَاعَهُ وَأَفْشَاهُ .

(٢) هِيَ بِكَسْرِ الصَّادِ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ وَتُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الْغَنَمِ .

(٣) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ فِي شَرْحِ هَذَا : الْمُنَافَرَةُ الْمُفَاخَرَةُ وَالْمُحَاكَمَةُ، فَيَفْخَرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّجُلَيْنِ عَلَى الْآخَرِ ثُمَّ يَتَحَاكَمَانِ إِلَى رَجُلٍ لِيَحْكُمَ أَيُّهُمَا خَيْرٌ وَأَعَزُّ نَفَرًا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُفَاخَرَةُ فِي الشِّعْرِ أَيُّهُمَا أَشْعَرُ كَمَا بَيَّنَهُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَقَوْلُهُ : (نَافَرَ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا) مَعْنَاهُ تَرَاهَنَ هُوَ وَآخَرُ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ وَكَانَ الرَّهْنُ صِرْمَةَ ذَا وَصِرْمَةَ ذَاكَ فَأَيُّهُمَا كَانَ أَفْضَلُ أَخَذَ الصِّرْمَتَيْنِ، فَتَحَاكَمَا إِلَى الْكَاهِنِ فَحَكَمَ بِأَنَّ أُنَيْسًا أَفْضَلُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فَخَيَّرَ أُنَيْسًا أَيْ جَعَلَهُ الْخِيَارَ وَالْأَفْضَلَ .

(٤) هُوَ الْكِسَاءُ وَجَمْعُهُ أَخْفِيَةٌ كَكِسَاءٍ وَأَكْسِيَةٍ .

(٥) أَيْ أَبْطَأَ .

www.saida-islam.weebly.com

قُلْتُ : فَمَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ . وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ. قَالَ أُنَيْسٌ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ[١]، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِى أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . قَالَ : قُلْتُ : فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ . قَالَ : فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ رَجُلاً مِنْهُمْ[٢]، فَقُلْتُ : أَيْنَ هَذَا الَّذِى تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ الصَّابِئَ ! فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظْمٍ حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، قَالَ : فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ[٣]، قَالَ : فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَخِي ثَلاَثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلاَّ مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي[٤]، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ . قَالَ : فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانَ[٥]، إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمِخَتِهِمْ[٦]، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ، وَامْرَأَتَيْنِ[٧] مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةَ، قَالَ : فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا، فَقُلْتُ : أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الأُخْرَى، قَالَ : فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ

---

(١) قوله أقراء الشعر : أَيْ طُرُقُهُ وَأَنْوَاعُهُ.

(٢) يَعْنِي نَظَرْتُ إِلَى أَضْعَفِهِمْ فَسَأَلْتُهُ لِأَنَّ الضَّعِيفَ مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ غَالِبًا، وَكَرِهَ أبو ذرٍّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ ﷺ لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ قَوْمَهُ يُؤْذُونَ مَنْ يَقْصِدُهُ أَوْ يُؤْذُونَهُ بِسَبَبِ قَصْدِ مَنْ يَقْصِدُهُ أَوْ لِكَرَاهَتِهِمْ فِي ظُهُورِ أَمْرِهِ لَا يَدُلُّونَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْهُ عَلَيْهِ أَوْ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الِاجْتِمَاعِ بِهِ أَوْ يَخْدَعُونَهُ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْهُ.

(٣) يَعْنِي مِنْ كَثْرَةِ الدِّمَاءِ الَّتِي سَالَتْ فِي بصرتهم، والنصب الصنم وَالْحَجَرُ كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَنْصِبُهُ وَتَذْبَحُ عِنْدَهُ فَيَحْمَرُّ بِالدَّمِ، وَهُوَ بِضَمِّ الصَّادِ وَإِسْكَانِهَا وَجَمْعُهُ أَنْصَابٌ .

(٤) يَعْنِي انْثَنَتْ لِكَثْرَةِ السِّمَنِ وَانْطَوَتْ .

(٥) مَعْنَاهُ مُقْمِرَةٌ طَالِعٌ قَمَرُهَا. وَالْإِضْحِيَانُ : هِيَ الْمُضِيئَةُ .

(٦) هو جمع سماخ، وَهُوَ الْخَرْقُ الَّذِي فِي الْأُذُنِ يُفْضِي إِلَى الرَّأْسِ، يُقَالُ: صِمَاخٌ بِالصَّادِ وَسِمَاخٌ بِالسِّينِ، والصَّادِ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ، وَالْمُرَادُ بِأَصْمِخَتِهِمْ هُنَا آذَانُهُمْ، أَيْ نَامُوا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ أَيْ أَنَمْنَاهُمْ .

(٧) هَكَذَا هُوَ فِي مُعْظَمِ النُّسَخِ بِالْيَاءِ وَفِي بَعْضِهَا وَامْرَأَتَانِ بِالْأَلِفِ، وَالْأَوَّلُ مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ أَيْ وَرَأَيْتُ امْرَأَتَيْنِ .

www.saida-islam.weebly.com

قَوْلِهِمَا، قَالَ : فَأَتَتَا عَلَيَّ، فَقُلْتُ : هَنٌ مِثْلُ الْخَشَبَةِ غَيْرَ أَنِّي لاَ أَكْنِي [١]. فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلاَنِ وَتَقُولاَنِ : لَوْ كَانَ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا [٢]. قَالَ : فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا هَابِطَانِ، قَالَ :" **مَا لَكُمَا** ". قَالَتَا الصَّابِئُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا، قَالَ :" **مَا قَالَ لَكُمَا**". قَالَتَا إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلأُ الْفَمَ [٣] .

وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ، قَالَ : فَقُلْتُ : السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ :" **وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ** ". ثُمَّ قَالَ :" **مَنْ أَنْتَ** ". قَالَ : قُلْتُ : مِنْ غِفَارٍ، قَالَ : فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ . فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ فَقَدَعَنِي [٤] صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ :" **مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا** ". قَالَ : قُلْتُ : قَدْ كُنْتُ هَا هُنَا مُنْذُ ثَلاَثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ :" **فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ** ". قَالَ : قُلْتُ : مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلاَّ مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ، قَالَ :" **إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ** "[٥]. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ . فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ، وَكَانَ

---

(١) الْهَنُ وَالْهَنَةُ بِتَخْفِيفِ نونهما هو كناية عن كل شئ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ كِنَايَةً عَنِ الْفَرْجِ وَالذَّكَرِ، فَقَالَ لَهُمَا وَمَثَّلَ الْخَشَبَةَ بِالْفَرْجِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ سَبَّ إِسَافَ وَنَائِلَةَ وَغَيْظَ الْكُفَّارِ بِذَلِكَ.

(٢) الْوَلْوَلَةُ الدُّعَاءُ بِالْوَيْلِ، وَالْأَنْفَارُ جمع نفر أو نفير، وهو الذي يَنْفِرُ عِنْدَ الِاسْتِغَاثَةِ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُنَا وَهُوَ بِمَعْنَاهُ وَتَقْدِيرُهُ لَوْ كَانَ هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْصَارِنَا لَانْتَصَرَ لَنَا.

(٣) أي عظيمة لا شيء أقبح منها كالشيء الذي يملأ الشيء وَلَا يَسَعُ غَيْرَهُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يُمْكِنُ ذِكْرُهَا وَحِكَايَتُهَا كَأَنَّهَا تَسُدُّ فَمَ حَاكِيهَا وَتَمْلَؤُهُ لِاسْتِعْظَامِهَا .

(٤) أَيْ كَفَّنِي، يُقَالُ قَدَعَهُ وَأَقْدَعَهُ إِذَا كَفَّهُ وَمَنَعَهُ.

(٥) أَيْ تُشْبِعُ شَارِبَهَا كَمَا يُشْبِعُهُ الطَّعَامُ.

ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ[(١)]، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :" **إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ لاَ أُرَاهَا إِلاَّ يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ**[(٢)]". فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا، فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . قَالَ : مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . فَأَتَيْنَا أُمَّنَا فَقَالَتْ : مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ . وَقَالَ نِصْفُهُمْ : إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا . فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي، وَجَاءَتْ أَسْلَمُ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِخْوَتُنَا نُسْلِمُ عَلَى الَّذِى أَسْلَمُوا عَلَيْهِ . فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ** " [(٣)] .

*****

(١) أَيْ بَقِيَتْ مَا بَقِيَتْ. المرجع في جميع ما سبق من الحواشي هو «شرح مسلم للنووي» (١٦/٢٧-٣٠) و«فتح الباري لابن حجر» (٧/١٧٤).

(٢) في هذا بيان واضح صريح فيما كان من هديه ﷺ في الدعوة مِنْ إقامة من أسلم معه على تبليغ الدين والدعوة إليه من أول يوم، ولم يكن ينتظر أن يحصِّل كمًّا كبيراً من العلم حتى يبلِّغ الدين، فهذا رسول الله ﷺ يوجه أبا ذرٍّ إلى قومه ليدعوهم إلى الله ﷻ ويرغبه بذلك بقوله :" **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ** ". وهذا في بداية إسلامه، حيث كان يُعَدُّ عامِّيّاً، ومع هذا فقد نصره الله وأيَّده وأعانه على هداية قومه، فأسلموا بدعوته، وأسلم بإسلامهم إخوانهم من قبيلة أسلم .

(٣) رواه البخاري برقم (٣٨٦١) ومسلم برقم (٢٤٧٣) واللفظ له.

الحَدِيْثُ الثَّانِيْ وَالثَّلاثُوْنَ

إِسْلامُ العَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ وَدَعْوَتُهُ قَوْمَهُ إِلَى الإِسْلامِ وَدُخُولُهُمْ فِيهِ

عَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ : كَانَ إِسْلَامُ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنَّهُ كَانَ بِعُمْرَةٍ فِي لَقَاحٍ لَهُ نِصْفَ النَّهَارِ، إِذْ طَلَعَتْ لَهُ نَعَامَةٌ بَيْضَاءُ مِثْلَ الْقُطْنِ، عَلَيْهَا رَاكِبٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ مِثْلَ الْقُطْنِ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ بْنَ مِرْدَاسٍ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّمَاءَ كَفَتْ أَحْرَاسَهَا، وَأَنَّ الْحَرْبَ جُرِّعَتْ أَنْفَاسُهَا، وَأَنَّ الْخَيْلَ وُضِعَتْ أَحْلَاسُهَا، وَأَنَّ الَّذِي نَزَلَ بِالْبِرِّ وَالْهُدَى لَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ لَيْلَةِ الثُّلَاثَاءِ صَاحِبُ النَّاقَةِ، قَالَ : فَخَرَجْتُ مَرْعُوبًا قَدْ رَاعَنِي مَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ، حَتَّى جِئْتُ وَثَنًا لَنَا كَانَ يُدْعَى الضِّمَادَ، وَكُنَّا نَعْبُدُهُ وَيُكَلِّمُ مِنْ جَوْفِهِ، فَكَنَسْتُ مَا حَوْلَهُ وَتَمَسَّحْتُ بِهِ وَقَبَّلْتُهُ، فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِهِ : يَا عَبَّاسُ بْنَ مِرْدَاسٍ :

قُـلْ لِلْقَبَائِـلِ مِـنْ سُلَيْـمٍ كُلِّهَا ... هَلَكَ الضِّمَادُ وَفَازَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

إِنَّ الَّذِي جَاءَ بِالنُّبُوَّةِ وَالْهُدَى ... بَعْـدَ ابْـنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَـدِ

هَلَكَ الضِّمَادُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَـرَّةً ... قَبْـلَ الصَّـلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّـدِ

قَالَ : فَخَرَجْتُ مَرْعُوبًا حَتَّى جِئْتُ قَوْمِي، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ وَأَخْبَرْتُهُمُ الْخَبَرَ، فَخَرَجْتُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي حَارِثَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ :" **يَا عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ، كَيْفَ كَانَ إِسْلَامُكَ؟** "، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ :" **صَدَقْتَ** "، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : فَأَسْلَمْتُ أَنَا وَقَوْمِي [(١)] .

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٩٢) وقال الهيثمي : رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي، ضَعَّفَهُ الجمهور ووَثَّقَهُ سعيد بن منصور، وقال : كان مالك يرضاه، وبقية رجاله وُثِّقوا .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُوْنَ

بَعْثُهُ ﷺ فَرْوَةَ بْنَ مُسَيْكٍ لِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى الإِسْلامِ عَقِبَ إِسْلامِهِ

عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ الْمُرادِيِّ رضي الله عنه[١]، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُقَاتِلُ مَنْ أَدْبَرَ مِنْ قَوْمِي بِمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ ؟ فَأَذِنَ لِي فِي قِتَالِهِمْ وَأَمَّرَنِي، فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ سَأَلَ عَنِّي :" **مَا فَعَلَ الغُطَيْفِيُّ ؟**" فَأُخْبِرَ أَنِّي قَدْ سِرْتُ، قَالَ : فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِي فَرَدَّنِي، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ :" **ادْعُ القَوْمَ فَمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ فَاقْبَلْ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ فَلَا تَعْجَلْ حَتَّى أُحْدِثَ إِلَيْكَ** ". قَالَ : وَأُنْزِلَ فِي سَبَإٍ مَا أُنْزِلَ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا سَبَأٌ ؟ أَرْضٌ أَوِ امْرَأَةٌ ؟ قَالَ :" **لَيْسَ بِأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةً مِنَ العَرَبِ، فَتَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ، وَتَشَاءَمَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءَمُوا : فَلَخْمٌ، وَجُذَامُ، وَغَسَّانُ، وَعَامِلَةُ، وَأَمَّا الَّذِينَ تَيَامَنُوا : فَالأَزْدُ، وَالأَشْعَرِيُّونَ، وَحِمْيَرٌ، وَمَذْحِجٌ، وَأَنْمَارٌ، وَكِنْدَةُ** ". فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَنْمَارٌ ؟ قَالَ :" **الَّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمُ وَبَجِيلَةُ** " [٢] .

---

(١) قَدِمَ فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ الْمُرَادِيُّ سَنَةَ عَشْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مفارقاً لكندة، تابعاً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ رَجُلاً لَهُ شَرَفٌ. فَأَنْزَلَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ عَلَيْهِ ثُمَّ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا لِمَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي. قَالَ: أَيْنَ نَزَلَتْ؟ قَالَ: عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. قَالَ :" **بَارَكَ اللَّهُ عَلَى سَعْدٍ!**" فَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا جَلَسَ، وَيَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَفَرَائِضَ الإِسْلامِ وَشَرَائِعَهُ. ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على مرد وَزُبَيْدٍ وَمَذْحِجٍ كُلِّهَا. وَكَانَ يَسِيرُ فِيهَا. طبقات ابن سعد (٥٨/٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥٢٨/٣٩) الترمذي في سننه (٣٢٢٢) واللفظ له، وقال : حديث حسن غريب. وحسَّنه ابن كثير في تفسيره (٥٣٥/٣). قلت : جاء في رواية الطبراني في الكبير (٨٣٥) عنه رضي الله عنه، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لَنَا جِيرَةً مِنْ سَبَأٍ أَهْلَ عَزٍّ وَمُلْكٍ وَجَبَرُوتٍ فَائْذَنْ لِي أَنْ أَدْعُوَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَبَوْا فَائْذَنْ لِي أَنْ أُقَاتِلَهُمْ بِقَوْمِي وَمَنْ أَطَاعَنِي، فَأَذِنَ لَهُ ثُمَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَدَا لَهُ فَقَالَ :" **إِنَّكَ ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ سَبَأٍ مَا ذَكَرْتَ، فَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَاكْفُفْ عَنْهُمْ، وَإِنْ أَبَوْا فَلَا تَعْرَضْ لَهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي** ". فهذه الرواية تبين أنَّه هو الذي استئذن النَّبِيَّ ﷺ في دعوة قومه إلى الإسلام، ورواية الباب فيها أنه ﷺ أذن له بقتالهم =

www.saida-islam.weebly.com

=في البداية، ثم بين له الغاية من هذا القتال، ألا وهي الدعوة إلى الحقِّ، كما بَيَّنَ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه مقصد القتال حينما بعثه إلى خيبر، حيث قال له عليٌّ : يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ فَقَالَ ﷺ:" **انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**". رواه البخاري برقم (٢٩٤٢) و(٣٧٠١) و(٤٢١٠) ورواه مسلم برقم (٦٣٧٦). فقول عليٍّ رضي الله عنه : (**أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟**) يدل على أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم كَانُوا يَفْهَمُونَ أَنَّ الْمَقْصُودَ الأَعْلَى لِلْقِتَالِ هُوَ هِدَايَةُ النَّاسِ إِلَى مَا كَانَوا عَلَيهِ مِنَ الإِيْمَانِ باللهِ عز وجل والْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الإِسْلامِ، كَمَا قَالَ تعالى : ﴿ **فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ** ﴾ [**البقرة: ١٣٧**]، وأَنَّ الْقِتَالَ لَيْسَ مَقْصُوداً لِذَاتِهِ، بَلِ الْمَقْصُودُ هُوَ الْهِدَايَةُ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ تعالى : ﴿ **وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [**البقرة: ١٩٣**]، قَالَ الطِّيْبِيُّ رحمه الله : وَكَأَنَّهُ ﷺ اسْتَحْسَنَ قَولَهُ : **أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا** ؟ وَاسْتَحْمَدَهُ عَلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ مُقَاتَلَتِهِ إِيَّاهُم حَتَّى يَكُونُوا أَمْثَالَنَا مُهْتَدِينَ لإِعْلاءِ دِينِ اللهِ، وَمِنْ ثَمَّ حَثَّهُ الرَّسُولُ ﷺ بِقَولِهِ :" **فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** ". وفي هذا تَأْكِيْدٌ لِمَا أَرْشَدَهُ مِنْ دُعَائِهِم إِلَى الإِسْلامِ أَوَّلاً، فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَباً لإِيْمَانِهِمْ مِنْ غَيرِ حَاجَةٍ إِلَى قِتَالِهِمُ الْمُتَفَرِّعِ عَلَيْهِ حُصُولُ الْغَنَائِمِ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ وغَيرِهَا، فَإِنَّ إِيْجَادَ مُؤْمِنٍ وَاحِدٍ خَيْرٌ مِنْ إِعْدَامِ أَلْفِ كَافِرٍ. «مرقاة المفاتيح» (١١/٢٤٤). وفي رِوَايَةٍ قال :" **لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ عز وجل عَلَى يَدَيْكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ** ". رواه الطبراني في الكبير عن أبي رافع (٩٣٠) وحَسَّنَهُ السيوطي في الجامع الصغير. وقَالَ الْمُنَاوِيُّ رحمه الله في قَولِهِ : "**خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ** ". أَيْ فَتَصَدَّقْتَ بِهِ، وذَلِكَ لأَنَّ الْهُدَى عَلَى يَدَيْهِ شُعْبَةٌ مِنَ الرِّسَالَةِ، لأَنَّ الرُّسُل إِنَّمَا بُعِثَتْ لِتُؤَدِّيَ عَنِ اللهِ، فَإِذَا وَرَدَ الْقِيَامَةَ فَلَهُ حَظٌّ مِنْ ثَوَابِ الرُّسِلِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا هَدَاهُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ اللهِ، وَالرُّسُلُ أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ فِي دَارِ السَّلامِ فِي الدَّرَجَاتِ، فَمَنْ دُوْنَ الرُّسُلِ إِذَا كَانَ دَاعِياً إِلَى اللهِ فَهَدَى بِهِ عَبْداً فَقَدْ حَازَ مِنْ ثَوَابِ الرُّسُلِ حَظّاً مِنَ الْكَرَامَةِ، ومَنْ يَحْصُلُ مِنْ ثَوَابِ الرُّسُلِ شَيْئاً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ وغَرَبَتْ، يَعْنِي فَأَنْفَقَهُ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وإِذَا هَدَى اللهُ قَلْباً عَلَى لِسَانٍ نَاطِقٍ بالْهُدَى فَقَدْ أَكْرَمَ النَّاطِقَ بِجَزِيلِ الْكَرَامَةِ، فَمِنَ الْكَرَامَاتِ أَنْ جَعَلَ لِكَلامِهِ مِنَ النُّورِ كِسْوَةً تَلِجُ آذَانَ السَّامِعِينَ مَعَ تِلْكَ الْكِسْوَةِ، فَتَخْرِقُ حُجُبَ الشَّهَوَاتِ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى مُسْتَقَرِّ الإِيْمَانِ مِنْ قُلُوبِهِم، فَتُحْيِيَ مَا مَاتَ، وتَشْفِيَ مَا سَقِمَ؛ ومِنهَا أَنْ جَعَلَ لِكَلامِهِ مِنَ السُّلْطَانِ مَا يُذْهِلُ نُفُوسَ الْمُخَلِّطِينَ عَنْ شَهَوَاتِهِم؛ ومِنهَا أَنْ تَأْخُذَ نِعَمُهُ النُّورَانِيَّةُ بِنَوَاصِي قُلُوبِ الْعِبَادِ الأُبَّاقِ- أَيِ الشَّارِدِينَ- فَتَرُدَّهُمْ إِلَى اللهِ جَذْباً وَسَيْراً؛ ومِنهَا أَنْ جَعَلَهُ مِنَ الْعَمَلَةِ الْخَزَنَةِ لِلقُلُوبِ بِبِذْرٍ يَبْذُرُهُ فَيَزْرَعُهُ اللهُ فِيهَا وَيُنَمِّيهِ مِنهَا فَلا مَنْقَبَةَ أَعْلَى مِنْهَا. «فيض القدير»=

www.saida-islam.weebly.com

=(٥/٣٣٧-٣٣٨) . وهَذَا هُوَ الْفَتْحُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يَتَضَاءَلُ دُونَهُ كُلُّ فَتْحٍ، وهُوَ فَتْحُ قُلُوبِ الْعِبَادِ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ ﷻ ويَرْضَاهُ، فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ ﷺ يَقُولُ : **مَا كَانَ فَتْحٌ أَعْظَمَ فِي الإِسْلامِ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَلكِنَّ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ قَصُرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَبِّهِ ﷻ، وَالْعِبَادُ يَعْجَلُونَ، وَاللهُ لا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ الْعِبَادِ حَتَّى تَبْلُغَ الأُمُورُ مَا أَرَادَ، لَقَدْ نَظَرْتُ إِلى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَائِماً عِنْدَ الْمَنْحَرِ يُقَرِّبُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَدْيَهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْحَرُهَا بِيَدِهِ، وَدَعَا الْحَلاَّقَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَأَنْظُرُ إِلى سُهَيْلٍ يَلْقُطُ مِنْ شَعَرِهِ، وَأَرَاهُ يَضَعُهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَأَذْكُرُ إِبَاءَهُ أَنْ يُقِرَّ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَكْتُبَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَيَأْبَى أَنْ يَكْتُبَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَحَمِدْتُ اللهَ الَّذِي هَدَاهُ لِلإِسْلامِ، وَصَلَوَاتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الَّذِي هَدَانَا وَأَنْقَذَنَا مِنَ التَّهْلُكَةِ** . أخرجه ابن عساكر عن الواقدي كما في «كنز العمال» (٣١٣٦)، وانظر «مختصر تاريخ دمشق» (١/١٤٢٧). وعَنْ أَبِيْ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ الحَمْرَاءِ الخُزَاعِيِّ قَالَ : نَظَرْتُ إِلى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَوْمَ جَاءَ نَعْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلى مَكَّةَ، وَقَدْ تَقَلَّدَ السَّيْفَ ثُمَّ قَامَ خَطِيباً بِخُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَدِينَةِ، كَأَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُهَا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ! مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، وَقَدْ نَعَى اللهُ نَبِيَّكُمْ إِلَيْكُمْ، وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَنَعَاكُمْ إِلى أَنْفُسِكُمْ، فَهُوَ الْمَوْتُ حَتَّى لا يَبْقَى أَحَدٌ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقَالَ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥]، ثُمَّ تَلا : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْتَصِمُوا بِدِينِكُمْ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ دِينَ اللهِ قَائِمٌ، وَكَلِمَةَ اللهِ تَامَّةٌ، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ وَمُعِزٌّ دِيْنَهُ، وَقَدْ جَمَعَكُمُ اللهُ عَلَى خَيْرِكُمْ . فَلَمَّا بَلَغَ عُمَرَ كَلامُ سُهَيْلٍ بِمَكَّةَ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، هَذَا هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي عَنَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَالَ :" **لَعَلَّهُ يَقُومُ مَقَاماً لا تَكْرَهُهُ** ". أخرجه الواقدي في مغازيه (١/١٠٧) وانظر «مختصر تاريخ دمشق» (١/١٤٢٧).

وقَالَ أَنَسٌ ﷺ فِي قَولِهِ ﷻ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١] : **الْفَتْحُ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ**. رواه البخاري (٤٨٣٤)؛ وقَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : **لَمْ يَكُنْ فِي الإِسْلامِ فَتْحٌ قَبْلَ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أَعْظَمَ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ الكُفْرُ حَيْثُ الْقِتَالُ، فَلَمَّا أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيْثِ وَالْمُنَازَعَةِ، وَلَمْ يُكَلَّمْ أَحَدٌ بِالإِسْلامِ يَعْقِلُ إِلاَّ بَادَرَ إِلى الدُّخُولِ فِيهِ، فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْنِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الإِسْلامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ**. رواه البيهقي في سننه (١٨٥٩٣) وذكره في «معرفة السنن والآثار» (٧/١٤٦) وانظر «فتح الباري» (١/٥٥٠) و«سيرة ابن هشام» (٣/٢٠٦-٢٠٧). وقَالَ ابْنُ هِشَامٍ رَحِمَهُ اللهُ : يَدُلُّ عَلَيهِ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ فِي=

*****

=الْحُدَيْبِيَةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ إِلى مَكَّةَ فِي عَشْرَةِ آلافٍ. «سيرة ابن هشام» (٣/٢٠٦-٢٠٧) وانظر « فتح الباري» (٧/٥٥٠). وقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الصُّلْحِ : وَكَانَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ضَيْمًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَفِي الصُّورَةِ الْبَاطِنَةِ عِزًّا لَهُمْ، فَإِنَّ النَّاس لأَجْلِ الأَمْن الَّذِي وَقَعَ بَيْنهمُ اخْتَلَطَ بَعْضُهمْ بِبَعْضٍ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، وَأَسْمَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ الْقُرْآنَ، وَنَاظَرُوهُمْ عَلَى الإِسْلام جَهْرَةً آمِنِينَ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ لا يَتَكَلَّمُونَ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ إِلاَّ خُفْيَةً، وَظَهَرَ مَنْ كَانَ يُخْفِي إِسْلامَهُ، فَذَلَّ الْمُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْعِزَّةَ، وَأُقْهِرُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْغَلَبَةَ. «فتح الباري» (٥/٤٢٧). وهَكَذَا فَالْمَصَالِحُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى هِدَايَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لا يَقْدُرُ قَدْرَهَا إِلاَّ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، ولا يَعْدِلُ فَضْلَهَا أَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدِّينِ الأُخْرَى، ولأَنَّ الدَّعْوَةَ إلى اللهِ وهِدَايَةَ النَّاسِ إِلَيهِ عَمَلُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَمَنْ قَامَ بِهَذَا الْعَمَلِ – عالِماً كان أو عامياً – فَقَدْ نَابَ عَنْهُم فِي هِدَايَةِ الْخَلْقِ إلى الْخَالِقِ، فَيَكُونُ قَدْ تَحَصَّلَ عَلَى ثَوَابِهِمْ، ولا شَكَّ أَنَّ الْقَلِيلَ مِنْ عَمَلِ الْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا لَوْ أُنْفِقَتْ فِي طَاعَةِ اللهِ وَجَلَّ .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

دَعْوَةُ أَحَدِ عَوَامِّ الصَّحَابَةِ قَوْمَهُ إِلَى الإِسْلامِ بِتَرْغِيبِهِمْ بِفَضْلِ الله، وَاسْتِجَابَتُهُمْ لِذَلِكَ، وَسَعْيُهُ فِيْ ثَبَاتِهِمْ عَلَيهِ، وَخَوْفُهُ مِنْ وُقُوعِهِمْ فِيْ الرِّدَّةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن سَلامٍ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بن سَعْنَةَ، قَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ : مَا مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا[١] مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا تَزِيدُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَلْطُفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ، فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ .

قَالَ زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ[٢] وَمَعَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بُصْرَى قَرْيَةَ بني فُلانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا[٣]، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ[٤] وَشِدَّةٌ وقُحُوطٌ[٥] مِنَ الْغَيْثِ[٦]، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيًّا ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ .

---

(١) أي لم أعرف خبرهما على الحقيقة عن تجربة .

(٢) الحجرات : جمع حجرة وهي منازل أزواج النبي ﷺ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلاَّ من المغرب وكانت أبوابها شارعة في المسجد . «أخبار مدينة الرسول ﷺ » .

(٣) أي واسعاً؛ وفي هذا بيان لما كان عليه الصحابة ﷺ من المبادرة لدعوة أقوامهم إلى الإسلام فور إسلامهم بالحكمة والترغيب، والاهتمام بثبات أقوامهم على الإسلام، والخوف من ارتدادهم عنه، مهما كان الثمن .

(٤) أي جدب .

(٥) أي احتباس .

(٦) أي المطر .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ : فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بني فُلانٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : لا يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلا تُسَمِّي حَائِطَ بني فُلانٍ، قُلْتُ : بَلَى، فَبَايَعَنِي فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي[١]، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالاً[٢] مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: اغْدُ عَلَيْهِمْ فَأَعِنْهُمْ بِهَا[٣]. فَقَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ : فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ[٤] الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ، أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بني عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمُطْلٌ[٥]، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عَلِمٌ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ[٦]، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ[٧] لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي

---

(١) الهميان : كيس يجعل فيه النفقة ويشدُّ على الوسط؛ وجمعه هَمَايينُ .

(٢) قال في النهاية : المِثْقال في الأصل : مِقْدَارٌ من الوَزْن أيَّ شيء كان من قَلِيل أو كثير فمعْنى مِثْقال ذرَّة : وزْن ذرَّة . والناس يُطْلقونه في العُرف على الدّينار خاصَّة وليس كذلك اه . وقدره في الموازين عشرون قيراطاً، وهو ما يعادل (٢٤،٤) غراماً «معجم لغة الفقهاء» .

(٣) فيه شدة رحمته ﷺ بأمته وخوفه عليهم من الردة الموقعة لهم في الهلكة، فيقترض على نفسه، ويحمل نفسه الديون، لينقذهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

(٤) مصدر ميمي من الحلول، أي قبل مجيء وقت الأداء .

(٥) بضم ميم وطاء وسكونها. جمع مَطُول، من المطل : وهو التَّسْويفُ بالعِدَةِ والدَّيْنِ، ومَدُّ الحَبْلِ والحديدِ وسَبْكُه وطَبْعُهُ وصَوْغُه بَيْضَةً «القاموس المحيط » .

(٦) هو مدار النجوم من السماء، وقيل : موج البحر؛ شبَّه بهما العينين في الاضطراب والاستدارة، وهي كناية عن شدة غضب سيدنا عمر ﷺ لله ولرسوله «حاشية الشيخ إلياس البارة بنكوي على حياة الصحابة» (١٩٧/١) .

(٧) أي عذاب الله . وفي «السيرة النبوية» (٢٥٠/٣) أي من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت. «حاشية البارة بنكوي» (١٩٧/١) .

www.saida-islam.weebly.com

سُكُونٍ وتُؤَدَةٍ[١]، ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا[٢]، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ[٣]، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ وأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رَوَّعْتَهُ[٤]، قَالَ زَيْدٌ : فَذَهَبَ بِي عُمَرُ ﷺ، فَأَعْطَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رَوَّعْتُكَ، قُلْتُ : وتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : لا، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ : أَنَا زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ، قَالَ : الْحَبْرُ[٥]؟! قُلْتُ : الْحَبْرُ، قَالَ : فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا فَعَلْتَ، وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ[٦]؟ قُلْتُ : يَا عُمَرُ، لَمْ تَكُنْ مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ الْجَهْلُ عَلَيْهِ إِلّا حِلْمًا، فَقَدْ أُخْبِرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا[٧]، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي – وَإِنِّي أَكْثَرُهَا[٨] مَالاً – صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لا تَسَعُهُمْ، قُلْتُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ،

---

(١) التؤدة كهُمَزَة : وهي الرزانة والتأني .

(٢) أي أنا واليهودي كنَّا أحوج إلى غير هذا الذي صدر منك بالنسبة إلى ما حدث منك وهو الغضب.

(٣) أي حسن التقاضي . كما في «السيرة النبوية» (٣/٢٥١) .

(٤) أي أفزعته، والظاهر أن رسول الله ﷺ كلَّم سيدنا عمر ﷺ هذا الكلام سرّاً، كما سيتضح بعده من سؤال زيد بن سعنة ﷺ : ما هذه الزيادة يا عمر ؟ والله أعلم «حاشية البارة بنكوي» (١/١٩٨) .

(٥) بالفتح والكسر، هو العالم . وسيدنا عمر كان يعرف الاسم ولا يعرف الشكل .

(٦) يقول سيدنا عمر ﷺ ذلك لأنه ليس من شأن العلماء الذين لهم معرفة بصفات النبي الأمي ﷺ في الكتب السابقة أن يصنعوا مثل هذا الصنيع. «حاشية البارة بنكوي» (١/١٩٨) .

(٧) معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره؛ فمعنى قوله : أنه لم يطلب غير الله ﷻ، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلاَّ ما يوافق شريعة محمد ﷺ، فلا شك في أنَّ من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه. «فتح الملهم للعثماني » (١/٢٠٨) .

(٨) أي أكثر أهل المدينة .

www.saida-islam.weebly.com

وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ[١] كَثِيرَةً؛ ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلاً غَيرَ مُدْبِرٍ[٢]. رَحِمَ اللهُ زَيْداً [٣] .

*****

(١) هي المغازي، لأنها موضع الشهادة. «حاشية البارة بنكوي» .

(٢) أي مقبلاً على طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ غير مدبر أي غير مولٍّ ظهره عن سبيل الله. «حاشية البارة بنكوي».

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٥٠٠٢) وقال الهيثمي : رجاله ثقات؛ وروى ابن ماجه منه طرفاً . وقال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» : هذا حديث حسن مشهور في دلائل النبوة . وأورد الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» هذه القصة، وعزاها إلى الطبراني والحاكم وأبي الشيخ في كتابه «أخلاق النبي ﷺ » وابن سعد وغيرهم ثم قال: ورجال الإسناد موثقون، وقد صرَّح الوليد فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد، وثَّقه ابن معين وليَّنه أبو حاتم (٦٠٦/٢) ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى عن الزهري مرسلاً (٣٦١/١) وقال فيه : وأَسْلَمَ أَهْلُ بَيتِ اليَهُودِيِّ كُلُّهُم إِلاَّ شَيخاً كَانَ ابْنَ مِائَةِ سَنَةٍ، فَعَسَا عَلَى الكُفْرِ .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ الخَامِسُ وَالثَّلاثُوْنَ

دَعْوَةُ أَبِيْ قِرْصَافَةَ رضي الله عنه أُمَّهُ وَخَالَتَهُ إِلَى الإِسْلامِ فَوْرَ إِسْلامِهِ، وَإِسْلامُهُمَا بِذَلِكَ

عَنْ أَبِي قِرْصَافَةَ[(١)] رضي الله عنه، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كَانَ بَدْءُ إِسْلَامِي أَنِّي كُنْتُ يَتِيمًا بَيْنَ أُمِّي وَخَالَتِي، وَكَانَ أَكْثَرُ مَيْلِي إِلَى خَالَتِي، وَكُنْتُ أَرْعَى شُوَيْهَاتٍ لِي، فَكَانَتْ خَالَتِي كَثِيرًا مَا تَقُولُ لِي : يَا بُنَيَّ، لَا تَمُرَّ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ - تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - فَيُغْوِيَكَ وَيُضِلَّكَ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ حَتَّى آتِيَ الْمَرْعَى، وَأَتْرُكَ شُوَيْهَاتِي، وَآتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَا أَزَالُ أَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ أُرَوِّحُ غَنَمِي ضُمَّرًا يَابِسَاتِ الضُّرُوعِ . وَقَالَتْ لِي خَالَتِي : مَا لِغَنَمِكَ يَابِسَاتِ الضُّرُوعِ ؟ قُلْتُ : مَا أَدْرِي . ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ الثَّانِيَ، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَاجِرُوا وَتَمَسَّكُوا بِالْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا دَامَ الْجِهَادُ** ". ثُمَّ إِنِّي رُحْتُ بِغَنَمِي كَمَا رُحْتُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَلَمْ أَزَلْ عِنْدَهُ أَسْمَعُ مِنْهُ حَتَّى أَسْلَمْتُ وَبَايَعْتُهُ وَصَافَحْتُهُ، وَشَكَوْتُ إِلَيْهِ أَمْرَ خَالَتِي وَأَمْرَ غَنَمِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **جِئْنِي بِالشِّيَاهِ** ". فَجِئْتُهُ بِهِنَّ، فَمَسَحَ ظُهُورَهُنَّ وَضُرُوعَهُنَّ، وَدَعَا فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، فَامْتَلَأْنَ شَحْمًا وَلَبَنًا، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى خَالَتِي بِهِنَّ قَالَتْ : يَا بُنَيَّ، هَكَذَا فَارْعَ، قُلْتُ : يَا خَالَةُ، مَا رَعَيْتُ إِلَّا حَيْثُ أَرْعَى كُلَّ يَوْمٍ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكِ بِقِصَّتِي، وَأَخْبَرْتُهَا بِالْقِصَّةِ وَإِتْيَانِي النَّبِيَّ ﷺ، وَأَخْبَرْتُهَا بِسِيرَتِهِ وَبِكَلَامِهِ[(٢)]، فَقَالَتْ لِي أُمِّي

---

(١) قَالَ الطَّبَرَانِيُّ : حَيْدَرَةُ بْنُ خَيْشَنَةَ : أَبُو قِرْصَافَةَ اللَّيْثِيُّ، مَوْلَى بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ؛ وَأخرج الطبراني في الكبير (٢٥٢٣) عَنْ عَزَّةَ بِنْتِ عِيَاضِ بْنِ أَبِي قِرْصَافَةَ قَالَ : أَسَرَتِ الرُّومُ ابْنًا لِأَبِي قِرْصَافَةَ، فَكَانَ أَبُو قِرْصَافَةَ إِذَا حَضَرَ وَقْتُ كُلِّ صَلَاةٍ صَعِدَ سُورَ عَسْقَلَانَ، وَنَادَى : يَا فُلَانُ الصَّلَاةَ، فَيَسْمَعُهُ وَهُوَ فِي بَلَدِ الرُّومِ . قال الهيثمي : وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

(٢) هذا منه دعوةٌ لخالته إلى الإسلام ببيان أخلاق المصطفى ﷺ وسيرته وكلامه، حيث إن التقليد في الأفكار والآراء يكون في كثير من الأحيان مانعاً من الوصول إلى الحق، كما تقدم في قصة الطفيل الدوسي حينما سمع سفهاء مكة يطعنون في النَّبيِّ ﷺ ويحذِّرون منه أشدَّ التحذير، فلم يهتدِ إلى الحق حتى جاء إليه ﷺ وسمع منه، وهكذا فلا ينبغي للعاقل أن يغترَّ بمثل هذه التحذيرات، مهما كان=

www.saida-islam.weebly.com

وَخَالَتِي : اذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ، فَذَهَبْتُ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي فَأَسْلَمْنَ، وَبَايَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا صَافَحَهُنَّ . فَهَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ إِسْلَامِ أَبِي قِرْصَافَةَ، وَهِجْرَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . قال زياد : وَكَانَ أَبُو قِرْصَافَةَ يَسْكُنُ أَرْضَ تِهَامَةَ [١].

*****

=الْمُخْبِرُ موثوقاً به، فقد يخطئُ في التقدير أو الفهم أو التعبير، وقد يعتريه بعض الهوى الذي لا يكاد يخلو منه إنسانٌ إلَّا من عصمه اللهُ ﷻ، وقد قال ﷺ :" **لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ ؛ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَخْبَرَ مُوسَى عليه السلام بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ، فَانْكَسَرَتْ** ". قال الهيثمي : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، وصحَّحه ابن حبان. فالمؤمن العاقل يأخذ بأمر الله ﷻ حينما يقول : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ** ﴾، كما يأخذ بفعل الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم في البحث عن الحق والتثبت منه، كما جاء في الرحلة في طلب الحق، ففي البخاري تعليقاً أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى الشام إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد، ورحل أبو أيوب الأنصاري إلى مصر ليلقى عقبة بن عامر فيها، فيسأله عن حديث واحد، وقد وعد اللهُ ﷻ كل من جاهد نفسه في معرفة الحق وبَذَلَ ما يلزم لذلك، وعده أن يهديه سبل الوصول إلى الحق والقيام به بقدر مجاهدته في ذلك؛ فقال ﷻ : ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾ **[العنكبوت:٦٩]**.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٥١٣) وقال الهيثمي : ورجاله ثقات .

الحَدِيْثُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُوْنَ

دَعْوَةُ مُسْلِمِ بْنِ الحَارِثِ التَّمِيْمِيِّ قَوْماً إِلَى الإِسْلامِ، وَإِسْلامُهُمْ بِدَعْوَتِهِ

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمٍ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَلَمَّا هَجَمْنَا عَلَى الْقَوْمِ تَقَدَّمْتُ أَصْحَابِي عَلَى فَرَسِي، فَاسْتَقْبَلَنَا النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَضِجُّونَ، فَقُلْتُ لَهُمْ : تُرِيدُونَ أَنْ تُحَرِّزُوا أَنْفُسَكُمْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ، قُلْتُ : قُولُوا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[١]، فَقَالُوهَا، فَجَاءَ أَصْحَابِي فَلَامُونِي، فَقَالُوا : أَشْرَفْنَا عَلَى الْغَنِيمَةِ فَمَنَعْتَنَا، ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ :" **مَا تَدْرُونَ مَا صَنَعَ ؟ لَقَدْ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَجْرِ**[٢]". ثُمَّ أَدْنَانِي مِنْهُ، فَقَالَ :" **إِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا : اللهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ بِهَا جِوَارًا مِنَ النَّارِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا : اللهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَارًا مِنَ النَّارِ** "[٣].

---

(١) فيه فهم الصحابة رضي الله عنهم لموضوع بعثته ﷺ، وهو الرحمة بالناس بإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر والرذيلة، إلى نور التوحيد والإيمان والفضيلة، ففي هذا حفظٌ لهم في الدنيا من القتل والذِّلَّة، وفي الآخرة وقايةٌ لهم من النار؛ قال ﷺ :" **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ** ". رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ الراوي : أَنَا نَسِيتُهُ – أي الأجر المذكور –. وقد تقرَّر فيما سبق أن من تسبَّب بقيام غيره بعملِ خيرٍ كان له مثل أجر فاعله، كما قال ﷺ :" **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا** ". وقال ﷺ :" **الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ** ". وتقدم تخريجهما؛ وسواءٌ كان الدَّالُّ على الخير عالماً أو عامِّيًّا، فكلُّ من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله .

(٣) رواه أبو داوود في سننه (٥٠٨٠) وابن حبان في صحيحه (٢٠٢٢) والطبراني في الكبير (١٠٥٢) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢١٢) ورواه أحمد في مسنده (١٨٠٥٤) بدون ذكر قصة=

www.saida-islam.weebly.com

وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ لَهُ كِتَابًا بِالْوُصَاةِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ مِنْ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ [(١)] .

*****

=بعث السرية، وسكت عنه أبو داوود والمنذري، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار في تخريج الأذكار» .

(١) رواه أحمد في مسنده (١٨٠٥٥) والطبراني في الكبير (١٠٥٣) وقال الهيثمي : ورجاله ثقات . وقد بَيَّنَ ابن حبان وغيره سبب كتابة النَّبِيِّ ﷺ هذه الوصاة بمسلم بن الحارث لمن بعده من الولاة، فقال – أي مسلم بن الحارث – : ثُمَّ قَالَ لِي : إِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ كِتَابًا، وَأُوصِي بِكَ مَنْ يَكُونُ بَعْدِي مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ : فَكَتَبَ لِي كِتَابًا، وَخَتَمَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ . قال : فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَيْتُ بِالْكِتَابِ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَفَضَّهُ فَقَرَأَهُ، وَأَمَرَ لِي وَخَتَمَهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ عُمَرَ رضي الله عنه فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَيْتُ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ مُسْلِمٌ : فَتُوُفِّيَ الْحَارِثُ بْنُ مُسْلِمٍ رضي الله عنه فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَكَانَ الْكِتَابُ عِنْدَنَا حَتَّى وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَكَتَبَ إِلَى الْعَامِلِ قِبَلَنَا : أَنْ أَشْخِصْ مُسْلِمَ بْنَ الْحَارِثِ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي كَتَبَهُ لِأَبِيهِ، فَأُشْخِصْتُ إِلَيْهِ فَقَرَأَهُ وَأَمَرَ لِي ثُمَّ خَتَمَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَمَا إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ إِلَّا لِتُحَدِّثَنِي كَمَا حَدَّثَ أَبُوكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ . قلت : فكتابة النبي ﷺ هذه الوصاة لمسلم بن الحارث لأجل رحمته بهؤلاء القوم بدعوتهم إلى الإسلام، وتسببه بدخولهم في رحمة الله ﷻ، وهذا يتوافق مع مقصد بعثته ﷺ، ألا وهو الرحمة بالعالمين، فجازاه ﷺ من جنس عمله، وفي هذا أعظم دليل على أن موضوعَ خروج الصحابة رضي الله عنهم في سبيل الله والباعثَ عليه هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وليس القتال مقصوداً لذاته، كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه : **اللَّهُ ابْتَعَثَنَا، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ** . فكلُّ من خرج في سبيل الله لهذه الغاية – وهي إعلاء كلمة الله – كان خروجه كخروجهم، في الحكم والفضيلة، وإن اختلفت الوسيلة، وذلك أن خروجهم لم يحسن إلَّا لأجل هذه الغاية، فالأمور بمقاصدها، والوسائل لها أحكام المقاصد، فأيُّ خروج يُحَصِّلُ هذه الغاية السَّامية فهو خروج في سبيل الله، ويكون ممن اتَّبَع الصحابة رضي الله عنهم بإحسانٍ، وينال صاحبُهُ موعودَ الله ﷻ على هذا الخروج .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُوْنَ

إِرْسَالُهُ ﷺ رَجُلاً مِنْ عَامَّةِ أَصْحَابِهِ لِدَعْوَةِ أَحَدِ فَرَاعِنَةِ العَرَبِ إِلَى اللهِ ﷻ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا مَرَّةً إِلَى رَجُلٍ مِنْ فَرَاعِنَةِ الْعَرَبِ، فَقَالَ : "**اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي** [(١)]". قَالَ : فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ : يَدْعُوكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ لَهُ : مَنْ

---

(١) أي ادعه إلى الإيمان بي وبمن أرسلني، كما جاء في رواية عن أنس ﷺ، قال : أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَأْسٍ مِنْ رُءُوسِ الْمُشْرِكِينَ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، .. ثمَّ قال له النَّبِيِّ ﷺ الثانية : "**ارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ إِلَى اللَّهِ** ". قلت : وهذا الصحابي الذي بعثه النَّبيُّ ﷺ لدعوة هذا الطاغية لا يظهر أنَّه كان من علماء الصحابة الذين يحسنون الجدال عن الحق، بل الظاهر أنه كان من عوامهم، حيث إنه لم يجادله ولم يردَّ عليه، ومع هذا لم يبعث رسول الله ﷺ مكانه من هو أعلم منه وأقدر على الجدال، كما أنَّ رسول الله ﷺ لم يعرِّفه طريقة الرَّدِّ عليه، بل ردَّه إليه ثانيةً وثالثةً، لأنَّه بدعوته إياه إلى الله تكون قد قامت عليه حجة الله، والجدال في الدين إنما يلجأُ إليه في بعض الأحيان، والقائمون به لا بُدَّ من أنْ تتوافر فيهم مواصفات ومؤهِّلات تمكنهم من الردِّ على شبهات المضللين، أمَّا الدعوة إلى الدين فلا يشترط فيمن يقوم بها أن تتوافر فيه هذه المواصفات، فإنما عليه أن يبلِّغ الرسالة، ويؤدي الأمانة إلى أهلها، فمن قبلها كان ذلك حظَّه في الدنيا والآخرة، ومن ردَّها كانت مقابلته مع الله ﷻ، فهو الذي يتولى أمر إهلاكه، كما حصل مع هذا الطاغية وغيره من الأمم السابقة، وهذه سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، وهكذا فَعَلَ ﷺ مع من دعاهُ إلى الجدال بالباطل؛ فأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وغيرهم اجْتَمَعُوا، أَوْ مَنِ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ، بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ : إِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدِ اجْتَمَعُوا إِلَيْكَ لِيُكَلِّمُوكَ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ بَدَا لَهُمْ فِي أَمْرِهِ بَدَاءٌ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا، يُحِبُّ رُشْدَهُمْ وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنُعْذِرَ فِيكَ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ، وَعِبْتَ الدِّينَ، وَسَفَّهْتَ الْأَحْلَامَ، وَشَتَمْتَ الْآلِهَةَ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إِلَّا وَقَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ مَالًا، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ بِمَا يَأْتِيكَ بِهِ رِئْيًا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ ==

www.saida-islam.weebly.com

رَسُولُ اللَّهِ ؟ وَمَا اللَّهُ ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ ؟ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ ؟ أَمْ مِنْ نُحَاسٍ هُوَ ؟ قَالَ : فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ لِي

=وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّابِعَ مِنَ الْجِنِّ : الرِّئْيَ -، فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ، بَذَلْنَا أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطِّبِّ لَكَ حَتَّى نُبَرِّئَكَ مِنْهُ، أَوْ نُعْذِرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ". أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ، فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا مَا عَرَضْنَا عَلَيْكَ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَضْيَقَ بِلَادًا، وَلَا أَقَلَّ مَالًا، وَلَا أَشَدَّ عَيْشًا مِنَّا، فَسَلْ رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِمَا بَعَثَكَ بِهِ، فَلْيُسَيِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي قَدْ ضُيِّقَتْ عَلَيْنَا، وَيَبْسُطْ لَنَا بِلَادِنَا، وَلْيُفَجِّرْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا، وَلْيَكُنْ فِيمَنْ يَبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا صَدُوقًا، فَنَسْأَلُهُمْ عَمَّا تَقُولُ، حَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ ؟ فَإِنْ صَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ، وَصَدَّقُوكَ صَدَّقْنَاكَ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ رَسُولًا، كَمَا تَقُولُ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **وَمَا بِهَذَا بُعِثْتُ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ". قَالُوا : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنَا هَذَا، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ، وَيُرَاجِعُنَا عَنْكَ، وَاسْأَلْهُ فَلْيَجْعَلْ لَكَ جِنَانًا وَكُنُوزًا وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَيُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَ مَنْزِلَتِكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، مَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ". أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٧٢١) وانظر تفسير «ابن كثير» (٣/٧٩ - ٨٠). وقال ابن كثير في تفسيره : وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له، لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيبوا إليه، ولكن علم أنهم إنما يطالبون ذلك كفراً وعناداً له، فقيل لرسول الله ﷺ : **إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْنَاهُم مَا سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا عَذَّبْتُهُم عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ، وإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ عَلَيهِم بَابَ التَّوبَةِ وَالرَّحْمَةِ؟** فَقَالَ :" **بَلْ تَفْتَحُ عَلَيهِمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ** ".

www.saida-islam.weebly.com

كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ :" ارْجِعْ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ ". أُرَاهُ، فَذَهَبَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَهَا . فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ . قَالَ :" ارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ ". فَرَجَعَ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ . قَالَ : فَأَعَادَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْكَلَامَ . فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُهُ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ ﷻ سَحَابَةً حِيَالَ رَأْسِهِ، فَرَعَدَتْ، فَوَقَعَتْ مِنْهَا صَاعِقَةٌ، فَذَهَبَ بِقِحْفِ رَأْسِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (١).

*****

(١) رواه النسائي في الكبرى (١١١٩٥) وأبو يعلى في مسنده (٣٣٤١) واللفظ له، والطبراني في الأوسط (٢٦٠٢) والبزار في مسنده (٧٠٠٧) بنحوه؛ وفي إسناد أبي يعلى والطبراني عليُّ بن أبي سارة، وهو ضعيف، لكنه لم ينفرد به، بل تابعه ديلم بن غزوان، وهو ثقة، قاله البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة». وقال الهيثمي : رجال البزار رجال الصحيح، غير ديلم بن غزوان، وهو ثقة . وفي رواية عنه رضي الله عنه، بنحوه إلَّا أنه قال : .. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – قَدْ أَنْزَلَ عَلَى صَاحِبِكَ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ** ". فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ **[الرعد: ١٣]**. وفي الحديث بيان قوة الدعوة إلى الله ﷻ، وعظم أثرها في تدمير الباطل وأهله، فما من باطل في العالم إلَّا وزواله اليقيني مربوط بقيام أهل الحق بالدعوة إليه، كما قال ﷻ : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾. وقال ﷻ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ﴾. وقال ﷻ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾. أَيْ أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ إِعْذَارًا وإنذاراً وتخويفاً ووعيداً، فَفَسَقُوا أي فخرجوا عَنِ الطَّاعَةِ عَاصِينَ لَنَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَوَجَبَ عَلَيْهَا الْوَعِيدُ. «تفسير القرطبي» (١٠/٢٣٤).

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُوْنَ

دَعْوَةُ أُمِّ سُلَيْمٍ [١] أَبَا طَلْحَةَ إِلَى الإِسْلامِ حِيْنَ خَطَبَهَا ، وَدُخُولُهُ فِيْ الإِسْلامِ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ ﷺ خَطَبَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ : **يَا أَبَا طَلْحَةَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ خَشَبَةٌ تَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ نَجَّرَهَا حَبَشِيُّ بَنِي فُلَانٍ** ؟ قَالَ : بَلَى، قَالَتْ : **أَفَلَا تَسْتَحِي أَنْ تَعْبُدَ خَشَبَةً مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ نَجَّرَهَا حَبَشِيُّ بَنِي فُلَانٍ ؟ إِنْ أَنْتَ أَسْلَمْتَ لَمْ أُرِدْ مِنْكَ مِنَ الصَّدَاقِ غَيْرَهُ** [٢]. قَالَ : لا حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي . قَالَ :

---

(١) اختلف في اسمها، فقيل سهلة، وقيل رميلة، وقيل رميثة، وقيل مليكة، وقيل الغميصاء أو الرّميصاء، تزوّجت مالك بن النضر في الجاهليّة، فولدت أنساً في الجاهليّة، وأسلمت مع السَّابقين إلى الإسلام من الأنصار، فغضب مالك وخرج إلى الشَّام فمات بها، فتزوّجت بعده أبا طلحة، وَكَانَ إِسْلَامُهُ صَدَاقَهَا، كَانَتْ تَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَتُدَاوِي الْجَرْحَى، وَتَقُومُ بِالْمَرْضَى، وَشَهِدَتْ حُنَيْنًا مَعَهَا خِنْجَرٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقِيلُ عِنْدَهَا، فَكَانَتْ تَسْلُتُ عَرَقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَطَّيَّبُ بِهَا، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا أُدْخِلَ الْجَنَّةَ رَآهَا فِي الْجَنَّةِ . ولها فضائل كثيرة يطول ذكرها . «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤٠٨/٨) و«معرفة الصحابة لأبي نعيم» ص (٣٥٠٤) .

(٢) وفي رواية أبي داوود الطيالسي في مسنده (٢١٦٨) أنه حينما خطبها قالت له : **يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا مِثْلُكَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ امْرُؤٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، لَا يَصْلُحُ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ**، فَقَالَ : مَا ذَاكِ دَهْرُكِ، قَالَتْ : **وَمَا دَهْرِي** ؟ قَالَ : الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ، – أي الذهب والفضة – قَالَتْ : **فَإِنِّي لَا أُرِيدُ صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ، أُرِيدُ مِنْكَ الْإِسْلَامَ** . وفي هذا بيان لعظمة هذه المرأة وعظمة الإسلام في قلبها، حيث إنها جعلت صداقها الذي هو حقُّها إسلامَ أبي طلحة، فبَذْلِتْ نَفْسَهَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ، وَكان هَذَا أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنَ جميع أمْوالِ الدنيا؛ فكان هذا أفضل مهر أُمْهِرَتْهُ امرأةٌ، كما قَالَ ثَابِتٌ : **فَمَا سَمِعْنَا بِمَهْرٍ قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ مَهْرِ أُمِّ سُلَيْمٍ : الإِسْلامُ** . ولم تتكلف أم سليم في دعوتها أبا طلحة كثيراً من الكلام، كما أنها لم تحتج كثيراً من البيان والعلم في ذلك، ولكنها بذلت نفسها في سبيل هدايته مما كان عليه من عبادة حجر لا ينفع ولا يضر، فجازاها الله خير الجزاء، فهداه بها، فكان أبو طلحة ﷺ حسنةً من حسناتها، وأعماله كلها في صحيفة أعمالها؛ وهذه الدعوة يستطيعها كل مسلم، وهي الدعوة العملية، بالتجاوز عن بعض الحقوق، وبذل النفس والمال لأجل هداية الناس، فلا يحتاج مع هذا كثيراً من الكلام، لأن دعوة الحال أبلغ من دعوة المقال، فالناس لا يتأثرون بدعوة المقال بقدر ما يتأثرون بدعوة الحال، كما قيل : **حَالُ رَجُلٍ يُؤَثِّرُ فِي أَلْفِ رَجُلٍ، وَمَقَالُ** =

www.saida-islam.weebly.com

فَذَهَبَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . قَالَتْ : **يَا أَنَسُ زَوِّجْ أَبَا طَلْحَةَ**(١) (٢) .

=**أَلْفِ رَجُلٍ لَا يُؤَثِّرُ في رَجُلٍ** . فالمتحقّقُ من كلامه الذي يدعو إليه المتأثرَ به يجعله الله سبباً للتأثير في الآخرين، وإن كان علمه يسيراً، وإلّا فلا، كما قال مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : **إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصَّفَا.** وَكَانَ سَوَّارٌ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : **كَلَامُ الْقَلْبِ يَقْرَعُ الْقَلْبَ، وَكَلَامُ اللِّسَانِ يَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ صَفْحًا.** وَقَالَ زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : **إِذَا خَرَجَ الْكَلَامُ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ يُجَاوِزِ الْآذَانَ** . «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٥٥) و(١٢٥٦) و(١٢٥٧) . وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : **كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَبَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرَى ذَلِكَ في تَخَشُّعِهِ وبَصَرِهِ ولِسَانِهِ ويَدِهِ وزُهْدِهِ وصَلاتِهِ وبَدَنِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَطْلُبُ الْبَابَ مِنَ الْعِلْمِ فَهُوَ خَيرٌ لَهُ مِنَ الدُّنيا ومَا فِيهَا**، وقَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : **إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَسْمَعُ الْعِلْمَ الْيَسِيرَ فَيَسُودُ بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِ، يُعْرَفُ ذَلِكَ في صِدْقِهِ ووَرَعِهِ، وإِنَّهُ لَيَرْوِي الْيَوْمَ خَمْسِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ لا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ عَلَى قَلَنْسُوَتِهِ.** « الكفاية في علم الرّواية» للخطيب البغدادي ص (٦) .

(١) اسمه زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ .. بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، عَقَبِيٌّ، بَدْرِيٌّ، نَقِيبٌ، آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَوَلَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةَ شَعْرِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ يَسْرُدُ الصَّوْمَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ غَازِيًا فِي الْبَحْرِ، وَدُفِنَ فِي بَعْضِ الْجَزَائِرِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ؛ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ : "**صَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ فِئَةٍ** "، وَكَانَ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُ : نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَوَجْهِي لِوَجْهِكَ الْوِقَاءُ، وَنَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءُ، وَهُوَ الَّذِي حَفَرَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَحَدَ لَهُ. وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا** ﴾ **[التوبة: ٤١]** قَالَ : أَيْ بَنِيَّ، مَا أَرَى رَبَّنَا إِلَّا يَسْتَنْفِرُنَا شُيُوخًا وَشَبَابًا، يَا بَنِيَّ جَهِّزُونِي جَهِّزُونِي، وَقَالَ بَنُوهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ، قَدْ غَزَوْتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى مَاتَ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ، قَالَ : لَا، جَهِّزُونِي، فَغَزَا الْبَحْرَ فَتُوُفِّيَ، وَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُونَهُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَدَفَنُوهُ فِيهَا وَلَمْ يَتَغَيَّرْ . «معرفة الصحابة لأبي نعيم» ص (١١٤٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٦٥١) والنسائي في الكبرى (٥٣٧٤) والحاكم في المستدرك (٢٧٣٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/٦٠) واللفظ له . وقال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. وقال الذهبي : على شرط مسلم .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُوْنَ

دَعْوَةُ رَجُلٍ قَوْمَهُ إِلَى الإِسْلامِ فَوْرَ إِسْلامِهِ تَأَثُّراً بِشِدَّةِ كَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : **أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ** (١). فَقَالَ أَنَسٌ: **إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا** (٢) (٣).

---

(١) جاء في رواية لمسلم عنه رضي الله عنه قال : **مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ** . فمثل هذا العطاء هو نوع من أنواع الدعوة العملية، والذي له دور كبير في التأثير على قلوب الناس بتأليفها واستمالتها لقبول الحق، بل وقيامها بالدعوة إليه، كما قال تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. فهذا الأعرابي جاء يسأل النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فأعطاه ﷺ هذا العطاء الجزيل، ولم يَرِدْ أنه كَلَّمَهُ عن الإسلام، فتأثر وصار داعيةً إلى الإسلام، ورسولاً لرسول الله ﷺ إلى قومه، يدعوهم إلى الإسلام، ويبيِّن لهم كرم رسول الله ﷺ، فقال : **يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ** . وفيه أيضاً أنَّ الدعوة ليست مقصورة على العلماء فحسب، – وإن كانوا هم أكثر الناس مسؤولية عنها — بل إنَّ عوامَّ الأمة كذلك لهم نصيب من هذه المسؤولية العظمى، فهذا الأعرابي أسلم متأثراً بأخلاق المصطفى ﷺ، فرجع يدعو إليها دون إيعاز منه ﷺ؛ وهذا حال كلِّ من تأثر بشيء، فإنه يسعى لدلالة الناس عليه، فالمسلم المتأثر بدينه وأخلاق نبيه ﷺ لا يمنعه من الدعوة إليها وترغيب الناس بها أيُّ مانع مهما كان الثمن؛ كما أن النَّبِيَّ ﷺ أسوةٌ للأمة جمعاء في شأنه كله : عباداته ومعاملاته ومعاشراته وأخلاقه ودعوته، فكما كان ﷺ داعياً بأخلاقه، فعلى كل مسلم أن يدعو إلى الله ﷻ بأخلاقه، لأن الدعوة – كما تقدم – ليست مقصورة على الدعوة القولية، فالدعوة الخلقية أعظم وقعاً على القلوب، وأدوم أثراً فيها، لهذا كان أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، كما أنَّهم يبلغون بحسن أخلاقهم درجة الصائم القائم .

(٢) الْمُرَادُ أَنَّهُ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ أَوَّلًا لِلدُّنْيَا، لَا بِقَصْدٍ صَحِيحٍ بِقَلْبِهِ، ثُمَّ مِنْ بَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَنُورِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى يَنْشَرِحَ صَدْرُهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَيَتَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . «شرح مسلم للنووي» (٧٢/١٥) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٣١٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيْثُ الأَرْبَعُوْنَ

عَفْوُهُ ﷺ عَنْ رَجُلٍ مُشْرِكٍ ورُجُوعُهُ إِلَى قَوْمِهِ دَاعِياً إِلَى أَخْلاقِهِ ﷺ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفلَ معَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ[٢] في وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ[٣]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحتَ سَمُرَةٍ[٤] فَعَلَّقَ بِهَا سَيفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ يَدْعونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أعْرَابِيٌّ، فَقَالَ :" **إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ[٥] عَلَيَّ سَيفِي وَأنَا نَائمٌ، فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ في يَدِهِ صَلتاً[٦]، قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : الله – ثلاثاً –** ". وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ [٧] .

وفي رِوَايَةٍ قَالَ جَابرٌ رضي الله عنه : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَسَيفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ :" **لاَ** ". فَقَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : "**اللهُ**"[٨].

---

(١) أي رجع .

(٢) القائلة هي نصف النهار أو الظهيرة، والمراد هنا القيلولة، وهي النوم في نصف النهار «تاج العروس شرح القاموس» .

(٣) هو الشجر الَّذِي لَهُ شوك .

(٤) بفتح السين وضم الميم : الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْح ، وهيَ العِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ .

(٥) أي سلّه وَهُوَ في يدهِ .

(٦) أي مسلولاً ، وَهُوَ بفتح الصادِ وضَمِّها «رياض الصالحين» .

(٧) رواه البخاري برقم (٢٩١٠) ومسلم (٦٠٩٠) .

(٨) رواه البخاري برقم (٤١٣٦) ومسلم بنحوه (١٩٨٦)

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ بْنَ خَصَفَةَ[١]، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ :" **اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ** ". فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : "**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟**" قَالَ : كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ . قَالَ :" **أَتَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟**" قَالَ : لا، وَلَكِنْ أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لا أُقَاتِلَكَ وَلا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ . فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ [٢] .

---

(١) أي قبيلة محارب .

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥١٩٠) والحاكم في المستدرك (٤٣٢٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وأخرج الواقدي في مغازيه (١٩٤/١) قصّةً تُشْبِهُ هذه القصة لرجل من الأعراب يقال له دعثور بن الحارث، وأنه لَمَّا رجع إلى قومه قالوا له : أَيْنَ مَا كُنْت تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَك وَالسّيْفُ فِي يَدِك ؟ قَالَ : وَاَللّهِ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنّي نَظَرْت إلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْت لِظَهْرِي، فَعَرَفْت أَنّهُ مَلَكٌ، وَشَهِدْت أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ . وَاَللّهِ لا أُكْثِرُ عَلَيْهِ، **وَجَعَلَ يَدْعُو قَوْمَهُ إلَى الإسْلامِ** . وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيهِ : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ** ﴾ **[المائدة:١١]** الآيَةَ . وذكرها البيهقي في «دلائل النبوة» (١٦٨/٣) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٤) وقال : قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه، فلعلَّهما قصتان . قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً، لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم، بل استمر على دينه، ولم يكن عاهد النبي ﷺ ألَّا يقاتله . والله أعلم. وقد عدَّ الحافظ الذهبي في «التجريد» غورث بن الحارث من جملة الصحابة، ونازعه الحافظ ابن حجر في ذلك في «الإصابة»، ثم إنه عدَّه في الصحابة في «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» فقال : غورث بن الحارث، له صحبة . وقال في «الفتح» : وقع عند الواقدي في سبب هذه القصة أن اسم الأعرابي دعثور، وأنه أسلم، لكن ظاهر كلامه أنهما قصتان في غزوتين؛ فالله أعلم . وقال في «الإصابة» في ترجمة دعثور ابن الحارث : وقصته هذه شبيهة بقصة غورث بن الحارث المخرَّجة في الصحيح من حديث جابر، فيحتمل التعدد، أو أحد الاسمين لقب إن ثبت الاتِّحاد . والله أعلم . وفي هذا القصة ما سبق في القصة قبلها من أثر الدعوة العملية على قلوب الناس، حيث تجعل أشدَّ الناس عداوة وليّاً حميماً، وداعياً إلى الإسلام وأخلاقه .

www.saida-islam.weebly.com

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ

بَيَانُ أَنْوَاعِ العِلْمِ وحَقِيقَةِ العِلْمِ النَّافِعِ والغَايَةِ مِنهُ وطَرِيقِ تَحْصِيلِهِ ونَشْرِهِ :

- **بَيَانُ أَنَّ العِلمَ عِلْمَانِ :**

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **الْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ فِيْ الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ** " (١) .

فَالْعِلْمُ يَنْقَسِمُ إِلى هَذَينِ الْقِسْمَيْنِ :

الأَوَّلُ : مَا كَانَ ثَمَرَتُهُ فِي قَلْبِ الإِنْسَانِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِاللهِ ﷻ وأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ، الْمُقْتَضِيَةِ لِخَشْيَتِهِ ومَهَابَتِهِ وإِجْلالِهِ وَالخُضُوعِ لَهُ، ومَحَبَّتِهِ ورَجَائِهِ ودُعَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيهِ ونَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِيْ : الْعِلْمُ الَّذِي عَلَى اللِّسَانِ وَهُوَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ؛ وهُوَ الْعِلْمُ الَّذِيْ لَمْ يُسْبَقْ بِالإِيْمَانِ، فَلا يَدْفَعُ صَاحِبَهُ عَلَى الْعَمَلِ وَالتَّبْلِيغِ، وَلا يُرَادُ بِهِ رِضْوَانُ اللهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ، وإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْجَدَلُ وَالْفَخْرُ عَلَى الأَقْرَانِ (٢)، أَوِ التَّوَصُّلُ إِلى مَتَاعِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ وَظِيْفَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ زَادِ الآخِرَةِ، بَلْ إِنَّهُ يُعَجِّلُ بِصَاحِبِهِ إِلى دُخُولِ

---

(١) رواه الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢١٧٩) وقال المنذري في الترغيب : بإسناد حسن، ورواه ابن عبد البر النمري في «جامع بيان العلم وفضله» عن الحسن مرسلاً بإسناد صحيح. وقال الحافظ العراقي في «المغني»: سنده جيد، وإعلال ابن الجوزي له وَهْمٌ .

(٢) أخرج الطبراني في الأوسط (٦٢٤٢) عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ حَتَّى يَخْتَلِفَ التُّجَّارُ فِي الْبَحْرِ، وحَتَّى تَخُوضَ الْخَيْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، يَقُولُونَ: مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا؟**" ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :" **هَلْ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟**" قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ :" **أُولَئِكَ مِنْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودِ النَّارِ**". وقال المنذري في الترغيب : بإسناد لا بأس به . وأخرجه في الكبير (١٣٠١٩) عن أم الفضل وابن عباس، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٧٦) عنها . وقال المنذري : وإسناده حسن إن شاء الله .

النَّارِ، وهَذَا هُوَ الَّذِيْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ، فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ**"(١).

- بَيَانُ حَقِيقَةِ العِلمِ النَّافِعِ والفِقْهِ في الدِّينِ (٢):

قَالَ ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه : **لَيْسَ الْعِلْمُ بكَثْرَةِ الْحَدِيْثِ، وَلكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ** (٣) .

---

(١) رواه مسلم عن زيد بن أرقم (٧٠٨١) .

(٢) قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله : اعْلَمْ أَنَّهُ بُدِّلَتْ أَلْفَاظٌ وحُرِّفَتْ، ونُقِلَتْ إلى مَعَانٍ لَمْ يُرِدْهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ فَمِنْ ذَلِكَ : **الْفِقْهُ**، فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِيهِ بِالتَّخْصِيصِ، فَخَصُّوهُ بِمَعْرِفَةِ الْفُرُوعِ وَعِلَلِهَا، ولَقَدْ كَانَ اسْمُ الْفِقْهِ فِي الْعَصْرِ الأَوَّلِ مُنْطَلِقاً عَلَى عِلْمِ طَرِيقِ الآخِرَةِ، ومَعْرِفَةِ دَقَائِقِ آفَاتِ النُّفُوسِ، ومُفْسِدَاتِ الأَعْمَالِ، وقَوَّةِ الإحَاطَةِ بِحَقَارَةِ الدُّنْيَا، وشِدَّةِ التَّطَلُّعِ إلى نَعِيمِ الآخِرَةِ، وَاسْتِيْلاءِ الْخَوْفِ عَلَى الْقَلْبِ . ويَدُلُّكَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾، ومَا يَحْصُلُ بِهِ الإِنْذَارُ والتَّخْوِيفُ هُوَ هَذَا الْفِقْهُ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾، وأَرَادَ بِهِ مَعَانِيَ الإِيْمَانِ دُوْنَ الْفَتَاوَى؛ ولِذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ رحمه الله :" **إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ في الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ في الآخِرَةِ، الْبَصِيرُ بِدِينِهِ، الْمُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ، الْوَرِعُ الْكَافُّ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، الْعَفِيفُ عَنْ أَمْوَالِهِمْ، النَّاصِحُ لَهُمْ** "، فَكَانَ إِطْلاقُهُمُ اسْمَ الْفِقْهِ عَلَى عِلْمِ الآخِرَةِ أَكْثَرَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَنَاوِلاً لِلْفَتَاوَى، ولَكِنْ كَانَ مُتَنَاوِلاً لِذَلِكَ بِطَرِيقِ الْعُمُومِ وَالشُّمُولِ، فَثَارَ مِنْ هَذَا التَّخْصِيصِ تَلْبِيسٌ بَعَثَ النَّاسَ عَلَى التَّجَرُّدِ لِعِلْمِ الْفَتَاوَى الظَّاهِرَةِ، وَالإِعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ الْمُعَامَلَةِ لِلآخِرَةِ. **اللَّفْظُ الثَّانِيْ: الْعِلْمُ** ؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَى الْعِلْمِ بِاللهِ تَعَالَى وَبِآيَاتِهِ، أَيْ نِعَمِهِ وأَفْعَالِهِ فِي عِبَادِهِ، فَخَصُّوهُ وسَمَّوْا بِهِ الْغَالِبَ الْمُنَاظِرَ فِي مَسَائِلِ الْفِقْهِ، وإِنْ كَانَ جَاهِلاً بِالتَّفْسِيرِ وَالأَخْبَارِ. **اللَّفْظُ الثَّالِثُ: التَّوْحِيدُ**؛ وقَدْ كَانَ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلى أَنْ تُرَى الأُمُورُ كُلُّهَا مِنَ اللهِ تَعَالَى رُؤْيَةً تَقْطَعُ الإِلْتِفَاتَ إلى الأَسْبَابِ وَالْوَسَائِطِ، فَلا يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ إِلاَّ مِنْهُ جل جلاله، فَيُثْمِرُ ذَلِكَ التَّوَكُّلَ وَالرِّضَى، وقَدْ جُعِلَ الآنَ عِبَارَةً عَنْ صِنَاعَةِ الْكَلامِ فِي الأُصُولِ، وذَلِكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ عِنْدَ السَّلَفِ . «مختصر منهاج القاصدين» (١/٩) بتصرف من عبارة الإحياء، وانظر «إحياء علوم الدين» (١/٥٤-٥٦) .

(٣) رواه أحمد في «الزهد» (٨٧٢) وفي «الورع» (٢٨٢) ورواته ثقات. ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٣١).

وقال رضي الله عنه : **كَفَى بخَشْيَةِ اللهِ عِلْماً، وَكَفَى بالاغْتِرَارِ باللهِ جَهْلاً** . وقَالَ رضي الله عنه : **إنَّ أَقْوَاماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلكِنْ إذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ** (١) .

وكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه إلى أَبِيْ مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه : **إنَّ الْفِقْهَ لَيْسَ بكَثْرَةِ السَّرْدِ وَسَعَةِ الْهَذْرِ وَكَثرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا الْفِقْهُ خَشْيَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** (٢) .

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ : **لَيسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّهُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ**(٣)؛ وفي رِوَايَةٍ عَنهُ : **الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ نُورٌ يَهْدِيْ بِهِ اللهُ مَنْ يَشَاءُ، وَلَيسَ بِكَثْرَةِ الْمَسَائِلِ** .

وقَالَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ : **الْعِلْمُ إذَا لَمْ يَنْفَعْ ضَرَّ**؛ وَقَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: **إنَّا نَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَلائِكَةَ تَسْتَحْسِنُهُ، وَلَعَلَّهَا تَلْعَنُ عَلَيهِ** .

وقِيلَ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ : إنَّ مَعْرُوفاً الْكَرْخِيَّ قَصِيرُ العِلْمِ، فَقَالَ : **وَهَلْ يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ إلاَّ مَا وَصَلَ إلَيْهِ مَعْرُوفٌ** ؟! وَسَئَلَهُ ابْنُهُ عَبدُ اللهِ : هَلْ كَانَ مَعَ مَعْرُوفٍ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ : **يَا بُنَيَّ كَانَ مَعَهُ رَأْسُ العِلْمِ خَشْيَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (٤) .

وقَالَ إبْرَاهِيمُ الخَوَّاصُ رَحِمَهُ اللهُ : **لَيسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، إنَّمَا العَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ العِلْمَ وَاسْتَعْمَلَهُ وَاقْتَدَى بِالسُّنَنِ، وَإنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ** (٥) .

- بَيَانُ صِفَاتِ العَالِمِ والفَقِيهِ :

---

(١) أخرجه ابن بطة العكبري في كتاب إبطال الحيل ص (١٨) .
(٢) رواه مسلم عن ابن مسعود موقوفاً (١٩٤٥).
(٣) «مسند الموطأ» للحافظ أبي القاسم الجوهري (٣/١) .
(٤) «تاريخ بغداد» (١٣/٢٠٠ – ٢٠١) .
(٥) «شعب الإيمان» للبيهقي (١٨٢٣) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ : **أَلا أُخْبِرُكُمْ بالفَقِيهِ ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، وَلَمْ يَدَعِ القُرْآنَ رَغْبَةً عَنهُ إلى غَيْرِهِ .**

وسُئِلَ الحَسَنُ البِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ مَسأَلَةٍ فَأَجَابَ، فَقِيلَ : إنَّ فُقَهَائَنَا لا يَقُولُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ : **وَهَلْ رَأَيْتُمْ فَقِيهاً قَطُّ ؟! الْفَقِيْهُ هُوَ الْقَائِمُ لَيْلَهُ الصَّائِمُ نَهَارَهُ، الزَّاهِدُ فِي دُنيَاهُ، الَّذِيْ لا يُدَارِيْ وَلا يُمَارِيْ، يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنهُ حَمِدَ اللهَ، وَفَقِهَ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَعَلِمَ مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ، فَذَاكَ هُوَ الْعَالِمُ الْذِي قِيْلَ فِيْهِ : مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مِنَ الْمَغْرُوْرِيْنَ**[1]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ: تَدْرِيَ مَا الْفَقِيهُ ؟ **الْوَرِعُ الزَّاهِدُ الْمُقِيمُ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَالَّذِي لا يَسْخَرُ بِمَنْ أَسْفَلَ مِنهُ، وَلا يَهْزَأُ بِمَنْ فَوقَهُ، وَلا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللهُ إِيَّاهُ حُطَاماً .**

وعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : **الفَقِيهُ مَنْ يَخَافُ اللهَ وَإِنْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَالجَاهِلُ مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ كَثُرَ عِلْمُهُ**[2]. وقِيلَ لِسَعدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ أَفْقَهُ أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ ؟ قَالَ : **أَتقَاهُمْ** . وقَالَ سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ : **العَالِمُ بِاللهِ الْخَائِفُ مِنَ اللهِ، وَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ فُلانٌ عَنْ فُلانٍ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْعِلْمَ وَالخَوفَ مِنَ اللهِ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَإِنْ كَانَ يُحْسِنُ فُلانٌ عَنْ فُلانٍ .**

وسُئِلَ عَبدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ : هَلْ لِلعُلَمَاءِ عَلامَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا ؟ قَالَ : **عَلامَةُ العَالِمِ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَاسْتَقَلَّ كَثِيرَ العِلْمِ والعَمَلِ مِنْ نَفْسِهِ، ورَغِبَ في عِلْمِ غَيْرِهِ، وقَبِلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ أَتَاهُ بِهِ، وَأَخَذَ العِلْمَ حَيثُ وَجَدَهُ، فَهَذِهِ عَلامَةُ الْعَالِمِ وصِفَتُهُ؛** وقَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : **لا نَثِقُ لِلنَّاسِ بِعَمَلِ عَامِلٍ لا يَعْلَمُ، وَلا نَرْضَى لَهُمْ بعِلْمِ عَالِمٍ لا يَعْمَلُ .**

---

(١) «مغني المحتاج» للشربيني (٣/٧٩) ورواه أحمد في «الزهد» بمعناه برقم (١٥٣٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٩/٢٥٥).

www.saida-islam.weebly.com

ورُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : **يُوشِكُ أَنْ لا يَبْقَى مِنَ الإِسْلامِ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يومئذٍ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيْمِ السَّمَاءِ، مِنْ عِندِهُمْ تَخْرُجُ الْفِتنَةُ وَفِيهِمْ تَعُودُ** (١)؛ وَعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ ذَكَرَ فِتَناً في آخِرِ الزَّمَانِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه : **مَتَى ذَلِكَ يَا عَلِيُّ ؟** قَالَ : **إِذَا تُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّيْنِ، وتُعُلِّمَ الْعِلْمُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ** (٢)؛ وعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : **يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ! اعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ وَوَافَقَ عِلْمَهُ عَمَلُهُ، وسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، تُخَالِفُ سَرِيْرَتُهُم عَلانِيَتَهُم، ويُخَالِفُ عَمَلُهُم عِلْمَهُم، يَقْعُدُونَ حِلَقاً، فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً** (٣) .

وقَالَ عِيسَى عليه السلام : **يَا مَعْشَرَ الحَوَارِيِّيْنَ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الدُّنيَا لا تَصْلُحُ إِلاَّ بِالْمِلْحِ، وَالطَّعَامُ لا يَطِيبُ إِلاَّ بِهِ، فَإِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَسَدَ الطَّعَامُ وذَهَبَتْ مَنْفَعَتُهُ، وَكَذَلِكَ العُلَمَاءُ مِلْحُ الأَرضِ لا تَسْتَقِيمُ الأَرْضُ إِلاَّ بِهِم، وَإِذَا فَسَدَ العُلَمَاءُ فَسَدَتِ الأَرْضُ .**

- بَيَانُ أَنَّ الغَايَةَ المَقْصُودَةَ مِنَ العِلْمِ هِيَ العَمَلُ بِهِ، وأَهَمِّيَّة تَصْحِيحِ النِّيَّةِ فِيهِ :

قَالَ ﷺ :" **مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله، لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَومَ الْقِيَامَةِ**"(٤)، وَقَالَ ﷺ :" **مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ** " (٥).

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجاهر العلم» (٥١٩) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» مرفوعاً (١٩٠٨) ولا يصح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٤٣) .

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» رقم (٣١) وابن عساكر (٤٢/٥٠٩) .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (٨٤٥٧) وأبو داوود في سننه (٣٦٦٦) وابن ماجه (٢٥٢) والحاكم في المستدرك (٢٨٨) وقال: حديث صحيح سنده ثقات على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٥) رواه الترمذي عن كعب بن مالك (٢٦٥٤) واللفظ له وابن ماجه عن ابن عمر (٢٥٣) وإسناده حسن .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه : **اعْلَمُوا مَا شِئتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا، فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ اللهُ بِعِلْمٍ حَتَّى تَعْمَلُوا** [١]؛ وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : **وَيْلٌ لِمَنْ لا يَعْلَمُ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَعَلَّمَهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَعْلَمُ وَلا يَعْمَلُ سَبْعَ مَرَّاتٍ** [٢] .

وقَالَ مَكْحُولٌ رحمه الله : كَانَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ : **كُلُّ مَا تَسْأَلُ عَنْهُ تَعْمَلُ ؟** قَالَ: لا. قَالَ : **فَمَا تَصْنَعُ بِزِيَادَةِ حُجَّةِ اللهِ عَلَيكَ** [٣] .

وقَالَ سُفيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رحمه الله : **إِذَا كُنْتَ في زَمَانٍ يُرْضَى فِيهِ بِالقَولِ دُونَ الفِعْلِ، وَبِالْعِلْمِ دُونَ الْعَمَلِ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ في شَرِّ زَمَانٍ وَبَينَ شَرِّ النَّاسِ** [٤].

وقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رحمه الله : **مِنْ عَقْلِ الرَّجُلِ أَنْ لا يَطْلُبَ الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ إِذَا عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، فَيَتَعَلَّمُ العِلْمَ كَيْ يَعْمَلَ بِهِ، إِذِ الْعِلْمُ إِنَّمَا يُطْلَبُ لِلْعَمَلِ.**

وقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبدِ الْعَزِيزِ رحمه الله : **إِنَّمَا قَصَّرَ بنَا عَنْ عِلْمِ مَا جَهِلْنَا تَقْصِيرُنَا فِي الْعَمَلِ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَوْ عَمِلْنَا بِبَعْضِ مَا عَلِمْنَا لأُوْرِثْنَا عِلْمًا لا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُنَا** [٥] .

وَكَانَ الْفُضَيلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله يَقُولُ : **لَوْ صَحَّتِ النِّيَّةُ في العِلْمِ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ يُقَدَّمُ عَلَيْهِ إِلاَّ العَمَلُ ومَا يُحْتَاجُ مِنْهُ، ولَكِنْ تَعَلَّمُوهُ لِغَيرِ الْعَمَلِ .**

وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ رحمه الله إِذَا لامُوهُ عَلَى عَدَمِ جُلُوسِهِ لِتَعلِيمِ النَّاسِ الْعِلْمَ يَقُولُ : **وَاللهِ لَو عَلِمْنَا مِنْهُم أَنَّهُم يَطْلُبُونَ بِالْعِلْمِ وَجْهَ اللهِ الْعَظِيمَ لأَتَينَاهُم في بُيُوتِهِم وعَلَّمْنَاهُم، وَلَكِنَّهُم يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ لِيُجَادِلُوا بِهِ النَّاسَ، وَيَحْتَرِفُوا بِهِ أَمْرَ مَعَاشِهِم .**

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد»(٦٢) وأبو داود في «الزهد» (١٨٦) وقال فيه : **فَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اللهُ بِعِلْمٍ حَتَّى تَعْمَلُوا** .

(٢) رواه أحمد بن حنبل في «الزهد» (٨٢٣) .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦٥٩) .

(٤) ذكره ابن بطة العكبري في كتابه «إبطال الحيل» ص (٣٤) .

(٥) «تفسير الثعلبي المسمى بالكشف والبيان» (٢٩٠/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

وحُكِيَ أَنَّ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ دَخلَ عَلَى الْفُضَيلِ يوماً، فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ! عِظْنَا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ الْفُضَيْلُ : **ومَاذَا أَعِظُكُم ؟! كُنتُمْ مَعَاشِرَ الْعُلَمَاءِ سُرُجاً يُسْتَضَاءُ بِكُم في الْبلادِ، فَصِرْتُمْ ظُلْمَةً، وكُنْتُم نُجُوماً يُهْتَدَى بِكُمْ في ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، فَصِرْتُمْ حَيْرَةً، يَأْتِي أَحَدُكُم إلى هَؤُلاءِ الأُمَرَاءِ، فيَجْلِسُ عَلَى فِرَاشِهِم، يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِم، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فيَجلِسُ يُدَرِّسُ العِلْمَ والْحَدِيثَ، ويَعِظُ النَّاسَ، ويَقُولُ حَدَّثَني فُلانٌ عَنْ فُلانٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاللهِ مَا هَكَذَا كَانَ مَنْ يَحْمِلُ الْعِلْمَ.** فَبَكَى سُفْيَانُ ثُمَّ انْصَرَفَ .

وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : **مِنْ عَلامَةِ الرِّيَاءِ في طَلَبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْطُرَ في بَالِهِ أَنَّهُ خَيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ لأَجْلِ الْعِلْمِ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَاتَ قَلْبُهُ، فَإِنَّ العِلْمَ لا يُحْيِيْ قَلْبَ صَاحِبِهِ إلاَّ إِذَا أَخْلَصَ فِيهِ، وذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَكَبَّرَ بِهِ صَارَ وَجْهُهُ لِلدُّنيَا وظَهْرُهُ لِحَضْرَةِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ أَيْضاً : **إِذَا رَأَيتُم طَالِبَ العِلْمِ كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْماً ازْدَادَ جِدَالاً ورَغْبَةً في الدُّنيَا فَلا تُعَلِّمُوه .**

وَكَانَ كَعْبُ الأَحْبَارِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : **سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَعَلَّمُ جُهَّالُهُمُ الْعِلْمَ، ويَتَغَايَرُونَ بِهِ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ الأُمَرَاءِ كَمَا يَتَغَايَرُونَ عَلَى النِّسَاءِ، أَوْ كَمَا يَتَغَايَرُ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ، فَذَلِكَ حَظُّهُمْ مِنْ عِلْمِهِم .**

وَكَانَ صَالِحٌ الْمَرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : **احْذَرُوا عَالِمَ الدُّنْيَا أَنْ تُجَالِسُوهُ خَوْفاً أَنْ يَفْتِنَكُمْ بِزَخْرَفَةِ لِسَانِهِ ومَدْحِهِ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ مِنْ غَيرِ عَمَلٍ بِهِ،** وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : **رُبَّمَا كَانَ عِلْمُ العَالِمِ زَادَهُ إِلى النَّارِ، فَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَفْرَحَ بِعِلْمِهِ إِلاَّ بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصِّرَاطِ، وهُنَاكَ يَعْلَمُ حَقِيْقَةَ عِلْمِهِ، هَلْ هُوَ حُجَّةٌ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ .**

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : **يَهْتِفُ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاَّ ارْتَحَلَ.** وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : **اطْلُبُوا الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدْ غَلِطُوا في ذَلِكَ، وَصَارَ عِلْمُهُمْ كَالْجِبَالِ، وَعَمَلُهُمْ كَالْهَبَاءِ .**

www.saida-islam.weebly.com

وَكَانَ ذُو النُّونِ الْمَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : **أَدْرَكْنَا النَّاسَ وَأَحَدُهُم كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْماً ازْدَادَ فِي الدُّنْيَا زُهْداً وتَقَلُّلاً مِنْ أَمْتِعَتِهَا، ونَرَاهُمُ الْيَومَ كُلَّمَا ازْدَادَ أَحَدُهُم عِلْماً ازْدَادَ فِي الدُّنْيَا رَغْبَةً وتَكْثِيراً لأَمْتِعَتِهَا**؛ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : **فَكَيْفَ طَالِبُ العِلْمِ عَامِلاً بِهِ وَهُوَ يَنَامُ وَقْتَ الْغَنَائِمِ ووَقْتَ الْخَزَائِنِ ووَقْتَ نَشْرِ الْعُلُومِ وَالْمَوَاهِبِ فِي الأَسْحَارِ، لا يَتَهَجَّدُ فِي اللَّيْلِ سَاعَةً .**

وَقَالَ دَاوُودُ الطَّائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : **طَالِبُ العِلْمِ كَالْمُحَارِبِ، فَإِذَا أَفْنَى عُمُرَهُ فِي تَعَلُّمِ كَيْفِيَّةِ الْقِتَالِ فَمَتَى يُقَاتِلُ ؟!.**

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : **كَيْفَ يُرَائِي الْعَالِمُ بِمَا يَعْلَمُ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ كُلَّ مَا لا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ يَضْمَحِلُّ**، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : **مِنْ عَلامَةِ الْمُخْلِصِ فِي عِلْمِهِ أَنْ يَنْقَبِضَ فِي نَفْسِهِ إِذَا مَدَحَهُ الأَكَابِرُ، ويَتَأَثَّرَ كَمَا يَتَأَثَّرُ مِمَّنِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَزْنِي .**

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : **يَقْبُحُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْحَلالِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَشْبَعُ مِنَ الْحَرَامِ**؛ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : **وَرَعُ الْعُلَمَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الشُّبُهَاتِ، وإِنَّمَا وَرَعُهُمُ الْيَومَ فِي الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ**؛ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : **بَلَغَنَا أَنَّهُ يَأْتِي آخِرَ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ كَيْ لا يَضِيْعَ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ تَبِعَتُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ .**

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : **عَلامَةُ الْمُرَائِي بِعِلْمِهِ أَنْ يُرَغِّبَ النَّاسَ فِي العِلْمِ لِيَقْرَؤُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا شَاوَرَهُ أَحَدٌ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى غَيْرِهِ لا يُرَغِّبُهُ كُلَّ ذَلِكَ التَّرْغِيبِ .**

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ : **قَدْ غَلَبَ عَلَى الْقُرَّاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَكْلُ الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ، حَتَّى إِنَّهُم غَرِقُوا فِي شَهْوَةِ بُطُونِهِمْ وفُرُوجِهِم، وَاتَّخَذُوا عِلْمَهُم شَبَكَةً يَصْطَادُونَ بِهَا الدُّنْيَا، فَإِيَّاكُمْ وَمُجَالَسَتَهُم**؛ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : **لَوْلا نَقْصٌ دَخَلَ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ لَكَانُوا أَفْضَلَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُم صَارُوا يَحْتَرِفُون بِعِلْمِهِم وَيَصْطَادُونَ**

www.saida-islam.weebly.com

بِهِ الدُّنْيَا، فَهَانُوا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؛ وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : مِنْ عَقْلِ الرَّجُلِ أَنْ لا يَطْلُبَ الزِّيَادَةَ في الْعِلْمِ إلاَّ إِذَا عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، فَيَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ كَيْ يَعْمَلَ بِهِ، إِذِ الْعِلْمُ إِنَّمَا يُطْلَبُ لِلْعَمَلِ؛ وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : مَنْ حَمَلَ الْقُرْآنَ ثُمَّ مَالَ بِقَلْبِهِ إلى الدُّنْيَا، فَقَدِ اتَّخَذَ آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَلَعِباً؛ وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : إِذَا عَصَى حَامِلُ الْقُرْآنِ رَبَّهُ، نَادَاهُ الْقُرْآنُ مِنْ جَوْفِهِ، وَاللهِ مَا لِهَذا أُحْمَلُ، أَيْنَ مَوَاعِظِي وَزَوَاجِرِي، وَكُلُّ حَرْفٍ مِنِّي يَقُولُ لَكَ: لا تَعْصِيْ رَبَّكَ .

وَكَانَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَأَنْتُم تَبْكُونَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ زِيَادَةَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ يومَ القِيَامَةِ .

وَقَالَ أَبُو عِصْمَةَ رَحِمَهُ اللهُ : بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ أَطْلُبُ الحَدِيثَ، فَوَضَعَ لِي إِنَاءً فِيهِ مَاءٌ لِلتَّهَجُّد، فَجَاءَ إلى صَلاةِ الْفَجْرِ، فَوَجَدَ الإِنَاءَ بِحَالِهِ، فقال لِي: لِمَاذَا جِئْتَ ؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ أَطْلُبُ الحَدِيثَ، فَقَالَ : كَيْفَ أُعَلِّمُكُ وَلَيْس لَكَ تَهَجُّدٌ في اللَّيْلِ ؟! اذْهَبْ لِحَالِ سَبِيلِكَ .

وقَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : عَلَيْكُمْ بِالإِخْلاصِ في الْعِلْمِ لِيَنْفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْعِبَادَ. وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : لَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ غَيْرِ الْعَامِلِينَ أَنَّهُ رُؤِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: غَفَرَ اللهُ لِي بِعِلْمِيْ أَبَداً . وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : مِنَ الدَّلائِلِ الصَّرِيْحَةِ عَلَى رِيَاءِ الْعَالِمِ أَنْ يَتَأَذَّى مِمَّنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ إِذَا قَرَأَ عَلَى غَيْرِهِ [1].

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الحَارِثِ رَحِمَهُ اللهُ : أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إلى دَاوُدَ: يَا دَاوُدُ، لا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِماً مَفْتُوناً فَيَصُدَّكَ بِسُكْرِهِ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي، أُوْلَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادِي [2] .

(١) ذكر هذه الأقوال عبد الوهاب الشعراني في « العهود المحمدية» ص (٢٦٥-٢٦٦) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد» رقم (١٠) .

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : عُلَمَاءُ السُّوءِ جَلَسُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ إِلَيْهَا النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَدْعُونَهُم إِلى النَّارِ بِأَفْعَالِهِمْ، فَكُلَّما قَالَتْ أَقْوَالُهُم لِلنَّاسِ : هَلُمُّوا، قَالَتْ أَفْعَالُهُم : لا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ، فَلَوْ كَانَ مَا دَعَوْا إِلَيْهِ حَقّاً كَانُوا أَوَّلَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ، فَهُمْ فِي الصُّوْرَةِ أَدِلاَّءُ، وَفِي الْحَقِيقَةِ قُطَّاع الطَّرِيقِ (١) .

وَقَالَ الشَّعْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وتَعْلِيمِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الْمُخْلِصِينَ فِي ذَلِكَ، فَلا تُغَالِطْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ، وَقَدْ وَقَعَ لَنَا مَعَ الْمُجَادِلِينَ نِزَاعٌ كَثِيرٌ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّا نَرَاهُمْ مُتَكَالِبِينَ عَلَى الدُّنْيَا لَيلاً وَنَهَاراً مَعَ دَعْوَاهُمُ الْعِلْمَ، وتَعْظِيْمِهِمْ نُفُوسَهُمْ بِالْعِلْمِ والجِدَالِ مِنْ غَيرِ أَنْ يُعَرِّجُوا عَلَى الْعَمَلِ بِمَا عَلِمُوا؛ يَسْتَدِلُّ أَحَدُهُم بِمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَيَنْسَى الأَحَادِيثَ الَّتِي جَاءَتْ فِي ذَمِّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وهَذَا كُلُّهُ غِشٌّ لِلنَّفْسِ، وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيّاً الْخَوَّاصَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ فِي مَعْنَى حَدِيثِ :" **إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**"(٢) : مَعْنَاهُ أَنَّ النَّاسَ يَنْتَفِعُونَ بِعِلْمِ الْفَاجِرِ وَتَعْلِيمِهِ وَإِفْتَائِهِ وتَدْرِيسِهِ حَتَّى يَكُونَ فِي الصُّورَةِ كَالعُلَمَاءِ العَامِلِينَ، ثُمَّ يُدْخِلُهُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي النَّارِ لِعَدَمِ إِخْلاصِهِ (٣) .

- بَيَانُ أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ فِي تَحْصِيلِ العِلْمِ النَّافِعِ الدَّافِعِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ والتَّبلِيغِ هُوَ تَعَلُّمُ الإِيمَانِ وتَزْكِيَةُ النُّفوسِ مِنْ أَدْرَانِهَا أَوّلاً :

قَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه : **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَنَحْنُ فِتيَانٌ حَزَاوِرَةٌ** (٤)، **فَتَعَلَّمْنَا الإِيْمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ بَعْدُ، فَازدَدْنَا إِيْمَاناً** " (٥) .

(١) «الفوائد» ص (٨٥) .
(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة (٣٠٦٢) و(٤٢٠٤) و(٦٦٠٦) ومسلم (٣١٩) .
(٣) «العهود المحمدية» ص (٧) .
(٤) حزاورة: جمع حَزْوَر أو حَزَوَّر، وهو مَنْ قَارَبَ البُلُوغَ .«النهاية لابن الأثير» (٩٥٢/١) .
(٥) رواه البيهقي في سننه برقم (٥٠٧٥) ورواه ابن ماجه برقم (٦١) قال في الزوائد: إسناد هذا الحديث صحيح ورجاله ثقات .

وعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : **لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَأَحَدُنَا يُؤتَى الإِيْمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَنَتَعَلَّمُ حَلالَهَا وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنبَغِي أَنْ يَقِفَ عِندَهُ مِنهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالاً يُؤتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيْمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلا زَاجِرُهُ، وَلا مَا يَنبَغِي أَنْ يَقِفَ عِندَهُ مِنْهُ، فَيَنثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ** [(١)]؛ ومَكَثَ رضي الله عنه عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا [(٢)]؛ وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : **إِنَّا قَوْمٌ أُوتِينَا الإِيْمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّكُمْ قَوْمٌ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُؤْتَوُا الإِيْمَانَ** [(٣)] .

وقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : **إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنهُ** – أَيِ الْقُرْآنِ – **سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلى الإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ. لَقَالُوا: لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لا تَزْنُوا. لَقَالُوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا** [(٤)] .

وعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : **كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّتِي نَزَلَتْ بَعْدَهَا حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ** . قِيلَ لِشَرِيكٍ : مِنَ الْعَمَلِ ؟ قَالَ: نَعَمْ [(٥)] .

فَمَنْ أَرَادَ تَحْصِيلَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وإحياءَه في الناس فَعَلَيْهِ بأن يبدأ كَمَا بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بتعليم أصحابه، فَبَدَأَ بِالْجُهْدِ عَلَى قُلُوبِهِم حَتَّى تَتَوَجَّهَ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلى الْخَالِقِ، وَمِنَ الدُّنيَا إِلى

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٠١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي . ورواه البيهقي في سننه برقم (٥٠٧٣) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً برقم (٦٩٥) .

(٣) رواه البيهقي في سننه برقم (٥٠٧٤) .

(٤) رواه البخاري عن عائشة في كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن برقم (٤٧٠٧) .

(٥) رواه البيهقي في سننه برقم (٥٠٧٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الآخِرَةِ، وَمِنَ الأَسْبَابِ إِلى الأَعْمَالِ، وَبَعْدَ هَذَا جَاءَ عِنْدَهُمُ الشَّوقُ وَالرَّغْبَةُ لِامْتِثَالِ أَوَامِرِ اللهِ ﷻ وَالتَّضْحِيَةِ لِإِحْيَائِهَا فِي النَّاسِ .

- بَيَانُ أَنَّ العِلْمَ الَّذِي يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ تَعَلُّمُهُ بَعْدَ الإِيمَانِ هُوَ عِلْمُ الْحَالِ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** " (١) .

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ : **مَعْنَاهُ أَنْ يَلْزَمَهُ طَلَبُ عِلْمِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ وُضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ وَزَكَاتِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَكَذَلِكَ الْحَجُّ وَغَيْرُهُ** (٢).

وسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ فَقَالَ : **لَيْسَ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ، وَلَكِنْ فَرِيضَةٌ عَلَى مَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى يَعْلَمَهُ** (٣). وسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَى النَّاسِ مِنْ تَعْلِيمِ العِلْمِ ؟ فَقَالَ : **أَنْ لا يُقْدِمَ الرَّجُلُ عَلَى الشَّيْءِ إِلاَّ بِعِلْمٍ، يَسْأَلُ وَيَتَعَلَّمُ**(٤).

وسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ نَفْسِ الحَدِيثِ فَقَالَ : **عِلْمُ الحَالِ وَعِلْمُ الوَقْتِ وَعِلْمُ السِّرِّ، فَمَنْ جَهِلَ وَقْتَهُ وَمَا عَلَيهِ فَقَدْ جَهِلَ العِلْمَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ** (٥).

وَسُئِلَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، فَقَالَ : **إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ لَحَسَنٌ، وَلَكِنِ انْظُرِ الَّذِي يَلْزَمُكَ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تُمْسِيَ، وَمِنْ حِينِ تُمْسِي حَتَّى تُصْبِحَ فَالْزَمْهُ، وَلا تُؤْثِرَنَّ عَلَيْهِ شَيئاً** (٦).

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٢٢٤) وحسَّنه الحافظ المزي ووافقه السيوطي .

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٣١) .

(٣) المصدر السابق (٣٣) .

(٤) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٤٥).

(٥) «تاريخ بغداد» (٢٧/٥).

(٦) «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي ص (٣٢٨).

خاتمة في بَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الخُرُوجِ والنَّفرِ في سَبِيلِ اللهِ لِتَكْوِينِ البِيئَةِ الصَّالِحَةِ في صَلاحِ دِينِ الأُمَّةِ وعِلمِهَا :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] (١).

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧٤٧٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ : كَانَ يَنْطَلِقُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ عِصَابَةٌ، فَيَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا يُرِيدُونَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِي دِينِهِمْ، وَيَقُولُونَ لِنَبِيِّ اللَّهِ : مَا تَأْمُرُنَا أَنْ نَفْعَلَهُ ؟ وَأَخْبِرْنَا مَا نَقُولُ لِعَشَائِرِنَا إِذَا قَدِمْنَا انْطَلَقْنَا إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَيَأْمُرُهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَيَبْعَثُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ. وَكَانُوا إِذَا أَتَوْا قَوْمَهُمْ نَادَوْا: إِنَّ مَنْ أَسْلَمَ فَهُوَ مِنَّا، وَيُنْذِرُونَهُمْ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفَارِقُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ قَوْمَهُمْ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُنْذِرُونَهُمُ النَّارَ وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِالْجَنَّةِ. ومعنى ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ أي لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة، وتحذر النافرةُ المتخلفةَ. (١٧٤٨٠) فعن الحسن : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾، قال: ليتفقه الذين خرجوا، بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. قال أبو جعفر : وأما قوله : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾، فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله، على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان، مَنْ لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾، يقول : لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، حذرًا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرَهم. وقال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (١٦/١٧١) : فَإِنْ قِيلَ : أَفَتَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى وُجُوبِ الْخُرُوجِ لِلتَّفَقُّهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ ؟ قُلْنَا : مَتَى عَجَزَ عَنِ التَّفَقُّهِ إِلَّا بِالسَّفَرِ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّفَرُ، وَفِي زَمَانِ الرَّسُولِ ﷺ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ،.. أَمَّا فِي زَمَانِنَا فَقَدْ صَارَتِ الشَّرِيعَةُ مُسْتَقِرَّةً، فَإِذَا أَمْكَنَهُ تَحْصِيلُ الْعِلْمِ فِي الْوَطَنِ لَمْ يَكُنِ السَّفَرُ وَاجِبًا، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ لَفْظُ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى السَّفَرِ لَا جَرَمَ رَأَيْنَا أَنَّ الْعِلْمَ الْمُبَارَكَ الْمُنْتَفَعَ بِهِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِي السَّفَرِ .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ :" **مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ**[١]، **فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ**[٢] "[٣].

ففِي هذا إشارةٌ إِلَى أَنَّ العِلْمَ النافع والفقه في الدين لا يتأتى بِالرَّاحَةِ والجُلُوسِ، بَلْ لا بُدَّ لَهُ مِنَ الخُرُوجِ ومُفَارَقَةِ الْمَحْبُوبَاتِ؛ فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَرْحَلُونَ فِي طَلَبِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ أَيَّاماً وأَشْهُراً، كَمَا رَحَلَ جَابِرُ بْنُ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلى عَبدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ[٤]؛ وخَرَجَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلى مِصْرَ لِيَسْمَعَ حَدِيْثاً وَاحِداً مِنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ كَانَا قَدْ سَمِعَاهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرَادَ أَبُو أَيُّوبَ ﷺ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنْ حِفْظِهِ [٥]. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ رَحَلَ إِلى فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَهُوَ بِمِصْرَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَمُدُّ نَاقَةً لَهُ – أَيْ يَسْقِيهَا مَدِيداً مِنَ الْمَاءِ –، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ زَائِرًا إِنَّمَا أَتَيْتُكَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ

---

(١) أَيِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، سَوَاءٌ خَرَجَ لِتَعَلُّمِ مَا هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَيهِ، كَالإِيْمَانِ بِاللهِ وَخَشْيَتِهِ ومَحَبَّتِهِ ورَجَائِهِ ومُرَاقَبَتِهِ، ولِتَعَلُّمِ الأَحْكَامِ اللاَّزِمَةِ لَهُ فِي دِيْنِهِ، أَوْ خَرَجَ لِتَعَلُّمِ مَا هُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ، كَالْفِقْهِ وَالحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ حَالَ سُقُوطِ الْكِفَايَةِ بِغَيْرِهِ، وسَوَاءٌ كَانَ الْقَدْرُ الَّذِي يَتَعَلَّمُهُ كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً، كَمَا قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : **لَوْ أَنَّ رَجُلاً سَافَرَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إِلى أَقْصَى الْيَمَنِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ حِكْمَةٍ مَا رَأَيْتُ سَفَرَهُ ضَاعَ** . أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» برقم (٥٧٨) ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٣١٣/٤) .

(٢) أَيْ فِي الجِهَادِ، لِمَا فِي طَلَبِ العِلْمِ مِنْ إِحْيَاءِ الدِّيْنِ وإِذْلالِ الشَّيْطَانِ وإِتْعَابِ النَّفْسِ كَمَا فِي الجهادِ. «تحفة الأحوذي» (٦١/٧) .

(٣) رواه الترمذي في سننه (٢٦٤٧) والطبراني في الأوسط (٣٨٠) واللفظ له وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٦٠٤٢) وذكره البخاري تعليقاً في باب الخروج في طلب العلم، ثم ذكر بعده حديث خروج موسى عليه السلام في طلب العلم، وأخرجه في «الأدب المفرد» (٩٧٠) وقال المنذري في الترغيب: رواه أحمد بإسناد حسن، والحاكم في المستدرك (٣٦٣٨) وصححه ووافقه الذهبي .

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٦٧) والخطيب في «الرحلة في طلب العلم» (١٢٠) بسند صحيح

www.saida-islam.weebly.com

مِنْهُ عِلْمٌ[١]؛ وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ [٢]. وقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ : **إِنْ كُنْتُ لأَرْحَلُ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيْثِ الْوَاحِدِ** [٣]. وقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِيْ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: **لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ** [٤]. وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : **لَوْ أَعْلَمُ أَحَداً أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّيْ تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ** [٥]. وعَنْ عُبَيدِ اللهِ بْنِ عَدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : **بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه **فَخِفْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ لا أَجِدَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، فَرَحَلْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الْعِرَاقَ** [٦]. وقِيلَ لأَحْمَدَ بْنِ حَنبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : رَجُلٌ يَطْلُبُ العِلْمَ يَلْزَمُ رَجُلاً عِندَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ، أَوْ يَرْحَلُ ؟ قَالَ : **يَرْحَلُ، يَكْتُبُ عَنْ عُلَمَاءِ الأَمْصَارِ، فَيُشَافِهُ النَّاسَ، وَيَتَعَلَّمُ مِنهُمْ** [٧] .

ولا بُدَّ أَيْضاً مِن الجُهْدِ لِتَكْوِينِ الْبِيْئَةِ الَّتِي تَصْلُحُ لِتَعَلُّمِ الإِيْمَانِ والأَحْكَامِ، لأَنَّ بِيئَةَ الدُّنيَا تَزِيدُ الإِنْسَانَ تَعَلُّقاً بِالْمَخْلُوقِ وَاعْتِنَاءً بِأَسْبَابِ التَّرَقِّي فِيهَا، فَلا تَصْلُحُ لإِصْلاحِ إِيْمَانِ العَبْدِ وَهِيَ مَنْ أَفْسَدَهُ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ كَوَّنَ البِيْئَةَ الإِيْمَانِيَّةَ فِي مَكَّةَ فِي دَارِ الأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ، وَهَاجَرَ إِلى الْمَدِينَةِ لِتَكْوِينِ الْبِيْئَةِ الَّتِي يُحْفَظُ فِيهَا الإِيْمَانُ ويَزْدَادُ، وَمِنهَا يَنْتَشِرُ، وَالدَّاعِيْ إِلى اللهِ كَذَلِكَ، يَجْتَهِدُ لِتَكْوِينِ هَذِهِ البِيْئَةِ ويَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا، لِمَا لَهَا مِنْ أَثَرٍ فِي صَلاحِ القُلُوبِ وتَزْكِيَةِ النُّفُوسِ، فَكَمَا أَنَّ النَّاسَ يَتَأَثَّرُونَ مِنَ الْبَرْدِ وَالحَرِّ، كَذَلِكَ يَتَأَثَّرُونَ مِنْ بِيئَةِ الْفَسَادِ وَبِيئَةِ الإِصْلاحِ .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣٩٦٩) وأبو داوود في سننه (٤١٦٢) وإسناده صحيح .

(٢) رواه أبو داوود في سننه (٣٦٤٣) وابن ماجه (٢٢٣) وإسناده جيد .

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٦٩) والخطيب في «الرحلة» (٤٤) بسند صحيح. وانظر «فتح الباري» (١/٢٣٠) .

(٤) رواه مسلم برقم (١٤٢١) .

(٥) رواه مسلم برقم (٦١٢) .

(٦) رواه الخطيب في «الرحلة» (٤٥) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/٤٦) .

(٧) «فتح الباري» (١/٢٣٠) .

www.saida-islam.weebly.com

فالرَّجُلُ الَّذِيْ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ كَانَ يَسْعَى لِلتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ بِيْئَتَهُ فَاسِدَةٌ وَصُحْبَتَهُ فَاسِدَةٌ، فَكُلَّمَا نَوَى التَّوْبَةَ ذَكَّرَتْهُ الْبِيْئَةُ بِأَعْمَالِهِ السَّابِقَةِ، وَقَامَتِ الصُّحْبَةُ الفَاسِدَةُ بِتَذْكِيرِهِ بِأَفْعَالِهِ، فَسُرْعَانَ مَا يَرْجِعُ وَيَنْتَكِسُ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ لَهُ العَالِمُ: اجْلِسْ حَتَّى أُعَلِّمَكَ، لأَنَّهُ بِتَعْلِيمِهِ الإِيْمَانَ فِي بِيْئَةٍ مُخَالِفَةٍ لا يَكُونُ لَهُ إِلاَّ تَأْثِيرٌ لَحْظِيٌّ، ثُمَّ سُرْعَانَ مَا يَزُولُ أَثَرُهُ فِي بِيئَةِ الْفَسَادِ، بَلْ قَالَ لَهُ :" **انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ** " [(١)] .

فَدَلَّ هَذَا عَلَى فَضْلُ التَّحَوُّلِ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي يُصِيبُ الإِنْسَانُ فِيهَا الْمَعْصِيَةَ لِمَا يَغْلُبُ بِحُكْمِ الْعَادَةِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، إِمَّا لِتَذَكُّرِهِ لأَفْعَالِهِ الصَّادِرَةِ قَبْلَ ذَلِكَ وَالْفِتنَةِ بِهَا، وَإِمَّا لِوُجُودِ مَنْ كَانَ يُعِيْنُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ الأَخِيرُ – أَيِ الْعَالِمُ – وَلا تَرْجِعْ إِلى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ؛ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلى أَنَّ التَّائِبَ يَنبَغِي لَهُ مُفَارَقَةُ الأَحْوَالِ الَّتِي اعْتَادَهَا فِي زَمَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَالتَّحَوُّلُ مِنهَا كُلِّهَا وَالاِشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا [(٢)] .

كما أن الصُّحْبَةَ تُؤَثِّرُ عَلَى الإِنْسَانِ بِاكْتِسَابِ صِفَاتِ الْمُصَاحَبِ، لأَنَّ الطَّبْعَ يَسْرِقُ، وَالَّذِيْ تُجَالِسُهُ تُجَانِسُهُ وتُؤَانِسُهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِيْ جِنْسِكَ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **الْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ**"[(٣)]، فَإِذَا كَانَتْ مُجَالَسَةُ الْغَنَمِ وَالإِبِلِ وَالخَيْلِ تُؤَثِّرُ فِي الإِنْسَانِ بِالاِكْتِسَابِ مِنْ صِفَاتِهَا مَعَ انْعِدَامِ التَّجَانُسِ بَيْنَهُمَا، فَلَئَنْ تُؤَثِّرَ مُصَاحَبَتُهُ لِمَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَجَانُسٌ مِنْ بَنِي جِنْسِهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى .

وقَالَ الغزالي رَحِمَهُ اللهُ : وأَمَّا الْحَرِيْصُ عَلَى الدُّنْيَا فَصُحْبَتُهُ سُمٌّ قَاتِلٌ، لأَنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالاِقْتِدَاءِ، بَلِ الطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيثُ لا يَدْرِيْ صَاحِبُهُ، فَمُجَالَسَةُ الْحَرِيْصِ عَلَى الدُّنْيَا تُحَرِّكُ الْحِرْصَ، ومُجَالَسَةُ الزَّاهِدِ تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ تُكْرَهُ صُحْبَةُ

---

(١) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري برقم (٣٤٧٠) ومسلم برقم (٧١٨٤) .
(٢) «فتح الباري» (٦/٦٣٣) .
(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٣٤٩٩) ومسلم برقم (١٩٦) .

www.saida-islam.weebly.com

طُلاَّبِ الدُّنْيَا، وتُسْتَحَبُّ صُحْبَةُ الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ؛ قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : **أَحْيُوا الطَّاعَاتِ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحَيَا مِنْهُ** [(١)] .

فَإِنْ وَجَدْتَ جَلِيساً يُذَكِّرُكَ اللهَ رُؤْيَتُهُ وَسِيرَتُهُ فَالْزَمْهُ وَلا تُفَارِقْهُ، وَاغْتَنِمْهُ وَلا تَسْتَحْقِرْهُ، فَإِنَّهَا غَنِيْمَةُ الْعَاقِلِ وَضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، وَتَحَقَّقْ أَنَّ الجَلِيسَ الصَّالِحَ خَيرٌ مِنَ الْوِحْدَةِ، وَأَنَّ الْوِحْدَةَ خَيرٌ مِنَ الجَلِيسِ السُّوْءِ [(٢)(٣)] .

وَلا يُغْتَرَّ بِاعْتِقَادِ أَنَّ مُجَرَّدَ الْعِلْمِ بِمَا ذَكَرْنَا كَافٍ فِي حُصُولِ الْمَقْصُودِ، بَلْ لا بُدَّ أَنْ يُضِيْفَ إِلَيْهِ بَذْلَ الجُهْدِ فِي اسْتِعْمَالِهِ، وَاسْتِفْرَاغَ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ فِيهِ؛ وَمِلاكُ ذَلِكَ الخُرُوجُ عَنِ الْعَوَائِدِ، فَإِنَّهَا أَعْدَاءُ الْكَمَالِ وَالْفَلاحِ، فَلا أَفْلَحَ مَنِ اسْتَمَرَّ عَلَى عَوَائِدِهِ أَبَداً، وَيَسْتَعِينُ عَلَى الخُرُوجِ عَنِ العَوَائِدِ بِالهَرَبِ عَنْ مَظَانِّ الْفِتْنَةِ وَالْبُعْدِ مِنْهَا [(٤)] .

وَيؤيِّدُ هذا ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ : يَا أَهْلَ السُّوقِ، مَا أَعْجَزَكُمْ ؟ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَسَّمُ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا، أَلَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ ؟ قَالُوا : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقَسَّمُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَمَا

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٤٥) .

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك (٥٤٦٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٩٣) عن أبي ذر قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول :" **الْوِحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوِحْدَةِ، وَإِمْلاءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلاءِ الشَّرِّ**." قال ابن حجر في «فتح الباري» : سنده حسن، لكن المحفوظ أنه موقوف على أبي ذر .

(٣) «إحياء علوم الدين» (٢/٣٢٨-٣٣٠) .

(٤) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم ص (١١٣) .

www.saida-islam.weebly.com

رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا ؟ قَالُوا : بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَيْحَكُمْ، فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ (١) .

فَلِذَلِكَ كَانَ لِزَاماً عَلَى دُعَاةِ الخَيْرِ وَخُلَفَاءِ الرَّسُولِ ﷺ وَنُوَّابِهِ فِي الدَّعْوَةِ – وهُمْ أُمَّتُهُ جَمْعَاءُ : عُلَمَاؤُهَا وعَوَامُّهَا – أَنْ يَجتهدوا لتَكْوِينِ الْبِيْئَاتِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَسْهُلُ فِيْهَا فَهْمُ الدِّيْنِ وَتَعَلُّمُهُ عَمَلِيّاً وَالاِسْتِقَامَةُ وَالثَّبَاتُ عَلَيْهِ وَدَعْوَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَإِقَامَتُهُمْ عَلَيهِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُ، وَهَذَا لا يَكُونُ إِلاَّ بِمُفَارَقَةِ بِيْئَاتِ الْفَسَادِ وَتَرْكِهَا لأَجَلٍ، وَالْمُكْثِ فِي بِيْئَةِ الإِصْلاحِ حَتَّى يَصْلُحَ الْقَلْبُ وَتَسْتَقِيمَ الجَوَارِحُ عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَأْخُذَ مَنَاعَةً ضِدَّ الفَسَادِ، وَذَلِكَ بِتَعَلُّمِ أَسَالِيْبِ الدَّعْوَةِ وَمَعْرِفَةِ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ يَسْعَى لِتَكْوِينِ الْبِيْئَةِ الصَّالِحَةِ أَيْنَمَا حَلَّ وَارْتَحَلَ، وَبِهَذَا تَتَكَوَّنُ الْبِيْئَةُ الإِيْمَانِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَنِ خَيْرِ الْقُرُونِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالهَادِيْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بحمد الله

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٢٩) وإسناده حسن.

www.saida-islam.weebly.com

فهرس المحتويات

مُقَدِّمَة ٥

الحَدِيثُ الأَوَّلُ ١٣

أَمْرُهُ ﷺ عُمُومَ أُمَّتِهِ بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ ﷺ وَلَوْ كَانَ المُبَلَّغُ آيَةً

الحَدِيثُ الثَّانِي ١٦

دُعَاؤُهُ ﷺ لِمَنْ بَلَّغَ عَنْهُ حَدِيثاً بِنَضَارَةِ الوَجْهِ وَلَوْ كَانَ عَامِّيّاً غَيرَ فَقِيهٍ

الحَدِيثُ الثَّالِثُ ١٩

بيانه ﷺ أن عماد الدين وقوامه النصيحة وبيان وجوبها على عامة المكلفين

الحَدِيثُ الرَّابِعُ ٢١

مُبَايَعَتُهُ ﷺ جَرِيرَ بْنَ عبد الله على دعوة قومه إلى الإسلام، ونصحه لكل مسلم فور إسلامه

الحديث الخامس ٢٣

أمره ﷺ عموم أمته بتغيير المنكر دون تفريق بين عاميٍّ وعالم

الحديث السادس ٢٦

أمره ﷺ كل من شهد عنه بلاغاً أن يبلغ من لم يشهد، مهما بلغ علمه

www.saida-islam.weebly.com

الحديث السابع ٢٩

أمره ﷺ من بلغه شيءٌ عنه ولو قلَّ أن يبلِّغه من لم يبلغه

الحديث الثامن ٣١

أمره ﷺ وفد عبد القيس بحفظ أساسياتٍ من الدين وتبليغها من وراءهم

الحديث التاسع ٣٥

أمره ﷺ من تعلَّم شيئاً من الدين ولو يسيراً أن يعلمه أهله وقومه

الحديث العاشر ٣٧

عرضه ﷺ على عموم أمته العملَ بكلمات جامعات وتعليمهَا من يعمل بها

الحديث الحادي عشر ٣٩

ترهيبه ﷺ عموم أمته من كتمان العلم ولو كان حديثا واحداً

الحديث الثاني عشر ٤٤

بيانه ﷺ أن من دعا إلى عمل صالح قولاً أو فعلاً كان له أجر من عمل به، عالماً كان الداعي أو عامياً

الحديث الثالث عشر ٤٧

تحميل الصحابة مَنْ بعدهم مسؤولية تبليغ ما يسمعونه من الدين ولو قلَّ

الحديث الرابع عشر ٤٩

www.saida-islam.weebly.com

اشتغال أبي بكر الصديق ﷺ في دعوة الناس إلى الله على الفور من إسلامه

الحديث الخامس عشر ٥٣

إسلام طائفة من الجن ورجوعهم إلى قومهم منذرين وامتداح الله صنيعهم

الحديث السادس عشر ٥٥

ايذان أعرابي النبيَّ ﷺ برجوعه إلى قومه لدعوتهم إلى الله على الفور من إسلامه

الحَدِيثُ السابع عشر ٥٧

طلبه ﷺ من ضماد حينما أراد أن يبايعه أن يبايع على إسلام قومه بدعوتهم إلى الله ﷻ

الحديث الثامن عشر ٦٠

استئذان عروة بن مسعود الثقفي من النبي ﷺ في الرجوع لدعوة قومه إلى الله فور إسلامه، وإذنُه ﷺ له

الحَدِيثُ التاسع عَشَرَ ٦٣

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي واستئذانه النبيَّ ﷺ في الرجوع لدعوة قومه إلى الإسلام ودخولهم الإسلام بدعوته

الحَدِيثُ العشرون ٦٨

إسلام نفر من الأنصار ورجوعهم إلى المدينة لدعوة أقوامهم إلى الإسلام، وبداية تكون الدولة الإسلامية بهذه الدعوة

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الحادي والعشرون ٧٤

إسلام سعد بن معاذ ورجوعه إلى قومه داعياً ودخولهم الإسلام بدعوته

الحَدِيثُ الثاني والعشرون ٧٧

إسلام ضمام بن ثعلبة ورجوعه داعياً إلى قومه وهدايتهم بدعوته

الحديث الثالث والعشرون ٨٠

إسلام ثمامة بن أثال ودعوته قومه إلى الثبات على الإسلام وتحذيرهم من الفتنة بمسيلمة الكذاب

الحَدِيثُ الرابع والعشرون ٨٥

إسلام عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ وَرُجُوعِهِ إِلَى مَكَّةَ دَاعِياً

الحَدِيثُ الخامس والعشرون ٨٩

دعوة النجاشي عَمْرَو بْنَ العَاصِ إلى الإسلام واستجابته لذلك

الحَدِيثُ السادس والعشرون ٩٢

دعوة خالد بن الوليد أفراداً من قريش إلى الإسلام قبل دخوله فيه ثم تضحياته في سبيل الدعوة

الحَدِيثُ السابع والعشرون ١٠٠

دعوة أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوجها عكرمة بن أبي جهل فور إسلامها ودخوله الإسلام بدعوتها وتفرغه بعد ذلك لخدمة الدين والدعوة إليه

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الثامن والعشرون ١٠٥

بعثه ﷺ أبا أمامة لدعوة قومه إلى الله ﷻ بعد إسلامه

الحديث التاسع والعشرون ١٠٧

بعثه ﷺ زياد بن الحارث الصدائي لدعوة قومه إلى الله بعد إسلامه

الحديث الثلاثون ١٠٨

بعثه ﷺ عمرو بن مرة الجهني لدعوة قومه إلى الله فور إسلامه بعد استئذانه منه

الحديث الحادي والثلاثون ١١١

إرساله ﷺ أبا ذر إلى قومه لدعوتهم فور إسلامه، ودخولهم الإسلام بدعوته

الحديث الثاني والثلاثون ١١٥

إسلام العباس بن مرداس ودعوته قومه إلى الإسلام ودخولهم فيه

الحديث الثالث والثلاثون ١١٦

بعثه ﷺ فروة بن مسيك لدعوة قومه إلى الإسلام عقب إسلامه

الحديث الرابع والثلاثون ١٢٠

دعوة أحد عوام الصحابة قومه إلى الإسلام بترغيبهم بفضل الله واستجابتهم لدعوته

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الخامس والثلاثون ١٢٤

دعوة أبي قرصافة ﷺ أمه وخالته إلى الإسلام فور إسلامه، وإسلامهما بذلك

الحديث السادس والثلاثون ١٢٦

دعوة مسلم بن الحارث التميمي قوماً إلى الإسلام وإسلامهم بدعوته

الحديث السابع والثلاثون ١٢٨

إرساله ﷺ رجلاً من عامَّةِ أصحابه لدعوة أحد فراعنة العرب إلى الله

الحَدِيثُ الثامن والثلاثون ١٣١

دعوة أم سليم أبا طلحة إلى الإسلام حين خطبها ودخوله في الإسلام

الحديث التاسع والثلاثون ١٣٣

دعوة رجل قومه إلى الإسلام فور إسلامه تأثراً بشدة كرم النبي ﷺ

الحديث الأربعون ١٣٤

عفوه ﷺ عن رجل مشرك ورجوعه إلى قومه داعياً إلى أخلاقه ﷺ

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ في بيان أنواع العلم وحقيقة العلم النافع والغاية منه وطريق تحصيله ونشره ١٣٦

خاتمة في بيان أهمية الخروج والنفر في سبيل الله لتكوين البيئة الصالحة ١٣٦

www.saida-islam.weebly.com

فهرس المحتويات ١٥٤